christianlib.com

منشورات قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس (٥)

الليتورجيا الرعائية

(سلسلة محاضرات)

www.christianlib.com

الأب يوحنا تابت
الأب عمانوئيل خوري
الأب أغسطين مهنا
الأب سمعان عطاالله
الأب أمبروسيوس الحاج
الأب لويس الخوند
الأب حنون أندراوس

الخوري فرنسيس البيسري
الخوري إيلي ضو
الخوري إيلي بو غاريوس
الخوري عصام ابراهيم
الأب سامي بو شلهوب
الدكتور سمير خوري
الدكتور جان صقر

الأخت مورين غرادي
الأخت سلست بو منصور
الأخت سلستين أبو جودة
الأخت باتريسيا عجان
الأخ مروان تابت
السيدة تريز بستاني - مبارك
السيدة السن حريقة - الزغبي

الكسليك - لبنان ١٩٨٥

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

منشورات قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس (٥)

الليتورجيا الرعائية

(سلسلة محاضرات)

الأب يوحنا ثابت
الأب عمانوئيل خوري
الأب أغسطين مهنا
الأب سمعان عطاالله
الأب أمبروسيوس الحاج
الأب لويس الخوند
الأب حنون أندراوس

الخوري فرنسيس البيسري
الخوري إيلي ضو
الخوري إيلي بوغاريوس
الخوري عصام ابراهيم
الأب سامي بو شلهوب
الدكتور سمير خوري
الدكتور جان صقر

الأخت مورين عزادي
الأخت سلست بومنصور
الأخت سلستين أبوجودة
الأخت باتريسيا عجان
الأخ مروان ثابت
السيدة تريز بستاني - مبارك
السيدة ألين حريقة - الزغبي

الكسليك - لبنان ١٩٨٥

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المقدّمة

أولاً : لماذا هذه الدراسات بهذا الأسلوب ؟

لي الشرف بأن أُرحّب بكم ، طلاباً ومشتركين في هذه المحاضرات ، للإصغاء والمناقشة ، لتبادل المعلومات والمعطيات ، لتخطي الهموم والصعاب ، بغية وضع الليتورجيا في أُطُرها الجديدة ومعطياتها الاصيلة لخدمة شعب الله ، على تنوّع حاجاته ، في الرعايا كما في الاديار .

إنّ الأدوار والمواضيع وُزِّعت على المحاضرين تبعاً لاختصاصاتهم وممارساتهم وخبراتهم ، بغية تحقيق الأهداف الآتية :

١ — عرض المشاكل العالقة في الحقل الرعائي ، والتفتيش عن حلول لها من خلال الليتورجيا الملائمة .

٢ — التشديد على الأدوار التي أُعِدَّ ويُعَدُّ لها طلاّبنا المنتمون فعلياً الى المعهد : الوقوف على المنابر ، أو الدخول في لجان ، أو نشر مواضيع وأبحاث ... كلّ هذا يتطلّب منهم مستوى ، لا يُنال الاّ بالتفرغ والجدّية والتخصص في هذا الحقل .

٣ — تذكير الطلاب القدامى بضرورة مواصلة الأبحاث ، والعمل على مواصلة الالتزام الفعلي في ورشة الليتورجيا : مطالعةً وكتابةً ، توجيهاً وممارسة .

٤ — الإقرار ، بتواضع رهباني وكنسي ، بأن ما ينتظرنا في هذا الحقل ، يفوق ما نقوم به من نشاطات . ولكم وضعنا الملامة على الليتورجيا والرتب والطقوس ذاتها ، على الكلمات والنصوص ، على العلامات والرموز ، على المؤمنين ، أو على الكهنة ، لنبرّئ ذمّتنا من مسؤولية الاهمال والتلكؤ .

٥ — تكرار التأكيد على ان المعهد الليتورجي الذي يضمّنا الآن ، وهو في سنته السادسة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عشرة ، انما أُنْشِئَ لتسهيل المهمة ورفع التحدي وتخطّي الاهمال . وذلك بتثقيف الليتورجي ، بالتوعية الليتورجية ، بالبحث والتأليف ، بنشر الكتب الطقسية . بغية إيصال العلم الليتورجي والحسّ الليتورجي والكتاب الليتورجي الى الانسان المؤمن . في البيت المسيحي ، الى الدير الرهباني . الى الكنيسة ، الى المدرسة والجامعة . الى المعمل والمعمل . وأخيراً الى وسائل الاعلام ؛ فلا يعود مجتمعنا يستغرب المفردات . ولا يعود انسانه يعتبر الزمن الذي يصرفه في الاحتفال الليتورجي ، ينبوعِ كلّ حياة ، مضيَعَة وقت .

آمل أن نبلغ الهدف ونحقق الغاية من خلال هذا النهج الذي التزمناه . فتعمّ الفائدة . وتدخل الليتورجيا عصرَها الذهبي .

ثانياً : العصر الذهبي لليتورجيا

دخلت الليتورجيا ، في العالم الغربي ، عصرها الذهبي منذ الاربعينات ؛ دخلته مع بداية التيار الليتورجي ، الذي تحسّسه واقتنع بأهميته وضرورته أفرادٌ مخلصون ، فتنادوا للعمل المشترك في « المركز الوطني للعمل الرعاوي الليتورجي » في فرنسا ، أو تحت اسم آخر في البلدان الأخرى . ولما حانت ساعة الاصلاح ، كان عملُهم مُعدّاً على مائدة الكنيسة ، وكانت ثمرتُه الأولى ، الوثيقةُ المجمعية في الليتورجيا ، باكورةَ وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني ؛ وجاء البند الأول فيها يشرح الغاية من انعقاد المجمع ويختصر قانون ايمان آبائه :

> « لما كان المجمع المقدس يهدف الى تنمية الحياة المسيحية يوماً فيوماً لدى المؤمنين ، والى تطوير التقاليد الخاضعة للتبديل ، بحيث تصبح تُجاري حاجاتِ العصر الحاضر ، والى رعاية كل ما من شأنه العمل على توحيد جميع المؤمنين بالمسيح ، والى تعزيز كل ما يؤول الى دعوة الناس ، الى حضن الكنيسة ، فانه يعتبر ان من اخصّ غاياته العناية كذلك بتجديد الليتورجيا والعمل على ازدهارها » (دستور في الليتورجيا ، عدد ١) .

وكانت الثمرة الأولى لهذه الوثيقة انشاء المعاهد الليتورجية في روما وفرنسا وغيرهما من عواصم الغرب ، فضلاً عن معهدنا هذا .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أما عندنا في الشرق عامة وفي لبنان خاصة ، فلقد دخلت ليتورجياتنا عصرها الذهبي في الستّينات ، ساعة هدى الروحُ البعضَ منا الى التخصص في هذا الحقل وافتتاح هذا المعهد الذي يضمّنا الآن . لقد كثرت فعلاً الدعوات الليتورجية فيه : من كل الكنائس وكل الجمعيات الرهبانية ، وانطلقت المنشورات الليتورجية والكتب الطقسية [1] ، فعمّ بواسطتها الروح والذهنية والذوق الليتورجي ، والجدّية العلمية في التمييز بين ما هو ليتورجي وغير ليتورجي . رغم هذا ، نأبى الادّعاء بأننا بلغنا الكمال ، بل نعتقد أننا دخلنا عصراً ذهبياً وأصبح من الواجب علينا ان نتوزّع مسؤولياتنا ونتحمّلها ، اساتذة وطلاباً ومؤمنين ، لمواصلة السعي صوب الهدف المنشود . لقد أصبح لليتورجيات الشرقية ثوابت وقواعد ، نماذج هيكليات ناجحة ، نصوص موفقة في القداس ، في رتب الاسرار ، في الصلاة الخورسية ، في الرتب . وان محبة الله والكنيسة لَتحثّنا على إكمال المسيرة في هذا الحقل الناجح .

واننا لنكرر النداء الذي سبق وأطلقه ، من على هذا المنبر ، مؤسس المعهد الأب يوحنا تابت ، داعياً الى أن تصبح الليتورجيا ، علماً واحتفالاً وحياة وتكون أليفة كل شخص وكل فئة في مجتمعنا اللبناني ، وعلى الأخص في مجتمعاتنا الرهبانية ، حيث المناخ الملائم لها . بهذا تدخل الليتورجيا ، بأصالتها ، الى كل المجتمعات الانسانية التي كرّسنا لها دراسة خاصة ، كما ترون في البرنامج . وبذلك نكون وَفينا نذراً مقدّساً وتاريخياً التزمنا به ، ادارة واساتذة وطلاباً وخرّيجين .

ثالثاً : العصر الذهبي للحياة الرهبانية

وللرهبانيات أيضاً عصرها الذهبي ، وقد دخلته مع الوثيقة المجمعية « المحبة الكاملة » اذ

---

(١) PIERRE-EDMOND GEMAYEL, *Avant-Messe Maronite, histoire et structure*, Coll. Orientalia Christiana Analecta, n° 174, Rome, 1963.
P. JEAN TABET, *L'Office Commun Maronite*, Kaslik, 1972.
P. LOUIS HAGE, *Le Chant de l'Eglise Maronite*, Beyrouth, 1972.
P. AUGUSTIN MOUHANNA, *Les rites de l'Initiation dans l'Eglise Maronite*, Rome, 1978.
الأب يوسف الخوري ، ترانيمنا (في عدة أجزاء) ، سنة ١٩٧١ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عمّ ، على أثرها ، التجديدُ الملائم كلَّ الرهبانيات في الغرب والشرق ، وأصبح لها أجمل وأكمل القوانين والرسوم الرهبانية .

ويكفي أن نذكر بما تحقّق خلال ورشة التجديد الملائم عندنا في لبنان : مع بدء المجامع الخاصة في كل رهبانية وجمعية ، ظهرت مجلّة أوراق رهبانية [١] ، ومنشورات أوراق رهبانية [٢] ، وكتاب عن تنظيم الحياة الرهبانية عند الموارنة [٣] ، وكتب الفرض بحسب الزمن الطقسي .

وفي ذات الفترة ، طوّب القديس شربل ، وأُعلنت قداسته ، في ظروف كنسية فوق العادة وظروف لبنانية تاريخية ، ونحن الآن في انتظار تحديد يوم الاحتفال بتطويب أمة الله رفقا ، كما اننا نأمل ان يعلن قريباً نبأ تطويب رجل الله نعمة الله الحرديني ، ودعوى الأب يعقوب الكبوشي والأب بشاره أبو مراد .

والجديد أيضاً في هذه الحقبة ، العودة الى أَصالة حياة الاستحباس ، التي افتتحها الأب انطونيوس شينا ، في محبسة مار بولا التابعة لدير مار انطونيوس قزحيا .

وبفضل إدراكنا لأهمية الليتورجيا وتأثيرها في حياة الجماعة الرهبانية ، أَدخلنا في برنامج المعهد دراسةً عن الحياة الرهبانية موزّعة على ثلاث سنوات ، لنُظهر أصالةَ حياتنا وثوابتَها الانجيلية والكنسية والتاريخية .

وللدلالة على ما وصلت اليه الحياة الرهبانية من وضوح في المعطيات ، ومن تحسّس لمدى ارتباطها بالليتورجيا وحياة الصلاة ، نقدّم هنا نموذجاً في الصلاة ، من القوانين الجديدة للرهبانية اللبنانية المارونية [٤] :

---

(١) مجلة أوراق رهبانية ، صدر منها ، الى الآن ، ٢٣ عدداً ، ابتداء من سنة ١٩٦٦ .

(٢) منشورات أوراق رهبانية ، صدر منها ، الى الآن ، ١٠ أجزاء ، ابتداء من سنة ١٩٦٩ ؛ (راجع أيضاً الرسائل العامة للرهبانية اللبنانية المارونية للاباتي بطرس قزي ، من سنة ١٩٦٨ حتى ١٩٧٤) .

(٣) الأب يوسف محفوظ ، التنظيم الرهباني ، بيروت ، ١٩٦٧ .

(٤) سنة ١٩٧٤ ، الفصل الثالث ، في الصلاة ، القوانين ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ و ٦٣ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

« على مثال المسيح ، تتخلّل حياتَنا اليومية التي هي لقاء مستمر مع الله ، أوقاتُ صلاة هي قمم يقودنا اليها الروح القدس لنتّصل بالله وننال منه القوّة للسير نحو هدف السيرة الرهبانية أي الاتحاد به تعالى بصلاة دائمة ، صلاة القلب النقي والعقل الهادئ المتأمل بأسرار الله الخفية .

يُعير الاخوةُ احتفالَهم اليومي بالفرض الالهي كلّ اهتمامهم ، لأنهم به يُمثّلون الكنيسة المصلّية ، مواصلين نشيدَ الشكر ، أي الافخارستيا ، ويبتهلون لأجل خلاص العالم ، ويرمزون الى الكنيسة المنشدة حول عرش الحمل الالهي في أورشليم السماوية .

يستمدّ لقاؤنا اليومي للاحتفال بالفرض الالهي قوّته وفاعليته من التفافنا حول مائدة الخلاص للاشتراك بالافخارستيا المقدسة ، ذكرى موت المسيح وقيامته . لذا نجتمع ، كهنة وأخوة ، بنفس واحدة وقلب واحد ، حول المذبح الواحد ، لاقامة ذبيحة المحبة الواحدة ، مُقدّمين ذواتَنا والعالم ذبيحة لله . فنذوب يوماً بعد يوم ، في الوحدة مع الله ومع بعضنا بعضاً .

تُعطى أهميةٌ خاصة للاحتفال بنهار الأحد الذي هو ، بحق ، يومُ الرب أو اليوم السيّدي . ففيه يلتقي الاخوة جميعهم ، المقيمون في الدير والمنفردون في المحبسة ، لكي يتذكّروا قيامةَ الرب ومجدَه ويعيشوا ، بفرح ، انتصارَ مجيئه الثاني .

لا تنحصر صلاتُنا بالاشتراك في الليتورجيا المقدسة وحسب ، بل نترك مجالاً لممارسات تُنظّم مع مراعاة الزمن الطقسي بحيث تتلائم والليتورجيا المقدسة ، فتأتي وكأنّها تتفرع عنها وتعود اليها » .

الكسليك في ٢٩ حزيران
١٩٨٥
عيد القديسين بطرس وبولس

الأب عمانوئيل خوري
مدير معهد الليتورجيا
في جامعة الروح القدس — الكسليك

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع الأول

الليتورجيا والجماعات الرهبانية

الأب عمانوئيل خوري

*

٢٩ تشرين الأول ١٩٨٤

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الليتورجيا والجماعات الرهبانية

الأب عمانوئيل خوري

من مواليد دير جنين — عكار سنة ١٩٣١ . ارتسم كاهناً سنة ١٩٥٨ .
من الرهبانية اللبنانية المارونية . درس الفلسفة واللاهوت في جامعة القديس انسلموس في روما حيث نال اجازة في اللاهوت ؛ كما نال اجازة في الليتورجيا من المعهد الشرقي في روما سنة ١٩٦١ .
تسلّم ادارة الرهبان الدارسين ، وانتخب امين سرّ عام للرهبانية من سنة ١٩٦٨ حتى سنة ١٩٨٠ .
نشر مقالات عديدة ، في اللغتين العربية والفرنسية ، عن الليتورجيا المارونية ، كما ساهم بكتاب في الانكليزية « القداس في الطقوس الشرقية » ، وهو دراسة عن القداس الماروني في ماضيه وحاضره ، نشر في الهند .
هو ، حالياً ، مدير المعهد الليتورجي واستاذ فيه وفي كلية اللاهوت الحبرية في جامعة الروح القدس — الكسليك .

أولاً : الليتورجيا

أ — كلمة « ليتورجيا »

كلمة ليتورجيا مستعملة حالياً في كل اللغات ، وهي مشتقّة من كلمة يونانية مركّبة : **لايتُون** : شعبي ، جمهوري ، جماعي ، + **إِرْجُون** : خدمة ، مهمة ، عمل . فهذه الكلمةُ تستعمل للدلالة على : خدمة الجماعة : إما تقوم الجماعة نفسها بالخدمة ، أو تكون الخدمة لمصلحتها ؛ وبتعبير آخر : الجماعة تُخْدَم وتَخْدُم .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ب — التفتيش عن حقيقة الليتورجيا

حقيقة الليتورجيا وجوهرها يرتبطان بالنظرة العميقة أو السطحية اليها . فيومَ كانت النظرة الى الليتورجيا تتوقّف عند مظاهرها الخارجية ونواميسها الترتيبية والتشريعية ، بدت وكأنّها جسد دون روح ، احتفال رائع لا أكثر ، عمل طقسي جائز وصحيح . بينما النظرة العميقة الى جوهر الليتورجيا توصلنا الى حقيقتها الخلاصية ، كونها حقبة جديدة في تاريخ خلاص الانسان الجديد ، امتداداً في زمن الكنيسة لأعمال الله الخلاصية التي تمّت في العهد القديم والجديد ، كتابِ تاريخ خلاص الانسان ، الذي يستعرض مراحل تدخّل الله في حياة الانسانية ليجذبها اليه ، ويعيدها على صورته ومثاله ، ويُشركها في حياته .

وقد تمّ هذا التدخّل في العهد القديم بواسطة الأشخاص : من آباء وملوك ولاويين وأنبياء ، وبواسطة المعجزات والأحداث الخارقة . وفي العهد الجديد ، تحقّق هذا التدخّل بواسطة الابن الحبيب ، يسوع المسيح ، الذي تجسّد آخذاً طبيعتنا البشرية ليحمل الينا ، على مستوى طبعنا ، رسالةَ الآب ، أعني دعوتنا الى القداسة ، ولينقل الى الآب جوابنا على رسالته ، أي قبولنا لهذه القداسة والتزامنا بموجباتها . وما زال الابن ، بعد قيامته ، يواصل وجوده وحضوره في حياة كنيسته بواسطة علامات حسية : علامات الأشخاص في الكهنة ، وعلامة الأشياء في الخبز والخمر والماء والزيت ، وعلامة الحركات في وضع اليد كما في سيامة الكهنة ، وعلامة الكلمات في سائر الاسرار وفي الانجيل والصلاة (راجع دستور في الليتورجيا ، عدد ٧) .

ج — ماهية الليتورجيا

نستنتج مما تقدّم أن الليتورجيا « هي تمرّس المسيح بوظيفته الكهنوتية تمرساً تُشير فيه **العلامات الحسّيّة** الى تقديس الناس ، وتحقّق كلٌّ منها هذا التقديسَ بطريقتها الخاصة ، ويؤدّي فيه جسدُ المسيح السرّي ، رأساً وأعضاء ، واجبَ العبادة الجمهورية التامة » (دستور في الليتورجيا ، عدد ٧) ؛ وبكلام آخر : ان الليتورجيا هي مجموعة علامات حسيّة قادرة على تقديس البشر ، يؤدّي فيها جسدُ المسيح السري واجبَ العبادة الجمهوري .

ونستنتج أيضاً : أن الليتورجيا هي **سرّ** ، لكونها تحقّق الاتحاد بين الله والبشر ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وبذلك ، هي مثل سائر الاسرار ، **تتطلّب تنشئة** ؛ **وهذه التنشئة لا تُرتجل** ارتجالاً ؛ وبالتالي لا تتمّ في تلقين المبادئ العلمية فقط ، **بل انها حقيقةٌ اساسية ممزوجة بحياتنا** ، لا تُفهم من الخارج . والتعرّف العلمي والكتابي اليها وحده يُشبه التعرّفَ الى الرياضة وتعلّمها من خلال الكتب .

ونستنتج أخيراً ان الاحتفال الليتورجي ليس عملاً هامشياً يأتيه الانسان ، بل يَحتلّ مركزاً هاماً في حياته ، عقيدة وعملاً ، الى حدّ لا يمكن فصله عن سائر نشاطاته . لذلك اهتمّت الكنيسة ، على مرّ الأجيال ، بأن تُـعِدَّ وتكوّن ، بواسطة الليتورجيا ، جماعةً مخلّصة ، محبّة ، يميزها جهد روحي وصلاة عميقة وحياة منفتحة على الآخرين . هذا البرنامج المُكثّف يجد المناخ الملائم والتفرّغ الكامل في الجماعات الرهبانية .

ثانياً : الحياة الرهبانية

أ ــ نهج ومبادئ بحكم التطوّر

بدأت الحياة الرهبانية مع افرادٍ استجابوا لدعوة المسيح فتركوا العالم ليعيشوا في العزلة والتوحّد مع الله ولأجله فقط . وبفضل نجاح حياتهم ، انتهج سيرتَهم الكثيرون ، فانتقلت الحياة التوحدية رويداً رويداً الى حياة جماعية اقتضت التنظيم والتنظير . ولمّا توقف المنظّرون للحياة الرهبانية أمام مظاهرها ، توصلوا الى مبدأ : « الثوب يعمل الراهب » . لذا دُعيت رتبةُ الدخول في الدير « رتبة لبس الاسكيم الرهباني » ؛ وساعة ركّزوا على مقومات الحياة الرهبانية ، ساد مبدأ « النذور تعمل الراهب » ، ودُعيت بالتالي ، رتبةُ الدخول في الحياة الرهبانية « رتبةَ النذور الرهبانية » .

في كلا المرحلتين ، كانت الحياة الرهبانية على هامش الكنيسة ، الى ان جاء المجمع الفاتيكاني الثاني يُدخل هذه الحالة في صلب حياة الكنيسة ولاهوتها ، فأفرد لها الفصل السادس من الدستور العقائدي في الكنيسة ، ومرسوماً خاصاً في « تجديد الحياة الرهبانية تجديداً ملائماً » ، حيث ركّزها على الأُسس اللاهوتية الجديدة واعتبرها « **متّصلةً اتصالاً وثيقاً بحياة الكنيسة وقداستها** » ، وهو يعتبرها أيضاً في الفصل السادس ذاته ، **امتداداً مميَّزاً لتاريخ الخلاص** ، حيث يقول :

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

« ان الحالة الرهبانية تمتثل امتثالاً احرص وتُمثّل في الكنيسة تمثيلاً دائماً الخطّةَ التي اعتنقها ابن الله في حياته عندما أتى العالم ليعمل مشيئة الآب ، والتي أشار بها على التلاميذ فتبعوه » (عدد ٤٤) .

والحياة الرهبانية ، في نظر المجمع ، امتدادٌ لعملِ الكنيسة وحضورِها بين المؤمنين :

« على الرهبان أن يضعوا كل عنايتهم في ان تُـمَـثِّلَ الكنيسةُ على يدهم ، كل يوم ، تمثيلاً أصحّ في عين المؤمنين وغير المؤمنين ، المسيحَ المتأمّل على الجبل ، والمبشّر الجمعَ بملكوت الله ، والشافيَ المرضى والجرحى ، والراددَ الخطأة الى سيرة أصلح ، والمباركَ الأطفال ، والمحسنَ الى الجميع بالطاعة الدائمة لمشيئة الآب الذي أرسله » .

ب — ماهية الحياة الرهبانية

من كل هذه العناصر والمعطيات ، كوّنت الكنيسة تحديداً جديداً ومعاصراً للحياة الرهبانية ، وهو يتضمن عناصر شبيهة بعناصر تحديد الليتورجيا :

« ان السعي الى المحبة الكاملة عن طريق المشورات الانجيلية ينبثق من تعاليم المعلّم الالهي وأمثلته ، **وهو منّة الهية قبلتها الكنيسة** من ربها وتداوم على حفظها بنعمته ؛ وبالتالي **تبدو كعلامة من شأنها أن تجذب أعضاء الكنيسة** بل ان تدفعهم الى تتميم واجبات دعوتهم المسيحية » (راجع دستور في الكنيسة ، عدد ٤٣ ، ٤٤) .

هذه المعطيات اللاهوتية المجمعية الجديدة ، أظهرت انّ بين الحياة الليتورجية والحياة الرهبانية قرابةَ منشأ ، ورفقةَ طريق ، نحو هدف واحد ، ووسائل مشتركة لبلوغ الهدف .

لكليهما نواة بيّنة في الانجيل ، نصوص وطقوس تعود الى عهد الرسل وتراثهم ، دور في اعداد الملكوت الحاضر وتذّوق مُسبق لواقع الملكوت الآتي .

بمشيئة انسان واحد ، هو ربّنا يسوع المسيح ، كانت الليتورجيا تحقيقاً لأمره : « صلّوا ولا تملّوا » ، « واصنعوا هذا لذكري حتى مجيئي » . كما ان نشوء الحياة الرهبانية ونموّها

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وتطورها وانتشارها ، جاء تنفيذاً لأمره حيث قال : « إذهب وبِع كل مقتناك وتعال اتبعني » .

ثالثاً — الليتورجيا والجماعات الرهبانية

كل كنيسة ، أينما وجدت ، كل جماعة مسيحية ، كل رعية ، هي ، قبل كل شيء ، جماعة ليتورجية ، لها طقسها الكاتدرائي المميّز ، تحتفل فيه بذكرى الرب ، منتظرة مجيئه الثاني ، متحسّسة عمل الرب فيها ، مكتشفة ، يوماً بعد يوم ، قصدَه وحضوره في كل علامة ورمز . انما الجماعة الرهبانية ، في طقسها الرهباني الخاص ، تبدو متفرّغة لهذا العمل ؛ فهي لا تعيش مع الربّ ساعة تكون ملتئمة في الكنيسة للصلاة فحسب ، بل على مدى برنامجها اليومي وعلى تنوع نشاطاتها ، والى « أن يأتي الرب يسوع » .

لم تكن الليتورجيا ، في مرحلة من تاريخ التقليد الرهباني ، لأجل ملء فراغ في النظام اليومي ؛ بل كانت حاجةً الى لقاء المسيح ، ووسيلة تحوّل اليه ، وبالتالي هي تعبير عن هذه الحالة والتحوّل .

من هنا كانت ضرورة التفتيش عن الأصول اللاهوتية لليتورجيا الرهبانية ، لكي نعطيها منزلتَها الضرورية ، في نظامنا اليومي وفي حياتنا الرهبانية .

لم تعرف الكنيسة الأولى والسيرة الرهبانية التوحدية التنسيقَ الليتورجي الذي نعرفه اليوم ونعيشه . انما ، مع فجر الحياة الرهبانية المنظمة ، وبالتالي مع انطونيوس وباخوميوس وباسيليوس في الشرق ، وكسيانوس ومبارك في الغرب ، بدأت محاولاتٌ في ترتيب اجتماعات الرهبان للصلاة ، وتنسيق صلواتهم وتنظيم أوقاتهم ، واصلين الليل بالنهار ، ليعيشوا شريعة « الصلاة الدائمة والعمل المتواصل » ، ويتركوها لنا دستوراً رهبانياً ، يُقاس به نجاح أو اخفاق أية رهبانية ، في حياتها الديرية أو رسالتها الكنسية .

١ — العلامات والرموز في الليتورجيا والحياة الرهبانية

يظهر مدى ارتباط الليتورجيا بالحياة الرهبانية ، علاوة على علاقتهما المشتركة بتاريخ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخلاص ومواصلتها له في الزمن الحاضر ، حيث يدخلان الانسان في « يومية الله » وتدبيره الخلاصي . ويظهر هذا الارتباط أيضاً في العلامات والرموز ذاتها .

فالتدبير الالهي للخلاص ابتدأ بتجسّد المسيح ، وتحقّق في خدمته الكهنوتية التي هي عمله الليتورجي ، وهو لا يزال ، بعد قيامته وصعوده ، يُواصل خدمته الخلاصية بعلامات حسيّة منظورة ، تتناسب مع واقعنا البشري . وهكذا تقوم الليتورجيا مقامَ طبيعة المسيح البشرية ، وهي ، بالتالي ، لا تتمّ أو تكتمل من دون علامات حسيّة ترمز الى الحقيقة الروحية المنظورة ، وتحقّقها في الانسان مساعدة اياه ، ليكون فرداً وجماعة ، **كالمسيح** ، **علامةَ الآب** : « من رآني فقد رأى الآب » ، **وكالكنيسة ، علامة المسيح** ، حسبما جاء في البند الأول من الدستور العقائدي في الكنيسة : « بما ان المسيح هو نور العالم ، فان المجمع المقدس الملتئم في الروح يتمنّى أحرّ التمني **ان يستنير جميعُ البشر بنوره المتلألئ على وجه الكنيسة** » . فالليتورجيا تجعل الانسان علامةَ المسيح والكنيسة ، وبالتالي من يرى الانسان ، يرى المسيح والكنيسة .

هذه الحقيقة نترجّاها ونسعى اليها من خلال نمط عيشنا الرهباني المميّز ، حيث تكثر العلامات الحسيّة على مثال العلامات والرموز في الليتورجيا : من الثوب علامة الخدمة ، الى النذور علاماتِ المحرقة والتفرغ والطوعية ، الى النظام في تفاصيله اليومية ، علامة مواكبة المسيح والسير وراءه والتركيز على أنه الضروري الأوحد ، الى الكلمات التي نتبادلها علامات تعبّر عن وحدة الهدف ، الى تسلسل السلطة التي تفرض وجود رئيس « نتّخذه بمنزلة المسيح مع قطع النظر » ، الى غير ذلك من علامات وطقوس تدعونا يومياً الى أبعد من المظاهر ، للوصول ، بواسطتها ، الى نهاية المسيرة .

لقد اختار الله في المسيح علاماتٍ معيّنة ، رعتها الكنيسة وشرحتها ، لكي تصبح كلُّ علامة أخرى ، في الليتورجيا كما في الحياة الرهبانية ، على مثال تلك « العلامات — القاعدة » ، وسيلةَ خير وبركة بين ايدينا وفي حياتنا .

وكما انه من الضرورة ان تتحرر الاصالة الليتورجية من كل ما يطرأ عليها من علامات وحركات وكلمات غير ملائمة ، كذلك الحياة الرهبانية ، في مراحل سيرها ، ينبغي ان تستبدل بعض علاماتها بما هو أكثر ملاءمة لظروف الزمان والمكان والأشخاص ، في سبيل

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

شهادة حياتية ، وفعالية رسولية . إنّ الحياة الرهبانية هي ، في جوهرها ، العلامة الفريدة المقصودة من مجموعة كل القوانين والرسوم والطقوس .

٢ — البعد الفصحي في الليتورجيا والحياة الرهبانية

جميع العلامات الحسيّة في الليتورجيا لا تكون ذات معنى ومدلول الا بارتباطها بموت المسيح وقيامته ، اذ ان تاريخ الخلاص قد بلغ مِلْءَهُ وحقّق فاعليته في سرّ الفصح ، أعني سرّ موت المسيح وقيامته . ومن ملء هذا السر ، تأخذ العلامة الليتورجية وكلُّ الاحتفالات معناها وقدرتَها على تقديس البشر .

وجميع مقوّمات الحياة الرهبانية من التكريس الى النذور والصلاة والعمل والرسالة ، لا يمكنها أن تكون فعّالة حقاً إلا بقدر ارتباطها بشخص المسيح ، واشراكنا في سرّ موته وقيامته .

فالطابع الفصحي وحده يربط كلّ عمل ليتورجي بسرّ القيامة ، سرّ الانتقال والعبور ، ويُكسبه ميزة فصحية . وهو عينه يكشف عن معنى الحياة الرهبانية وقوّتها ، كونها أيضاً حقيقة فصحية وانتقالاً من حقائق منظورة الى حقائق غير منظورة . وهذا ما يجعل الليتورجيا والحياة الرهبانية كليهما تساهمان في تحقيق تدبير خلاصي واحد يعيشه الرهبان والراهبات في نهج حياتي مميّز كرّسوا له أنفسهم .

٣ — البعد النّهيوي لليتورجيا والحياة الرهبانية [١]

من صفات الليتورجيا ومقوّماتها أن توجّه الانسان صوب حقيقة غير منظورة ، حقيقة العالم الآخَر ، وبالتالي هي مرتبطة بالحياة الآتية . وقد كشف عن هذا الواقع سفر الرؤيا في الفصل الخامس منه ، كما ان الدستور المجمعي في الليتورجيا عبّر عن هذه الحقيقة في البند الثامن حيث يقول :

(١) P. JEAN TABET, *L'Eschatologie dans l'Office Commun Maronite*, dans *Parole de l'Orient*, vol. II, 1 (1971), pp. 5-29.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

« واننا اذ نحتفل بالليتورجيا الارضية ، نشترك بالذوق مُسبّقاً في تلك الليتورجيا السماوية التي يحتفل بها في المدينة المقدسة أورشليم التي نجدّ في السير اليها حيث المسيحُ خادم الاقداس والمسكن الحقيقي جالس عن يمين الله ، وننشد مع جميع كتائب الجنود السماوية أُنشودةَ المجد للرب ، ونأمل ، ونحن نكرّم ذكر القديسين ، ان نحظى صحبتهم بنصيبهم ، منتظرين المخلّص الرب يسوع المسيح ، حتى يظهر الذي هو حياتنا ونظهر نحن معه في المجد » .

وان الدستور المجمعي في الكنيسة ، لَيكشف أيضاً عن هذا الوجه المَعادِيّ للحياة الرهبانية ، حيث يقول في الفصل السادس ، عدد ٤٤ :

« بما ان شعب الله ليس له هنا مدينة باقية ، بل يسعى الى الآتية ، فان الحالة الرهبانية ، التي تجعل اتباعها أكثر حرية تجاه هموم الأرض ، تظهر بمزيد من الجلاء لجميع المؤمنين ان الخيور السماوية حاضرة في هذا العالم ، **وتؤدي شهادة للحياة الجديدة الأبدية التي اقتناها المسيح الفادي ، وتبشّر بالقيامة الآتية وبمجد الملكوت السماوي** » .

هذا الارتباط الوثيق للحياة الرهبانية بالعالم الآخر يبرّر وجودها ويعطي شهادتها الحياتية اليومية عمقها وبعدها المَعادِيّ .

خلاصات

أولاً : الغاية العملية من هذه الدراسة

غايتنا من هذه الدراسة ان نكتشف أولا مركز الليتورجيا في حياتنا من حيث المبدأ والالتزام ، وان نبرز العلاقة الوثيقة والتكامل والتفاعل التامّين بينها وبين سائر نشاطاتنا الانسانية والرهبانية ، فلا يعود الفصل بينهما جائزاً . فاذا كانت الليتورجيا ، بالنسبة الى المسيحية « ينبوع الحياة » ، فما مقدار ضرورتها بالنسبة الى الحياة الرهبانية ؟ فبالليتورجيا تريد

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الكنيسة ان تعدّ جماعة رهبانية ، محبّة ، مخلّصة ، يميّزها ، كما في الماضي ، جهاد روحي وصلاة عميقة . وهذا ما لا يتمّ بجمع معلومات ومعارف خارجية عن الطقوس فحسب ، بل بتفهّم أعمق للروح الليتورجي ، وبدخول حميم في الطقوس ، وبشعور عميق بضرورتها وحاجتها .

نرمي اذن من هذه الدراسة ، ومن سلسلة الدراسات اللاحقة ، الى تفهّم أوفر وأعمق لحقيقة العلامات السريّة ، من حيث فعاليتها وممارستها والاحتفال بها ، لتكون الطريق الأسهل والأقرب من الله الينا ومنا الى الله .

كما اننا نهدف أيضاً الى ايجاد حلّ أصلح وأبقى للمشاكل التربوية الدينية والروحية والاجتماعية في الحياة الليتورجية والرهبانية ، لتكتسب نظرتنا الى الأشياء والأحداث والأشخاص أصالة ، فتربط حياتنا الديرية بحياة المعبد ، ويكون معبدنا مدرسة اعداد لحياتنا في الدير ، وزوّادة توفر غذاء لنشاطنا الرسولي .

فالراهب والراهبة اللذان يُدركان هذه الحقائق ، ويتأكّدان من ديناميّتها وفعاليتها ، لن يتعرّضا الى تجربة فصلهما عن موجبات حياتهما في الدير ، ولن يقبلا ممارسة هذه الوسائل باسلوب سطحي تقليدي أو روتيني ، مخافة ان تبقى الليتورجيا على هامش حياتهما .

فمن لا يرى في الليتورجيا والحياة الرهبانية سوى علامات حسيّة ترمز الى النعمة وتعبّر عن الايمان والارتباط بالكنيسة ، ومن لا يرى فيهما سوى قداسة « جاهزة عند الطلب » وفعالية سحرية وآلية ، تعفي من كل نشاط باطني ، ومن الخلوة ، والصلاة الشخصية ، أو التمرس المستمر بالمحبة ، يُفقِد الحياة الليتورجية والرهبانية كلّ حقيقتها ، كونها علامة وواسطة الى بلوغ كمال المحبة ودخول الملكوت .

ثانياً : ماذا يبقى لنا من هذه الدراسة ؟

١ — نظراً الى أهمية الليتورجيا في حياتنا الرهبانية ، علينا ان ندرسها ونتعرّفها بمطالعة ما يكتب فيها ، ليسعنا ان نعيش ابعادها اللاهوتية ، من خلال ممارستنا اليومية .

٢ — لم تكن الليتورجيا والحياة الطقسية يوماً لسدّ فراغ في الحياة المسيحية عامة ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والرهبانية خاصة ، بل انها واقع لاهوتي ، واطار إصغاء ومناخ ملائم لتجديد العهد مع الله ، والدخول ، فرداً وجماعة ، في يومية الله ، والمشاركة الفعلية في تدبيره الخلاصي واشراك اخوتنا فيه .

٣ — الليتورجيا — كما الحياة الرهبانية — وسيلة تجسّد وعلامة شهادة وجسر عبور الى الآخرين ، على مستوى الفرد والجماعة ، وعلى مستوى الدير ، امتداداً الى الكنيسة والمجتمع البشري بمجمله .

٤ — الاحتفال الليتورجي هو العمل الأكثر جديّة في الحياة الرهبانية ، فيه نختبر حقيقة دعوتنا الرهبانية ونتبلّغها : « لستم أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم » . وفيه يصبح جوابنا على دعوة الله أكثر صفاء والتزاماً .

٥ — توزيع الأدوار والخدمات في الاحتفال الطقسي هو المثال الأعلى لتوزيع العمل الجماعي في الحياة الرهبانية . وعلى كل فرد ان يستعدّ لتفهم دوره والقيام به ، للالتزام بخدمته بجدّيّة على مثال المجانية والشمولية في الليتورجيا .

٦ — في الليتورجيا يتمّ التحويل الجوهري :
ففي ليتورجيا القداس ، يتحوّل الخبزُ والخمر الى جسد المسيح ودمه .
وفي ليتورجيا المعمودية ، يتحوّل الطفل الى مولود جديد من الماء والروح .
وفي ليتورجيا التوبة والمصالحة ، يتحوّل التائب الى بارّ وقديس .
وفي ليتورجيا السيامة الكهنوتية ، يتحوّل الانسان العادي الى مسيح آخر ؛
كذلك في الحياة الرهبانية ، يتحوّل الانسان العادي الى انسان مكرّس .

وكما ان لليتورجيا في كل سرّ من أسرار الكنيسة ، مادّتها الخاصة ، التي بها يتمّ السر ، كذلك لليتورجيا ، في الحياة الرهبانية ، مادّتها الخاصة التي هي الجماعة الديرية المصلّية والتي بها يتمّ التحوّل اليومي الى صورة المسيح الممجد .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخاتمة : أسئلة

* ما هي معلوماتي الشخصية عن الليتورجيا والحياة الرهبانية ؟
* ما هو دوري ومسؤوليتي في اتقان الحياة الطقسية في جماعتي الرهبانية ؟
* ما هو مدى تأثير حياتي الطقسية في تعميق دعوتي الرهبانية ، في حياتي المشتركة ، في حواري مع جماعتي الرهبانية مع تلامذتي ، وكل من أتعاطى معهم بحكم عملي أو رسالتي ؟
* هل تخلق لي الحياة الليتورجية مشاكل : من طول الصلاة ، من اللغة ، ... ؟ أم هي المناخ الملائم لحلّ مشاكلي الرهبانية والاجتماعية كافة ؟
* ما هو الرابط بين صلاتي الشخصية وصلاتي الليتورجية ؟ : هل يكمّل احدهما الآخر ويكثفه ويشوق اليه ؟

* * *

جاء في الرسالة الى ديوجنس :

« الحياة المسيحية كالروح في الجسد » ؛

وجاء في الدستور العقائدي في الكنيسة :

« الحياة الرهبانية كالروح في الكنيسة » ؛

فهل يسمح لنا ان نقول بدورنا :

« الحياة الليتورجية كالروح في الجماعات الرهبانية » ؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع الثاني

دور الليتورجيا في التنشئة الرهبانية

الأب أغسطين مهنا

*

٥ تشرين الثاني ١٩٨٤

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

دور الليتورجيا في التنشئة الرهبانية

الأب اغسطين مهنا

من مواليد اده — البترون ، سنة ١٩٤١ . ارتسم كاهناً سنة ١٩٦٩ . من الرهبانية اللبنانية المارونية .
يحمل اجازة في اللاهوت من جامعة القديس انسلموس في روما . ودكتورا في الليتورجيا من المعهد الشرقي في روما سنة ١٩٧٤ . اشترك في المؤتمر العالمي لليتورجيا في جامعة القديس انسلموس في روما سنة ١٩٨٢ ، وكان موضوعه العام « الرمزية في أسرار التنشئة المسيحية » . قدّم مداخلة « عن الرمزية في أسرار التنشئة المارونية » .
وله كتاب قيِّم ، بالفرنسية ، حول : «أسرار التنشئة في الكنيسة المارونية» .
هو،حالياً،استاذ في كلية اللاهوت الحبرية وفي معهد الليتورجيا في جامعة الروح القدس — الكسليك . ومعلّم المبتدئين في الرهبانية اللبنانية المارونية .

نتبيّن من العنوان المطروح أنّ لليتورجيا دوراً تربوياً ، بل أبعاداً تربوية ، على الصعيد الرهباني . ممّا يعني أن بين الليتورجيّا والتنشئة الرهبانية عنصراً مشتركاً يضمن لهما التكامل في عملية بنيان كيان رهباني على الصعيدين الشخصي والجماعي .

من ثُمّ أسئلة تَطرح ذاتها :

بمَ يقوم هذا الدور التربوي الذي يعود الى الليتورجيا في المجال الرهباني ؟ وما الذي تقدّمه الليتورجيا الى التنشئة الرهبانية على الصعيد التربوي ؟ ما هو هذا العنصر المشترك بين الليتورجيا والتنشئة الرهبانية ؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في محاولة للأجابة عن هذه الأسئلة ، نجد من الطبيعي أن نفكّر ، ولو بايجاز ، في ما يلي :

أولاً : ماهيّة الليتورجيا .
ثانياً : ماهيّة التنشئة الرهبانية .
ثالثاً : ما هو العنصر المشترك ، عنصر الصلة ، بين الليتورجيا والتنشئة الرهبانية ؟
رابعاً : ما الذي توفّره الليتورجيا من معطيات للتنشئة الرهبانية ؟

أولاً — ماهيّة الليتورجيا

طبيعة الليتورجيا تحدّدها طبيعة الجماعة التي تمارسها وتقوم بها ، أي الكنيسة . هذه تمثّل ، بوضوح ، بين البشر ، **تجلّي سر المسيح المخلّص** . انها الجماعة الملتزمة بعهد نهائي أبدي ، وهي موضوع اختيار مجّاني ، لتكون شاهدة بين الشعوب لتدبير الخلاص بالرب يسوع .

من هذا المنطلق ، أصبحت الليتورجيا :

١ — تعبيراً عن ايمان الكنيسة

تحمل الليتورجيا ، في جوهرها ، طابعاً مسيحانياً ، انها تشرك جماعة المؤمنين بفعل العبادة الذي يقدّمه دون انقطاع المسيحُ الممجَّد ، الكاهن الأبدي الأوحد ، الى أبيه بالكنيسة ، التي هي جسده السرّي . فهي اذاً ، بالكنيسة ، تَواصُلٌ لعمل المسيح الخلاصي وشهادة له في العالم . لذا ، فالليتورجيا باتت تعني هذا الاحتفال الكنسي بسرّ الخلاص ، سرّ المسيح الفصحي ، المائت والقائم من القبر ، وهي تتمحور حول هذا السرّ ، هو موضوعها وقوامها .

من ثمّ ، فالليتورجيا هي ، من جهة ، ذكرى حدث في الماضي ، حدث الخلاص ، واستحضاره وعيشه في الآن ، وهي ، من جهة أخرى ، مسيرة بالروح القدس راجية ، تتجّه

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

نحو تجلي ملكوت الله النهائي في الكون والانسان . من هنا ، فزمن الكنيسة ، الذي يمتدّ ما بين قيامة الرب ومجيئه الثاني الأخير ، هو زمن تملأه الليتورجيا بحياة الرب وحضوره ، بدفع من روح الرب عينه ، وهو روح القائم من القبر الذي يجعل من زمن الكنيسة زمنَ انتظار ورجاء ، ويقود الكنيسة في مسيرتها نحو النُهْيَة .

٢ — مدرسةَ ايمان

الليتورجيا ، كما رأينا أعلاه ، كونها فعلاً يعبّر عن الكنيسة وايمانها ، وسرّها ، هي ، في الوقت ذاته ، فعلٌ يبني الكنيسة ، وبه تنمو وتبلغ ملءَ قامة المسيح . فالكنيسة ، عبر احتفالاتها الطقسية ، خاصة منها الأسرار ، تنجب بنيها في الايمان وتغذوهم . على هذا ، فهي تُبنى في ممارسة الليتورجيا والاحتفال بها كون هذه الأخيرة احتفالاً كنسياً بسرّ المسيح وشراكة فيه من خلال الرتب الرمزية .

فضلاً عن أنها مدرسة ايمان ، فالليتورجيا هي أيضاً بشرى بحياة جديدة . دورها ، لا أن تكون تعليماً جافّا ، ولا أن تنقل وتسلّم عقيدة صحيحة فحسب ، بل يكمن دورُها المميَّز في أن تكون نموذجاً لكل تعليم يصبو ويهدف الى تربية وتنشئة وتغذية ايمان حيّ وحياتي في الكنيسة بسرّ الخلاص ، ايمان يكون عيشاً للسرّ ومن السرّ .

٣ — تنشئةً مستمرّة بسرّ الخلاص

رأينا أن الليتورجيا هي احتفال كنسيّ بسرّ المسيح المخلّص ، محورها ، موضوعِها وقوامِها . لذا ، فهي تقدّمه للمؤمن **بالكلمة** . هذه البشرى الخلاصيّة تتوجّه الى العقل والقلب ، تعمل في العقل والقلب والإرادة . تؤتي حدثاً : الكلمة نور ، بها يُشرك الله الانسانَ بفكرته ، أي ذاته . بكلمته ، يبعث فيه اليقظة ، الوعي والرجوع الى الذات . انّها كلمة تربّي ، تُنَشِّئ وتبني . كلمة الله هذه ليست فقط موضوع فهم ، أو رسالة موجّهة الى انسان . انها ، قبل كل شيء ، قوّة فعّالة ؛ انها حدث يسوع الناصري ، ابنِ الله الكلمة المتجسّد ، هذا الذي دخل تاريخ الانسان ، كشف عن ارادة الله في الكون والإنسان ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أشرك الإنسان في ذات الله ، وكشف ذات الإنسان للإنسان . هذه الكلمة بالذات تُـوَزَّع في الجماعة المسيحيّة ، أي الكنيسة ، تُشرح فيها وتُعاش من خلال الليتورجيا .

بالأسرار ، أسرار الكنيسة ، تقدّم الليتورجيا المسيحَ الفادي للمؤمن ، وتصل بهذا الأخير ، عن طريق الرتب الرمزية ، الى عمق الشراكة بالمسيح الممجّد . فلمّا كانت الكنيسة تشكّل بين البشر سرّ تجلّي المسيح المخلّص ، فالأسرار فيها هي حياة المسيح الحيّ بالذات ، ترافق المؤمن في مسيرته الحياتيّة ، متدرّجة به الى عمق المعرفة والشراكة بالمسيح المخلّص . وكما أن المسيح يعمل بنوع غير منظور بواسطة بشريّته الممجّدة ، فهو يفعل أيضاً بنوع منظور من خلال جسده الأرضي ، الذي هو الكنيسة . فالأسرار ، ليست سوى أفعال المسيح الخلاصية بالذات ، تظهر لنا في احتفال كنسي . وبما انها تمثّل حياته هو ، فلقد أصبحت حياةَ الكنيسة . وهي تبلغ الينا من خلال جسده السرّي الذي هو الكنيسة . فالذي نجده في الأسرار حاضراً لنا ومن أجلنا ، انّما هو المسيح في سرّه الخلاصي . والأسرار باتت تُفهَم ، ليس في علاقتها بالحدث التاريخي فحسب ، بل بنوع خاص في علاقتها ، الآن ، بالمسيح الحيّ . وهكذا ، بالأسرار ، وعبر الزمن ، يَتمّ اللقاء بيننا وبين المسيح الحيّ في حاضر الكنيسة ، الذي هو زمن الروح ، وعبر مسيرتها التي يقودها فيها الروح عينه نحو اللقاء الأخير .

أخيراً ، **بالدورة الطقسية** ، تقدّم الليتورجيا للمؤمن سرَّ المسيح المخلّص . هذه ، انّما هي ولوج تدريجيّ وعلى مراحل زمنية في سرّ التدبير الخلاصيّ ككل . انها ولوج بالإيمان في التصميم الخلاصي ، تجسّده الليتورجيا في حقبات ومحطات زمنية . وهو يتمّ بشكل حركة دائريّة لولبيّة تصاعديّة ، تنطلق بالمؤمن من تاريخ العهد القديم ، عهدِ التهيئة والانتظار ، عهدِ التطلّع بشوق الى مجيء المخلّص . وتقوده ، عبر مراحل التدبير الخلاصي بالابن ، متّجهة به نحو النُهْيَة ، أو اللقاء الأخير بالمسيح ، عندما يصبح المسيح كلا بالكل . هكذا ، يصبح الزمنُ ، زمنُ الانسان ، زمناً خلاصياً ، زمناً مقدّساً يحمل علامة المسيح وطابعه ، مرسوماً في دائرة التصميم الخلاصي .

نخلص الى أن الليتورجيا هي ذكرى وحياة في آن : ذكرى لحدث الخلاص تتجسّد بفعل الروح في حاضر الكنيسة ، وحياةٌ للكنيسة بعمل الروح ترافق الذكرى ، وتتّجه بها

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

صَوْبَ النُهْيَة . على هذا ، أصبحت الليتورجيا نموّاً وصيرورة فيه ، وبه اليه . هي تُنَشِّئ الانسانَ في حياة الايمان ، تبنيه بالمسيح ، وتبني الكنيسة . من هنا ، كان دور الليتورجيا التربويّ مع أبعاده الانسانية .

ثانياً — ماهية التنشئة الرهبانية

١ — مفهوم التنشئة بوجه عام

لا نودّ عرض نظريات مسهبة في شأن التربية لا تدخل في نطاق هذا المقال . بل نكتفي بالتوقف على ما تنطوي عليه اللفظة بالذات : تنشئة .

من لفظة « تنشئة » ، يستدلّ مفهوم التبديل . هذا يعني تبديل أطر حياتيّة بأخرى ، أو تخلي عن أطر معينة ، والتزام غيرها . يتبع ذلك تبديل في المفاهيم والقناعات وأساليب العيش ، يأتي نتيجة توعية وانفتاح على خصائص وعادات وتقاليد البيئة الجديدة ، ثم التمرّس بها وفيها والعيش لها . من ثمّ ، يتاح للناشئ النمو حسب مقتضيات بيئته الجديدة ، والتدرّج فيها وبها . هذا ممّا يُؤتي تحولاً جذرياً عميقاً ، يتخطّى الأُطر الجغرافية وأساليب العيش الى الكيان . لذا ، كان من أهداف التنشئة الأولى والأساسية بنيان ذات جديدة ، وأصبحت التنشئة تعني مسيرة باتّجاه معيّن ، ضمن أطر مكانيّة وحياتية خاصة ، ترمي الى انتساب ما ، والى صيرورة .

منذ القدم ، وفي الأشكال الدينيّة الأولية بل الأكثر بدائيّة ، كانت التنشئة تشير الى هذا التحوّل الكياني العميق من خلال ممارسات مختصّة وأساليب متعددة ، كإعطاء الناشئين زيّاً خاصاً ، أو بتر أعضاء من الجسم ، أو اقتلاع الأسنان ، وجزّ شعر الرأس ، وما شابه ... لكنّ التعبير الأشمل والأقوى عن هذا التحوّل الكياني يبقى رمزيّة الموت والقيامة . هذه تحقّق عمليّة دمج الأنا البشريّة في ذات الكائن المطلق . وعلى هذا النحو ، يتمّ تطعيم الكيان البشري بكيان الكائن غير المائت . بهذا ، تكون التنشئة قد حقّقت في الإنسان عمليّةَ موت عن ذاته ، لتدخل به فُسحة العالم العلوي .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢ ــ التنشئة الرهبانية

هذه تعتمد أيضاً وسائل وأساليب قد تلتقي من حيث الشكل ببعض عناصر مكوّنة للتنشئة في القديم ، كما وردت أعلاه ، انّما كانت لتضمّنها معاني ومفاهيم مختلفة .

عبر مراحلها المتعدّدة ، تعمل التنشئة الرهبانية بمفهوم التخلّي عن أطر والتزام أخرى ، تقوم بتمرّس في مفاهيم ومنهجيّات خاصّة ، تمرّس يقرن المعرفة بالعمل . انها بذلك تخضع لشريعة النمو والتدرّج ، وبالتالي تحقّق في ذات الناشئ عمليّة تحوّل ، أو بنيان ذات جديدة . يتبيّن ، في هذا كله ، ان التنشئة الرهبانية ترمي ، وهذا من عمل الروح القدس فيها ، الى تحقيق عمليّة موت عن/حياة في ، مع المسيح وبه ، في سرّه الخلاصي الذي تمّ حقيقة مرة ونهائياً في الزمن . انها عمليّة موت عن الانسان القديم ، ولبس الانسان الجديد ، أي تحقيق سرّ المسيح في ذات الناشئ . عمليّة الموت هذه تتمّ في كيان المدعو الناشئ : لَـهُـوَ موتٌ عن كل ما يعوقه في مسيرته نحو المسيح ، من أجل حياة مُـتَجذِّرة في المسيح . انما ، هذه كانت لتُعاش ، في العمق والأصالة ، ضمن الحياة الرهبانية ، التي فيها تجد التنشئة صيرورتها ، أي العيش الأكمل والشراكة الأعمق في سرّ المسيح . من هذا المنطلق ، يجب التعرّف الى ماهية الحياة الرهبانية .

٣ ــ ماهيّة الحياة الرهبانية

تعرّف قوانيننا الرهبانية بالحياة الرهبانية على هذا الشكل : **الحياة الرهبانية طريق نسلكها ، بهبة من الله خاصة ، لنحقّق الدعوة المسيحية على وجه أكمل** . كما وتعرّف بالراهب على الشكل التالي : **الراهب هو المسيحيّ الذي يسعى ، بهبة من الروح القدس ، الى العيش في روح الإنجيل ، فيبلغ ملءَ قامة المسيح بالكيان الجديد الذي ناله من سرّ العماد** .

بالحياة الرهبانية ، **كطريق** ، **يسعى** المسيحي الراهب ، في مسيرة زمنية ، الى تحقيق هويّته المسيحية ، أي الى عيش انتسابه الى المسيح بالعماد ، والى أن يرقى بكيانه الجديد ، الذي لبسه بالعماد ، الى ملْء قامة المسيح . ولمّا كان العماد يعني اشتراك المعمَّد بسرّ موت

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المسيح وقيامته ، واشتراكه بسرّ المسيح الفادي والمخلّص ، فإنّ الحياة الرهبانية تعني ، بالنسبة الى الراهب ، تلك الوسيلة الفعالة والمميّزة ، أو الطريق ، التي تصل به الى عمق الشراكة في حياة المسيح الممجّد ، هدفِها . هذه الشراكة ، يسعى المسيحيّ الراهب الى عيشها وتحقيقها على الصعيدَين ، الوجودي والكياني ، من خلال حياته الرهبانية . هذا ما تعنيه قوانيننا اذ تقول : **فيبلغ ملْءَ قامة المسيح بالكيان الجديد الذي ناله من العماد** ، أو **لنحقّق الدعوة المسيحية على وجه أكمل** . تحقيق الدعوة المسيحية على وجه أكمل ، يعني بلوغ الراهب الى ملْء قامة المسيح بالكيان الجديد الذي لبسه في العماد .

أن يرقى المسيحيّ الراهب بكيانه الجديد الى ملْء قامة المسيح ، أو أن يحقّق الدعوة المسيحية على وجه أكمل ، هذه قمّة يرفعه اليها الروح القدس . انها هبة من الله خاصة . فالتعبير يشير الى أن الحياة الرهبانية ليست بالطريق العادي . انها دعوة — نعمة مجّانية ، ليست من بشر . انها تعني تدخّل الله في تاريخ انسان ، ليحدث تغييراً وتبديلاً جذريَين في مجرى حياة هذا الانسان .

لذا ، فالتنشئة الرهبانية ، كونها تعرّف الناشئ الى الحياة الرهبانية فيصبو اليها ويتمرّس بها ، فهي تعني عيشه للمسيح . أضف أن التنشئة الرهبانية ، وان الحياة الرهبانية هما ، في طبيعتهما ، ولو على صعيدين مختلفين ، تطلّع باتّجاه المسيح ، مسيرة اليه ، سعي به واليه ، نموّ وصيرورة به وفيه . فالمسيح الممجّد ، الذي لبسه الراهب والناشئ ، على حدّ سواء ، بالعماد ، صار لهما ، في سرّه الخلاصي ، محطَّ أنظار ، هدفاً ، المربّي والمعلّمَ الأول والأوحد . هو الصورة التي على كليهما ، كلّ في نطاقه ، أن يرقى بكيانه الى درجة التشبّه بها ، أو طبعها فيه . من هذا المنطلق ، باتت الحياة الرهبانية ككلّ ، ومن حيث هي مسيرة في الزمن ، باتت تنشئةً مستمرّة بالمسيح ، ونمواً به ، وصيرورة به اليه .

ثالثاً — العنصر المشترك بين الليتورجيا والتنشئة الرهبانية

بعد هذا العرض لطبيعة الليتورجيا ، لطبيعة التنشئة والحياة الرهبانية ، بات بوسعنا تحديد العنصر المشترك بين الليتورجيا والتنشئة الرهبانية : **انه المسيح الممجّد ، في سرّه الخلاصي** .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بالنسبة الى الليتورجيا ، فهو موضوعها ، محورها وقوامها ؛ بالنسبة الى التنشئة والحياة الرهبانية ، فهو الهدف ونقطة البلوغ . وكما لليتورجيا ، كذلك للتنشئة والحياة الرهبانية أبعادٌ انسانية مزدوجة : بينما تنطلق الليتورجيا من المسيح الممجّد ، الانسان الكامل ، الى انسان الأرض ، لتخلقه وتكوّنه من جديد على صورة الأول ، فالتنشئة الرهبانية ، كونها نمواً وصيرورة ، تنطلق من انسان الأرض ، سعياً نحو المسيح الممجّد ، الانسان الكامل ، لتصوّره وتحقّقه في الكيان البشري . هنا نقطة اللقاء ، نقطة التكامل والشراكة بين الليتورجيا والتنشئة الرهبانية .

رابعاً — ما الذي توفّره الليتورجيا من معطيات للتنشئة الرهبانية

١ — في الليتورجيا ، يجد الناشئ — الراهب المسيح ، فيها يلتقيه ، يتذوّقه ويعيشه شراكة ، هو هدفه الذي يسعى اليه . فالليتورجيا تقدّم الى الناشئ — الراهب **المسيحَ الفادي ، محورَها وقوامها** ، وهدف التنشئة والحياة الرهبانية ، تقدّمه اليه من خلال الرتب الرمزية والاحتفال الكنسي . من هنا ، كانت الليتورجيا مواصلة للتجسّد واستمرارية لحضور المسيح في سرّه الخلاصي الى الكنيسة ، وبها الى العالم .

٢ — الليتورجيا ، مركز تعبئة قوى للناشئ الراهب

لمّا كانت التنشئة والحياة الرهبانية سعياً في الزمن باتجاه المسيح ، بحثاً وتفتيشاً عنه ، اختباراً له ، نمواً وصيرورة فيه وبه ، واذ تعتمد الزمن على الشكل الليتورجي ، أصبحت بكاملها حياة تنشئة مستمرة ونموّ في المسيح بالليتورجيا . وهذه تكوّن بالنسبة الى الناشئ — الراهب مركز تعبئة لعيشه المسيح وفي المسيح ، تتّجه به نحو نُـهْـيَة ، تمضي به الى الهدف المرجو ، المسيح . فالناشئُ — الراهب أصبح ، على مائدة الليتورجيا ، كائنَ الأبعاد ، أو كائنَ الرجاء : يتذوّق ، في حاضره ، حدثَ المسيح الخلاصي . ويعيش منه ، يتوق الى الكمال ويرجوه في اللقاء النُـهْـيَوي .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٣ — على هذا الشكل ، تُحدث الليتورجيا في الناشئ — الراهب عمليّة تحوّل من وعن/الى . تحقق فيه ، بقدر ما ينمو ويتدرّج في مسيرته الزمنيّة ، عمليّة رحيل عن الذات ، في سبيل ايجاد الذات في ذات الآخر ، الذي هو المسيح المرسوم في وجه الأخ والأخت . بهذا المعنى تفهم الحياة الرهبانية ، أضف الى أن الليتورجيا ، تنشئة مستمرة ، أي صيرورة ، تشمل التنشئةُ فيها كلّ المراحل الحياتية ، وبها تتحقّق الجماعة الرهبانية كجماعة افخارستية . لذا ، وبقدر ما يعيش الناشئ — الراهب وينمو ليتورجياً ، بقدر ذلك يتحقق رهبانياً ، ويصير في المسيح الذي يسعى اليه ، يلتقيه ويشترك فيه . فهل تُعقل تنشئة رهبانية أو هل يعقل راهب دون حياة ليتورجية ؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع الثالث

الليتورجيا والتعليم الديني

الأب امبروسيوس الحاج
و
السيدة تريز بستاني — مبارك

*

١٢ تشرين الثاني ١٩٨٤

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الليتورجيا وكتاب التعليم الديني

الأب امبروسيوس الحاج

من مواليد عينطورة — المتن سنة ١٩٣٠ . ارتسم كاهناً سنة ١٩٥٧ .
من الرهبانية اللبنانية المارونية .
يحمل اجازة في اللاهوت من جامعة القديس انسلموس في روما .
عضو مؤسّس في منشورات طريق المحبة ، يقوم بنشاطات راعوية ورسولية .
هو ، حالياً ، مدير في المدرسة المركزية التابعة للرهبانية اللبنانية المارونية .

* الليتورجيا هي التعبير عن حياة الكنيسة بالمسيح ...
* التعليم المسيحي هو المدخل الى هذه الحياة ...
* الروح الذي جعل الولد في العماد خليقة جديدة يكمّل عمله فيه ضمن أُطر عديدة منها :
  — الاهل (العائلة)
  — الرعية
  — المدرسة ...
* التعليم يسعى لترسيخ صورة الله من خلال ارتباط الولد بأهله (فالله أب لنا) ، مستبدلا صورة الله المخيف تقليدياً بحقيقة الاب كما كشفها لنا يسوع ...
* الرعية هي البيئة التي تتجلّى فيها الليتورجيا . عمليا فقد اكثرها وسائل التعبير :
  — التراتيل اعتباطية ؛
  — القداس روتيني ، أُفرغ من معناه ؛

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ـــ الكاهن ، غالبا ، لا يشهد لدور الاب والراعي ، « الذي يبذل نفسه عن الخراف » .

* المدرسة ، باسم حضارة مسيحية ، ركّزت على العقل كمرجع أعلى (والايمان أبعد من العقل) ؛ بَنَتْ على حقائق قاصرة عن اخلاقية المسيح : (مثلا : الكرامة لا تُداس ... مع المسيح الكرامة ان لا تدوس الآخرين ... العدالة ـــ في الحضارة ـــ خُذ حقّك وأعطِ الغير حقّه . مع المسيح « اعطِ دون بدل ، لان كل ما فيك ـــ ذكاؤك ، جمالك ...) عطية مجانية من الله ، فاستثمر هذه الوزنات وابذلها في سبيل الغير ...) .

* على التعليم ان يحيط بكلّ هذه الامور ليساعد على تصحيح الوضع ويخلق للولد المناخ الذي يستطيع فيه ان ينمو .

من هنا الصعوبات المطروحة :

أ ـــ صعوبة المعلّم :

مَن ينقل الايمان ، عليه ان يكون قد عاشه (لا أن يكتفي بحفظ بعض الحقائق) . مراكز الثقافة الدينية تحلّ المشكلة جزئيا .

ب ـــ صعوبة اللغة والاسلوب :

نركّز كثيرا على العقل ، والعقل وسيلة ، والمطلوب خلق مناخ ينمو الايمان فيه (ما يجعل الولد متعلّقا بوالديه ، ليست امثولات استاذ التربية ، بل الجوّ الذي تفاعل معه وفيه اذ أصبح والداه جزءا من قلبه قبل دخوله المدرسة ...) .

ج ـــ صعوبة فهم الرموز :

* لغة المدرسة علمية وضعيّة ، بينما مدلول الكلمات في الكتاب المقدس يتخطّى المعنى القاموسي .
* الافتقار الى وسائل التعبير الحديثة ، خاصة الاختبار : في الفيزياء ، في الرياضيات ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كلّ مادة أصبحت تنطلق من الاختبار ، في التعليم ، علينا ان نركّز على هذا المعطى ، خاصة في القضايا الليتورجية : لماذا نضيء شمعة عند البدء بكل صلاة ؟ لماذا البخور ؟... (من هنا اختبار الظلمة والنور في غرفة معتمة تضاء تدريجيا . كذلك ، للبخور ، اختبار عدّة روائح للوصول الى الطيوب ...) .

هناك أمل كبير في الخلايا الايمانية التي تنشأ مع شبيبة اليوم وهي سند للرعية وللبيئة الاجتماعية ...

* * *

وتبقى لنا امنية :

طالما ان الجامعة وحّدت كل الاكليريكيات ، فنتمنّى ان يكون ، في برنامج السنة الاخيرة ، اطّلاع على حركات الشبيبة ونشاطاتها ، فيكتشف الكاهن أهميتها ويخصّص بعضاً من وقته لارشادها الروحي ، واخيرا يعتمد عليها في تحقيق آمال الكنيسة في تقديس النظام الزمني .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حصّة الليتورجيا في التعليم الديني

السيدة تريز بستاني ــ مبارك

من مواليد عين الريحانة ، سنة ١٩٤٥ .
العلمانية الأولى في معهد الليتورجيا في جامعة الروح القدس ــ الكسليك ، قدّرت أهمية الليتورجيا واختارتها اختصاصاً ، ونالت فيها اجازة سنة ١٩٧٥ .
متزوّجة ولها ولدان ، بالاضافة الى اهتمامها بعائلتها ، تؤمّن الدروس الدينية في مدرسة العائلة المقدسة الفرنسية في الفنار ، كما سبقت وعلّمت الدروس الدينية في مدرسة عينطورة وحراش .

قبل البدء بالكلام ، اسمحوا لي بأن أحييكم واوجّه كلمة شكر الى ادارة هذا المعهد العزيز التي فسحت في المجال للقاء الاخوة ، واعرب لكم عن فرحي الشديد بهذا اللقاء بعد مرور عشر سنوات على تخرّجي من هذا المعهد الذي أكّن الاعجاب والتقدير لجميع اساتذته ، وخاصة لحضرة الاب يوحنا تابت المؤسس الذي يعود له الفضل الاول في توجيه حياتي في ما انا عليه اليوم .

شاءت الظروف ان نفترق بالجسد انّما الروح لا تتقيّد بمكان او زمان . فنحن نعيش في اتحاد دائم ، مكمّلين كلّ مهمّته ورسالته في هذه الحياة . أفلا نؤمن اننا أعضاء حيّة في جسد المسيح الحي ؟ وكيف يمكن ان ينفصل العضو عن أخيه اذا اراد ان تستمرّ فيه الحياة ؟

سنحاول معالجة موضوع الليلة : « حصّة الليتورجيا في التعليم الديني » من خلال الخبرة الشخصيّة . فالنظريات والكتب لديكم منها المزيد . اديارَكم ومكتباتكم تحفل بالكثير منها . وقد يتسع لكم الوقت للعودة اليها والتعمّق بها اكثر مني . انّما تجدر الاشارة الى ان « الدستور

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في الليتورجيا المقدسة » ، الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني ، يبقى المرجع الذي نعود اليه دائما في محاولاتنا ، فنبقى منسجمين مع تعاليم الكنيسة المقدّسة ، محاولين العمل بتوصياتها ، علّنا نساهم بعمل الخلاص الذي « تمّمه المسيح وتكمّله الكنيسة » .

١ — التنشئة المسيحية

تكلّم الأب أغسطين مهنّا في معرض حديثه الاسبوع الماضي على التنشئة الرهبانية في الاديار والاكليريكيات. اما الليلة ، فسوف نتكلّم على التنشئة المسيحية في المدارس ، اي تنشئة الطلاب العلمانيين. وهنا لا بد من الاشارة الى الصعوبة القصوى في هذه المهمّة ، نظرا للاطار الحياتي الذي يحيط بالشبيبة العلمانية والمختلف عمّا هو في الاديار والاكليريكيات . ولعلّ المشاكل النفسيّة والعائلية والاجتماعية التي يعيشها الطالب والطالبة اليوم تأتي لتزيد هذه المهمّة صعوبة وتعقيدا ، خاصة بعد عشر سنوات من العنف والقتل والدمار ، بات الشباب معها يعيش نقمةً وحبَ انتقام . لم يعد يؤمن بمحبة او تسامح او صفح ، أو بأية قيمة انسانية . همّه الوحيد ان يعيش وإن مات غيره ، يشدّه حب البقاء ، وان تمّ ذلك على حساب زوال الآخرين . حتى ايمانه أصبح مشوّها ضعيفا. ألا نسمعه يسأل : كيف يسمح الله ، اذا كان فعلا يحبّنا ، بكلّ هذا التقتيل والتدمير والخراب ؟ لماذا لا يوقف الحرب ؟ لماذا ، ولماذا ؟... الخ من تساؤلات وعلامات استفهام تجعلنا نهتزّ ونتألّم ونصمت غالبا امام ألم هذه الاجيال الطالعة التي اكتفت من الحياة حين لم تبدأ حياتها بعد .

٢ — دور التعليم الديني

أهمية التعليم الديني تأتي من كونه يربطنا بعلاقة مباشرة مع المسيح وسرّ خلاصه . فدوره الاول هو **بناء الطالب المسيحي** ، مساعدته على النضوج **وتوجيهه** نحو **الله** ينبوع كلّ خير . هذا الدور يتحقّق بالحياة مع المسيح ومن المسيح . وهنا فقط يجد الطالب حلاً لمشاكله كافة .

النظريات لم تعد تكفي ، وتبقى دون جدوى ، ان لم تقترن باستمرار بعيشنا وحياتنا .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لذلك يبقى تعليمنا الديني فاشلا طالما لم يوصلنا ، مع طلاّبنا ، الى حياة مسيحية واعية مسؤولة وملتزمة ؛ وينجح بقدر ما **يجعل منّا** ، مع طلابنا ، **جماعة مسيحية تحمل وتعيش سرّ المسيح المخلّص القائم من الموت** .

فاذا كانت الحياة المسيحية « **مشاركة في عمل الخلاص الذي تمّمه المسيح وتكمّله الكنيسة** » ، واذا كانت هذه المشاركة تتمّ وتتحقّق في الليتورجيا ، فهل يعقل ان تبقى الليتورجيا بعيدة ومنفصلة عن التعليم المسيحي ؟

٣ ــ حصّة الليتورجيا في التعليم الديني

جاء في العدد ٣٥ من « الدستور في الليتورجيا » ما يلي :

« ليرسّخ بشتى الطرق في الاذهان التعليمُ المسيحي المتّصل اتصالا مباشرا بالطقوس » (دستور في الليتورجيا ، عدد ٣٥) ؛ وفي العدد ١٩ : « وليتابع رعاة النفوس ، بغيرة وصبر ، تنشئة المؤمنين الطقسية وايضا اشراكهم الفعّال الداخلي والخارجي ، المتناسب مع عمرهم ووضعهم ونوع حياتهم ودرجة ثقافتهم » (دستور في الليتورجيا ، عدد ١٩) .

من هنا ضرورة التركيز والتشديد على :

أ ــ معنى الجماعة المسيحية التي هي جسد المسيح السرّي :

تعيش الشراكة في المسيح وتكمّل ، بذلك ، عمل خلاصه . ولعلّ الصلاة الجماعية هي اجمل وافضل ما يعبّر عن هذه الشراكة . ألم يقل لنا المسيح : « اذا جمع اثنان منكم في الارض صوتيهما وطلبا حاجة ، حصلا عليها من ابي الذي في السماوات ؟ فحيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي ، كنت هناك بينهم » (متى ١٨/١٩ ــ ٢٠) .

وجاء في العدد ١٤ من الدستور : « تتوق الكنيسة الام توقا شديدا الى أن يبلغ كلّ المؤمنين الى هذه المشاركة التامّة ، الواعية والفعّالة في الاحتفالات الطقسية التي تتطلّبها طبيعة الطقسيات بالذات والتي هي ، بقوّة العماد ، حقّ للشعب المسيحي وواجب عليه » .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ب — معنى بعض الرموز والعلامات الليتورجية في حياتنا المسيحية :

مثلاً :

* **الخبز** حصيلة عمل الانسان وعرق جبينه .
* **الخمر** عصير الكرمة جامع فرح الانسان وألمه .
* **الماء** المحيي عطيّة الله والطبيعة .
* **النور** المضيء الضروري للرؤيا ومعرفة الحقيقة .
* **الصمت** المهيب الضروريّ لسماع صوت الله .
* **الوقوف** المأهّب لمتابعة الطريق .
* **الركوع** الخاشع المشير الى التواضع والخضوع امام عظمة الله وحبّه اللامتناهي ، والى ما هنالك من علامات حسيّة تزيدنا اشتراكا في كلّ عمل طقسي نقوم به .

ج — معنى السنة الطقسية ومعنى الفصح ، محور الليتورجيا والتعليم الديني :

« ان أمّنا الكنيسة المقدّسة تعتبر انه يعود اليها ان تحتفل بالذكرى المقدسة للعمل الخلاصي الذي أتاه عروسُها الالهي ، وذلك في أيام معيّنة عبر السنة . ففي كلّ اسبوع ، في اليوم الذي تدعوه « يوم الرب » ، تتذكّر قيامة الرب التي تحتفل بها ايضا مرّة في السنة مع آلامه السعيدة باحتفالها العظيم بالفصح » (دستور في الليتورجيا ، عدد ١٠٢) .

د — معنى الاسرار وبنوع أخص **سرّ الافخارستيا** الذي يكمّل عمل الخلاص في الجماعة المسيحية .

« وتهتمّ الكنيسة لكي لا يحضر المؤمنون سرّ الايمان هذا حضور مشاهدين غرباء وصمّ ؛ انما ، وقد فهموه جيّدا من خلال طقوسها وصلواتها ، يشتركون في العمل المقدّس اشتراكا واعيا تقويا وفعّالا ، ويتفقّهون بكلام الله ، ويتجدّدون على مائدة جسد الرب ، ويؤدّون الشكر لله ، ويتعلّمون ، وهم يقدّمون الذبيحة النقيّة ، لا على يدي الكاهن فقط ، بل هم معه ايضا ، ان يقدّموا ذواتهم فينصهرون ، يوما بعد يوم ، بالمسيح الوسيط في الوحدة مع الآب وفيما بينهم ، لكي يصير الله ، اخيراً ، كلاّ في الكلّ » (دستور في الليتورجيا ، عدد ٤٨) .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هـ ــ معنى الترانيم والموسيقى المقدسة التي تعبّر عن فرح اللقاء بالاخوة ونشوة الاتحاد بالمسيح :

« يكتسب العمل الطقسي صيغة أنبل عندما ترتّل الفروض الالهية التي يحتفل بها احتفالا مهيبا بحضور الخَدَمة الكنسيين وباشتراك الشعب اشتراكا فعليا » (دستور في الليتورجيا ، عدد ١١٣) .

« **فَلْتُعْنَ** الاكليريكيات وأديرة ابتداء الرهبان من الجنسَين ودُور التدريس وما سوى ذلك من **المعاهد والمدارس الكاثوليكية بالثقافة الموسيقية والتمرّس بالموسيقى عناية قصوى** . وللتوصّل الى هذه الثقافة ، فليؤهَب الاساتذة باهتمام بالغ لتعليم الموسيقى المقدّسة » (دستور في الليتورجيا ، عدد ١١٥) .

٤ ــ خبرتي الشخصية

لا شكّ ان الاختبارات التي يعيشها الانسان تزيده غنى وتعمّقا في شتى المواضيع والمجالات . وهذا الكلام يصحّ في موضوعنا هذا المساء « حصة الليتورجيا في التعليم الديني » فبعد خبرة سنوات عدة في مجال التعليم ، سأحاول ان أُوجز لكم ما استطعنا عمله حتى الآن ، وان يكن جزءا بسيطا مما هو مطلوب ، تاركة المجال للنقاش ، علّكم ، بدوركم ، تزودوننا بخبرتكم التي تزيد بالتأكيد أهمية وغنى عن خبرتي .

أ ــ ماذا أدخلنا ، عملياً ، على التعليم الديني ؟

١ ــ **صلاة الصبح اليومية** يحضّرها تلامذة كلّ صفّ مع معلّم التعليم الديني ، ويصلّونها صباحا قبل البدء بالدرس الاول .

٢ ــ **ساعة صلاة جماعية** مرّة في الشهر لكلّ صف يُحييها المرشد او معلّم التعليم الديني وتتمّ في قاعة خاصّة نسمّيها : قاعة الصلاة .

٣ ــ إدخال **ساعة ليتورجيا في الاسبوع** على برنامج الصفّ التكميلي الثاني ، علاوة على

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ساعتَي التعليم الديني وتخصيص هذه الساعة **لشرح السنة الطقسية والقداس الالهي** — أُصولُه ، محتواه ومعناه — ثم تعليم الترانيم الدينية ، وذلك بطريقة دورية .

٤ — تكليف احد اساتذة التعليم الديني من المختصّين بالرسم **بالاهتمام بتنمية المواهب الفنية** عند الطلاّب ومساعدتهم على تحضير الرسوم واللوحات الجدارية التي تبرز **الازمنة الطقسية** وتتناسب معها ، ثم عرضها داخل الصفوف مع شرحها والتعلّيق عليها .

٥ — **عرض بعض المواضيع** بالطريقة السمعية — البصرية ، ولا سيما ما يتعلق منها بالاحتفال بالاسرار . بيد أن ذلك هو لحدّ الآن محصورٌ ومحدودٌ نظراً لتعذّر وجود الامكانات .

٦ — إدخال موضوع **الاسرار** في برنامج الصفّ التكميلي الثالث ، خاصة سرّ **الافخارستيا** الذي يعطى بطريقة موسّعة ، وسرّي **المعمودية والتثبيت** ، **وسرّ الزواج** .

٧ — إسناد **تحضير الذبيحة الالهية** ، موضوعا ونصوصا وترانيم ، **الى الطلاب** ، وذلك بمساعدة معلّم التعليم الديني .

ب — الليتورجيا والايمان

سؤال يُطرح تلقائيا في نهاية هذا العرض الوجيز :

هل **الليتورجيا طريق** تصل بنا **الى الايمان** ، اي هل هي الوسيلة التي تساعدنا على تنمية ايماننا ؟ أم هي **نتيجة ايمان عميق** يدفعنا الى عيشها والتمرّس بها ؟

اذا كانت نتيجة ايمان عميق ، فكيف نبرّر الحياة الليتورجية التي تعاش في المدارس وربما في الرعايا ، علما بانّ الطالب او المسيحي العادي لم يصل بعد الى عمق هذا الايمان نظرا لحداثته او عدم اكتمال نضجه المسيحي ؟ امّا اذا كانت الليتورجيا وسيلة ، فكيف يمكن ان يعيش سطحيُّ الايمان حياةً ليتورجية صحيحة بانتظار أن يصل الى عمق ايمانه واكتماله ؟

من المؤكّد **ان بيّن الايمان والليتورجيا تكاملية** : كلّ منهما يؤدّي الى الآخر ويكمّله ، فلا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وجود لليتورجيا خارجا عن الايمان ، كما لا يعقل الايمان بغياب الممارسة والحياة الليتورجية . ومن هنا القاعدة التي اصبحت مبدأ : شريعة الصلاة هي شريعة الايمان .

اخيرا ، أتمنّى ، كما تتمنّون ايضا ، ان **تصبح الليتورجيا ، ببعدها الحياتي الديناميكي** ، ضرورةً ماسّة يتحسّسها جميع المسؤولين الروحيين ومعلّمو التعليم الديني ، فنعمل جميعنا على إطلاقها وتنمية عيشها من أجل **تحقيق الانسان المسيحيّ** منذ حداثته حتى **ينمو** « **ويبلغ** الى ملئ قامة المسيح » ، لانه لا يعقل ان يكون الانسان مسيحيا ، فعلا ، دون ان يكون إنسانا ليتورجياً .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع الرابع

الليتورجيا والرعية

الخوري عصام ابراهيم
و
الدكتور جان صقر

*

١٩ تشرين الثاني ١٩٨٤

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بين الماضي والحاضر والمستقبل

الخوري عصام ابراهيم

من مواليد بيروت سنة ١٩٥٢ . تزوج سنة ١٩٧٨. ارتسم كاهناً سنة ١٩٨٢ .
يحمل اجازة في الفلسفة من جامعة القديس يوسف ،
واجازة في اللاهوت من جامعة الروح القدس — الكسليك .
واجازة في الليتورجيا من المعهد الليتورجي في جامعة الروح القدس — الكسليك سنة ١٩٧٧ .
ومسجّل في المعهد نفسه للدروس الليتورجية المعمّقة .
هو ، حالياً ، مدير في مدرسة الحكمة — فرع الحدث وكاهن رعية القديسة تريزيا في الفياضية .

لن يتاح لنا ، في هذا الحديث ، الاسهاب في تحديد مفهوم الليتورجيا أو مفهوم الرعية ، انما لا بدّ من التذكير بما ورد في القانون الرابع عشر من دستور الليتورجيا المقدسة :

« تتوق الكنيسة الأم توقاً شديداً الى أن يبلغ كل المؤمنين هذه المشاركة التامة ، والواعية والفعّالة في الاحتفالات الطقسية التي تتطلّبها طبيعة الطقسيات بالذات ، والتي هي ، بقوّة العماد ، حقّ للشعب المسيحي وواجب عليه ، « جيل مختار ، كهنوت ملوكي ، امّة مقدسة ، وشعب مقتنى » (١ بطرس ٢/٩ ؛ ٢/٤ — ٥) .

وهذه المشاركة التامّة والفعّالة لكلّ الشعب ، يجب أن تكون هدفَ كلِّ القوى في تجديد الطقسيات وتعزيزها . فهي الينبوع الأول والضروري الذي على المؤمنين ان يستقوا منه روحاً

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مسيحياً حقاً . ولهذا السبب يجب أن يطلبها رعاة النفوس بحرارة عبر تنشئة لازمة في كل عمل راعوي » .

فهذا النصّ يوضح ما تفرض طبيعة الليتورجيا بالذات من عمل جماعي ، في وحدة الايمان للقاء الرب ولقاء الاخوة . من هذا المنطلق ، نحاول عرض موضوع الليتورجيا والرعية ، مبيّنين واقع الحال بسلبياته وايجابياته ، والمرتجى على مستويين : ما يمكن أن تقوم به الرعية في الواقع الراهن ؛ وما نتمنّى أن تحقّقه السلطات المختصّة من اصلاح في المستقبل . فضلاً عن ذلك ، سنحاول تركيز بحثنا على حاجات الناس ، وعلى ما تطلبه الكنيسة المقدسة ، حتى تأتي الليتورجيا منسجمة مع تطلعات « الأُمّ والمعلّمة » (أي الكنيسة ، كما سمّاها البابا يوحنا الثالث والعشرون) ، وملبيّة لحاجات المؤمن الذي من أجله كانت الليتورجيا .

اليوم : ممارسة خارجية أم شراكة فعلية ؟

الليتورجيا هي القمّة في حياة الرعية ؛ والقدّاس هو الذروة في هذه القمّة . كيف تعيش رعية اليوم الليتورجيا ؟

اذا كان هذا هو التحديد القانوني للرعية ، فان الواقع السُوسيو — ديموغرافي قد تبدّل كلّياً . ففي مجال عرض الواقع الليتورجي ، لا بدّ من نبذة عن الليتورجيا بين الأمس واليوم :

أولاً : رعيّة الأمس

مما لا شك فيه أن الواقع السوسيولوجي والديموغرافي لرعية الأمس كان واقعاً شبه ثابت : كانت الرعية تتألف من فلاّحين ورعاة يتعاطون مع الأرض وغلالها ، أو من تجّار يتعاطون بالسلع . وغالباً ما كان خوري الرعية يعتاش من عمل يديه ، شأن غيره من أبناء رعيته . كانوا يلتقون في المواسم الزراعية ، كما يلتقون في المواسم الاجتماعية والدينية ، يعرف واحدهم الآخر معرفة تامة ، ويعرف كلّ ما يحتويه بيته . كان الخوري محوراً ، وكان القداس

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأساس ، وكان المؤمنون يتعرّفون سير القديسين في صلاة الستار حين يُقرأ السنكسار ، ويعرفون الكتاب المقدّس من قراءات « القراية » ؛ خوريهم لم يكن « أعلم » منهم كثيراً في اللاهوت . كانوا يشاركون بالذبيحة ويتقاسمون الهموم المعيشية في مواجهة ما ينالهم من الطبيعة : المواسم ، الجفاف ، الجراد الزاحف ، إنحباس المطر ... تشدّهم الى بعضهم بعضاً أمورٌ كثيرة ، كلُ واحد منهم يصلّي بلسان الكلّ ، وكلّ شخص يجد نفسه في صلاة قريبه . ومعظمهم حفظوا الكتاب المقدس عن ظهر قلب على ممرّ السنوات ، ومنهم من يعرف أية قراءة تُتلى يوم سبت النور ، وماذا يقرأ في « بكرة أحد البندكستي » . هكذا كانت الليتورجيا تجمعهم في واقعهم المعيشي وفي مسيرتهم الايمانية . يا طيبها معيشة رخيّة على طهارتها ، ومعرفة نيّرة على بساطتها .

ألم يكن فيها سلبيات ؟

هذه المعرفة الدينية السطحية والتقوى الصادقة والخاصة كانت تلامس السحر أحياناً . لكنها لم تكن تقوى على الصمود أمام تحوّلات العصر ومتطلّبات الأيام الحاضرة .

ثانياً : رعيّة اليوم

أما اليوم ، فقد تغيّر كلّ شيء . لم تعد الرعية واقعاً سوسيولوجياً وديموغرافياً واحداً ومتجانساً . فيها الفقير والغني ، فيها المثقّف والأُمّي ، فيها المعتاشون من مهن متنوعّة وموارد مختلفة . ضاعت وحدة المكان التي كانت من خصائص رعية الأمس : فالسكن في مكان ، والعمل في آخر ، واللهو في غيره . وتعدّدت الانتسابات والانتماءات الى الحيّ والمدرسة والعيلة والمهنة والحزب والنادي ... والكنيسة لم تعد محور اللقاءات والتعليم . فالمدارس تعلّم ، والصحف والمجلات والراديو والتلفزيون تستحوذ حصّة كبيرة من وقتنا ونشاطنا وتفكيرنا .

في رعية اليوم ، كلّ انسان أو كلّ عائلة صغيرة أشبه بجزيرة منعزلة . الجار يجهل اسم جاره وكل ينطوي على همّه مُشيحاً عن غيره : لم يعد من أهم أهدافه ، اذا أمَّ الكنيسة ، أن يلتقي أناساً يحملون معه الهموم نفسها ، ويتقاسمون المشاكل عينها . غالباً ما يقصد الكنيسة ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إمّا بدافع العادة أو بداعي الواجب ، أو عن قناعة ايمانية . ولكن **دون صلة واضحة بجماعة مؤمنة** . هذا الواقع الراهن أدّى الى إيجاد هوّة عميقة يصعب ردمها بين الليتورجيا والناس في حياتهم اليومية ، حتى الخوري بات يجهل ، أكثر الأحيان ، أبناءَ رعيته ؛ فهو في واد وهم في واد ، ولم تعد معاطاته مع بشر مؤمنين ، بل اقتصرت على قسائمه الرعوية .

كل هذا أبعد الكثيرين عن الحياة الليتورجيا ، وجعل آخرين يمارسون الليتورجيا بشكل روتيني . فلم تعد مصدر المعرفة الوحيد ، وأصبح الموضوعُ الايماني موضوعاً مطروحاً بأشكال مختلفة ، وضمن تيارات فكرية وفلسفية متنوّعة ، تتضارب أحياناً مع معطيات الليتورجيا ، وخاصة في طائفتنا المارونية ، حيث النصوص قديمة لا تتعرّض ، لا من قريب ولا من بعيد ، للكثير من المعطيات الحياتية لانسان اليوم : اذا تعددت أمكنة التواجد ، تعدّدت الاهتمامات ، وتعدّدت وسائل الاعلام ، مما يساهم في خلق الأزمة الليتورجية التي نعيش اليوم .

هذه السلبيات التي أوردنا تُقابِلُها إيجابيات . فالمسألة الليتورجية بدأت تهمّ الكثير من المؤمنين الذين يجدّون في التعرّف الى كنوزها . ومما لا شك فيه أنّ الحركات الرسولية التي تنشأ هنا وهناك بدأت تخلق روحاً جديدة جماعية في الرعايا ، وربما شكّلت ، في آنٍ معاً ، خطراً على الرعايا ، اذ قد تتحوّل هذه جماعاتٍ منغلقة على ذاتها .

انطلاقاً من هذا الواقع ، ما هو المرتجى ، وما هي السبل التي تؤول الى تحقيقه ؟ لنسمع ما يقوله القانون ٢١ من دستور الليتورجيا المقدسة :

« تمكيناً للشعب المسيحي من أن ينهل بآمن الطرق فيض النعم من مَعين الليتورجيا المقدّسة ، ترغب الام الكنيسة المقدسة رغبة صادقة في العمل على تجديد الليتورجيا عينها تجديداً شاملاً . **لأن الليتورجيا تتألف من قسم ثابت ، بما انه من وضع الهي ، ومن أقسام خاضعة للتبديل ، يجوز لا بل يجب أن تتغير مع مرّ الزمن** ، إذا حدث أن داخلها ما لا يتفق وطبيعةَ الليتورجيا الاصيلة ، أو ما أصبح أقلّ ملاءمة لها . ويُقصد من هذا التجديد تنظيم النصوص والرتب ، بحيث تُعرب بوضوح عن الاقداس التي تدلّ عليها ، وبحيث يتسنّى للشعب المسيحيّ أن يتفهّمها ، على قدر المستطاع ، ويشترك في الاحتفال بها اشتراكاً تامّا فعلياً وجماعياً » .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ثالثاً : رعيّة الغد

المرتجى ، إذن ، هو التجديد وتنظيم الرتب لتعرب بوضوح عن الاقداس فيتفهّمها الشعب ويشترك بها اشتراكاً فعّالاً ، ذاك أن المجمع الفاتيكاني شدّد على الطابع التعليمي والرعوي لليتورجيا عندما قال : « بالرغم من انّ الليتورجيا المقدّسة هي ، قبل كلّ شيء ، عبادة الجلال الالهي ، فانها تتضمّن ، مع ذلك ، تعليماً قيّماً تقدّمه للشعب المسيحي ؛ ففي الليتورجيا ، يحدّث الله شعبه ، ولا يفتأ المسيح يبشّر بالانجيل ، ويجاوب الشعب الله ، سواء أكان بالاناشيد أم بالصلاة » (دستور ، ٣٣) .

فما هو موقف كاهن اليوم تجاه هذه القوانين والتوصيات ، وما هي الخطوات العملية لتحقيق روحيّتها ؟

أ — موقف الكاهن

نقرّ صراحة بأن الكاهن عاجز عن ادراك غاية الليتورجيا ، كما ذكرناها في النصوص السابقة ، اذا « لم يتشرّب رعاةُ النفوس عينُهم روح الليتورجيا وقوّتها تشرّباً عميقاً ، ويصبحوا فيها أساتذة ماهرين » ؛ لذا « كان لا بدّ ، بداءة بدء ، من العناية بتثقيف الاكليروس في الطقسيات » (دستور ، ١٤) .

ب — فهل نجد في المقترحات التالية ما يُساهم في احياء الليتورجيا الرعائية ؟

١ — خلق جماعات صغيرة ضمن الرعية تلتقي وتفكّر وتخطّط تحقيقاً لفكرة المجالس الرعوية التي تناسيناها .

٢ — تهيئة ليتورجيا الكلمة في حلقات مكوَّنة من مجموعات صغيرة متنوّعة .

٣ — جعل هذه الجماعات الصغيرة نواة فاعلة في المجتمع الرعوي الكبير .

٤ — اختيار نصوص متنوّعة من الكتاب المقدّس مع نصوص من الآباء ، من وقت لآخر ، بدل رسائل مار بولس الصعبة التي يصعب على المؤمنين فهمها .

٥ — التركيز على العظة وربطها :

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أ — بالزمن الطقسي ،
ب — بالكلمة المتلوّة ،
ج — بواقع الناس .

٦ — في صلاة الجناز ، أو مرافقة الميت ، لا اشتراك من الجمهور الحاضر ؛ لا نصوص تتحدّث عن القيامة والرجاء والحياة ، إلا ما ورد في النصوص السريانية التي لم يعد يفهمها الشعب . فاذا نحن إزاء كهنة يرنّمون بمفردهم ، فتموت الليتورجيا مع الميت ، ويقتصر دور المؤمنين على الحضور الجسدي والشكلي فقط لا غير .

٧ — بعض « هبّات الروح » المستحسنة في الكنيسة والتي ينبغي تشجيعها قد تشكّل خطراً على البعد الليتورجي الروحي في حال عدم فهمها أو في حال عدم توجيهها التوجيه الليتورجي الصحيح من قبل الكاهن .

٨ — العمل على أن تصبح الاحتفالاتُ الطقسية ، بالنسبة الى الكاهن ، روحاً وحياة ، لا مجرَّد احتفالات ظاهرية .

٩ — عدم منح أسرار العماد والتثبيت والزواج دون تهيئة العائلة والطالبين ؛ وهنا نسمح لنفسنا ببعض الملاحظات حول منح الأسرار :

سرّ العماد

وفقاً لنصوص الحق القانوني الجديد ، يُعتبر الأب والأم المسؤولَين الأولين عن طفلهما ؛ فحضورهما ضروري ، ومشاركتهما لازمة ، إذ عليهما أن يقدّما طفلهما للكاهن ، كما فعل يوسف ومريم عند تقدمة يسوع للهيكل ، باستعمال عبارة مناسبة (نترك صياغتها لمجدّدي الرتب) ؛ ومن ثم يحمل العرّابان الطفل . هنا لا بدّ من التشديد على التوبة وحالة النعمة عند الوالدين والعرّابين ، اذ لا يجوز أن يكفروا بالشيطان وبالشرّ ، وهم بحالة الخطيئة . من هنا ضرورة التقدّم من منبر التوبة ، قبل الاقدام على هذا العمل المقدس .

سرّ التثبيت

نقرأ في القانون ٧١ من دستور الليتورجيا المقدسة :

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

« ليُعَد النظر ، كذلك ، في رتبة التثبيت ، بحيث تظهر بوضوح الرابطة الوثيقة التي تربط هذا السرّ بما حصّل الموعوظ من تعليم ديني ؛ ولذلك فانه لَجدير بأن تسبق قبول هذا السرّ رتبةُ تجديد مواعيد العماد » .

نقترح أن يمنح هذا السرّ عند بلوغ الطفل سنّا يسمح له بفهم بعض الحقائق الدينية ومعنى سرّ العماد الذي اقتبله في طفولته : هذه الاحتفالات الليتورجية تكون إحياء وتجديداً لسرّ العماد المقدس ، ومناسبة للقاء الأسقف والحصول على بركته وتوجيهاته ، والتعرّف اليه والى دوره في الكنيسة .

ان أسرار التنشئة : العماد والتثبيت والافخارستيا ، كانت تُمنح معاً في تقليدنا الشرقي . كما ان المادة ٧٨٨ من الحق القانوني الروماني ترسم منح سرّ التثبيت أثناء المرحلة الممتدّة حتى السابعة من العمر . لكنّ اقتراحنا تأخير منح هذا السرّ انما هو بدافع رعوي يهدف الى التركيز على الطابع التعليمي لليتورجيا .

سرّ الزواج والكهنوت

« ليُعد النظر في رتب الرسامات من حيث ترتيب الاحتفال أو من حيث النصوص » ... (دستور ، عدد ٧٦) ، « وليعد النظر في رتبة الاحتفال بالزواج ، ولتكن من الغنى بحيث تشير بوضوح الى نعمة السرّ وتشدّد على واجبات المتزوجين » (دستور ، عدد ٧٧) .

الغريب أن الشمّاس الانجيلي أو طالبي الزواج لا يقومون ، في هذين السرّين ، بأي اشتراك فعلي وبأي تعهّد بالحفاظ على الاخلاص للسرّ المُعطى لهم . يبقون صامتين ، وكأن ما يحدث ، معظم الأحيان ، لا يعنيهم ، في حين أن كلاّ من السرّين يلزم قابله التزاماً نهائياً لمدى العمر . ناهيك بالمؤمنين ، الذين يبدون كأنهم أمام مسرحية ذات موضوع رمزي ايحائي غامض : لا يصلّون ولا يشتركون بصلوات معيّنة ويجهلون مفاعيل السرّ الممنوح .

فأين الطابع التعليمي لتلك الليتورجيا ؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخاتمة : كيفية الاصلاح

كلّ هذه الأمور تظلّ شبه عقيمة اذا لم تَسْعَ السلطات المختصّة الى تحقيق الاصلاح الليتورجي المنشود .

ماذا نتمنّى في هذا الاصلاح ؟

لتحقيق الاصلاح الطقسي ، يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار الأمور التالية :

١ — **الأَصالة** ، لئلا نفقد هويتنا .
٢ — **الواقع** ، لئلا نعتزل الليتورجيا أو نعتزل عن العالم .
٣ — **اللاهوت** (الفكر اللاهوتي الصحيح) .
٤ — **العلوم الانسانية** .

من أجل انقاذ الحياة الليتورجية في الرعية ، وبالتالي إنقاذ الرعية ، نقترح تأليف لجنة طقسية يكون من أعضائها أخصائيون في : علم الليتورجيا ، علم اللاهوت ، علم الكتاب المقدّس ، علم الاجتماع ، علم النفس ، علم اللغة ، علم التاريخ ، إضافة الى كتّاب وشعراء ...

مهما يكن من أمر ، **فلا رعية دون ليتورجيا ، ولا ليتورجيا دون رعية** . فواجب المسؤولين ، على كلّ المستويات ، إيقاظ الحسّ الكنسي عند الناس بواسطة الليتورجيا ، واحياء الليتورجيا بفعل الحسّ الكنسي .

أمام هذه الورشة الضخمة الملحّة ، أتساءل وربما تتساءلون معي :

هل يستطيع كاهن اليوم أن ينام ؟ والى متى القيامة ؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

على دروب الرعيّة الليتورجية

الدكتور جان صقر

من مواليد بسكنتا سنة ١٩٤٧ .
يحمل دكتورا اختصاص في اللغة العربية من جامعة القديس يوسف ، واجازة في الليتورجيا من المعهد الليتورجي في جامعة الروح القدس — الكسليك سنة ١٩٧٤ .
يدرّس في المدارس الحكومية وفي كلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية . يشرف على الدراسات العليا للطلاب في كلية العلوم الانسانية في جامعة القديس يوسف . ويتولّى امانة سرّ اللجنة الاسقفية للمغتربين .

في اطّلاعنا على تاريخ الشعوب القديمة والحديثة ، نلاحظ انّ الانسان نشأ ، بفطرته ، شديدَ الايمان ، متمسّكاً بالرموز الدينية التي تسهّل فهم الانسان والصلة بينه وبين الشعوب القديمة . لكنّ المؤمنين ، اليوم ، لا يستطيعون أن ينظروا الى الأمام نظرة إبداع وتجديد ، كما لا يستطيعون العودة الى الوراء نحو الايمان دون الفهم .

ونتساءل اذا كانت الليتورجيا ، حتى يومنا هذا ، توحي للشباب القداسة ، وتوجّههم الى الاقتداء والاستفادة من حياة السيد المسيح .

يبدو المؤمن ، كلّ لحظة ، متشوّقاً الى الرموز المقدّسة ، ولكنّ انفتاحه اليوم في كلّ مجالات حياته على الحضارة والمدنية والثقافات المتنوعة أصبح يشكّل له عائقاً لفهم الليتورجيا المقدّسة . لا بل إنّ هذه كلّها مجتمعة خلقت هوّة بينه وبين حياته المسيحية .

أما اذا عدنا ونظرنا الى ما خلّفته الأحداث اللبنانية الأخيرة ، فنلاحظ أن شعبنا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اللبناني ، بشكل عام ، يزداد تعلّقاً بايمانه ومسيحيته لدى اشتداد النكبات وتفاقم الأحداث الأليمة .

واننا لا ننفكّ نتساءل اذا ما برحت كنيستنا عازمة على المحافظة على استمرارية دعوتها وعلى ترسيخ قاعدتها كاملة . هل تتّجه نحو ما هو أكثر تأكيداً وواقعية ، كالمناجاة النفسانية والبرامج الاجتماعية والاخلاقية ؟ هل تعمل على الاكتفاء باثبات القداسة ، أو تريد أن تصل الى احتكاك مباشر وعيش حقيقي وتطبيق كامل للأسرار المقدّسة ؟ هل حاولت كنيستنا أن تعمل شيئاً ما لتوعية الحياة العائلية ؟ هل مدارسنا الخاصة والرسميّة تعدّ لسلوك حياة مسيحية ؟ هل مناهجنا التعليمية الجامعية ، الخاصّة والرسمية منها ، تأخذ بعين الاعتبار حضارتنا المسيحية ؟ كيف والى أي حدّ تجدّ الكنيسة في مراقبة من يدير شؤون البلاد على مختلف المستويات ؟

هل نقص الايمان ، أم راحت المدنية والحضارات العالمية تشقّ طريقاً يبعد الناس عن كنيستهم وعن مظاهر عبادتهم ؟

لكلّ هذه التساؤلات مبرّراتها . ولكنّنا نؤكّد انّ الشعارات المسيحية التي نشرت ايمان الكنيسة سابقاً وأعطت موقع نشاطاتها وعللها ، وان فقدت ، بالنسبة لبعض القطاعات ، طاقتها ، فانها ما تزال الدافع الأمين لحياة الكنيسة ولاستمراريتها .

لليتورجيا الرعائية تأثير بالغ وشامل على حياة الكنيسة يفوق كثيراً تأثير عوامل الايمان التقليدية ، كالخطيئة والنعمة ومملكة الله والخلق ...

نظرتنا هذه تتفّق تماماً مع نظرة استاذنا الرئيس الأب يوحنا تابت في تحديده الرعية بأنها تلك الجماعة التي تشكّل واقعاً ملموساً والتي تلتقي مع بعضها البعض في الليتورجيا . وبدون هذه الجماعة لا وجود لليتورجيا مسيحية ، وما تزال الرعية حتى اليوم وستبقى النواة الحقيقية للكنيسة ومختبراً صالحاً ووحيداً لكل انطلاقة مسيحية في العالم :

— عندما سلّم المسيح الأسرار للرسل « اصنعوا هذا لذكري » (لوقا ٢٢/٢٩) ،

« اذهبوا الآن وبشّروا كل الأمم وعمّدوهم » (متى ٢٨/١٩) ، « كلّ من غفرتم له خطيئته غفرت له » (يوحنا ٢٠/٢٣) . كان تركيزه على جماعة المؤمنين من عامّة الناس ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ولم يقصد مرّة حصر أسراره بالرسل وحدهم ، بل طلب منهم أن ينوبوا عنه بتوزيعها على أبناء الرعايا في كل مكان .

* عندما أراد الله الخلاص لشعبه ، لم يحصر وعده بابراهيم وحده ، بل شمل ابراهيم ونسله .

* مات المسيح على الصليب ثم قام من الموت في سبيل خلاص العالم وجمع المشتّتين الى واحد ، ولم تكن تضحيته هذه محصورة بأشخاص أو بعائلة معينة .

* كذلك كانت الرعية الشغل الشاغل لآباء الكنيسة الأولى ، بدءاً من القرن الثالث ، اذ كانت تعاليمهم تدعو الى جمع المؤمنين ، كي لا يتمزّق جسد المسيح ، كما تدعو الى الاجتماع حول الكنيسة وفيها كي لا يُحرم المسيح من أحد أعضائه [١] .

تعليم الرسل :

« واجبك أن تدعو الجماعة وأن تجمع المؤمنين »

« لا تمزّقوا جسد المسيح بعدم تجمّعكم »

« بما أنكم أعضاء المسيح ، فلا تضيّعوا بعضكم بعضاً خارج الكنيسة بحيث لا تجتمعون فيها ، اذ انّ لكم المسيح رأساً ، كما يعلّم هو نفسه ؛ فلا تحتقروا بعضكم ، ولا تحرموا السيد المسيح من أحد أعضائه » .

هذه الجماعة الليتورجية التي وصفها الأب تابت أيضاً بأنها سرّ ورمز ، والتي نطلق عليها أسم الرعية ، باتت تشكّل الخليّة الصغيرة في الكنيسة حيث يلتقي المؤمنون مع كاهنهم وأسقفهم ، وحيث تُمارَس كافة مراسم العبادة ... لَهِيَ عملية يتمّ بها اللّقاء بين الانسان وخالقه .

أما هذه الرعية فهي مؤلّفة من العناصر التالية :

* المطران راعي الأبرشية

---

(١) نقلاً عن : الأب يوحنا تابت ، مدخل الى علم الليتورجيا ، الكسليك ، ١٩٨٠ ، ص ٤٣ الخ ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* خادم الرعية
* وكلاء الوقف
* أبناء الرعية من مختلف العائلات

وهذه هي شجرة الرعية :

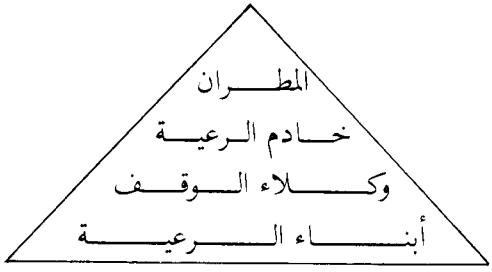

سأكتفي بالتحدّث عن الدور الرعائي الذي يتولاّه كلّ من هذه العناصر التي تكوّن ، بمجملها ، الرعية . وتشكّل الرعايا ، مجتمعةً ، ما نُسمّيه الابرشية التي يرأسها المطران ، راعي الأبرشية ، والتي تضمّ ، علاوة على ذلك ، الأديار التابعة للرهبانيات والمؤسسات الدينية على اختلافها .

وهي تؤلّف ، بأقسامها الأربعة ، كلا متكاملاً لا يتجزّأ :

* ان الرئيس الفعلي للرعية هو **المطران راعي الأبرشية** ، وبالتالي انه رئيس كلّ الرعايا في أبرشيته . يذكره المؤمنون بصلواتهم إقراراً بسلطته عليهم وتعبيراً عن احترامهم وطاعتهم له وتكريماً للمسيح الاله الممثّل بشخصه . هو رئيس كلّ الرتب والاحتفالات ، سواء كان حاضراً أم غائباً . وهو الآمر والناهي في جميع القضايا العقائدية والطقسية والليتورجية ، التي تخوّله إياها الكنيسة الكاثوليكية . عنه تصدر كلّ الاصلاحات الليتورجية ، ولا حقّ لأحد غيره أن يعدّل أوامره ، إلاّ بعد الحصول على موافقته . انه أخيراً رأس الهرم في الرعية وممثّل السلطة الكنسية بكاملها . من هنا ، كان همّه الأساسي الرعاية والسهر التامّ على شؤون الرعية كافّة .

* يأتي ، بعد المطران ، دور **خادم الرعية** (الخوري أو الراهب) القيّم على تنفيذ أوامر راعي الأبرشية وممثّله في الرعية ؛ يرأس الاحتفالات ويقوم بالرتب والأسرار بصفته الرئيس

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المحلي للرعية وصلة الوصل بينها وبين راعي الأبرشية . يبتّ ويفصل بمختلف القضايا الرعائية باسم المطران وبعد استئذانه . هو ممثّل المسيح في رعيته وفي حياته . واجباته كثيرة وحقل عمله واسع جداً . يكفي أن يخصّص وقته لرعاية شؤون أبناء رعيته وتوجيههم وإرشادهم .

* أما **وكلاء الوقف** القيّمون على أملاك الكنيسة ، فهم مكلّفون ، من قبل راعي الأبرشية ، للاهتمام بشؤون الرعية من الناحية المادية ، ومعاونة خادم الرعية على القيام برسالته .

قد نكون أوّل مَن يثير هذه النقطة بالذات ؛ ولكنّنا على يقين من أنها تنطوي على أهمية كبيرة ، ولها دور ليتورجي هام . فوكلاء الوقف يهتمّون ببناء الكنيسة ، مركز العبادة وجميع الاحتفالات الليتورجية ؛ هذا الاهتمام يتناول البناء الكنسي من الداخل والخارج ، الأبواب والنوافذ والمقاعد وأواني الأسرار والرتب والتبرّعات وغير ذلك . كلّ هذه تكمّل عمل خادم الرعية أو بالأحرى تسهله . وغالباً ما يصبح الوكلاء في ممارسة مسؤوليتهم موضع ثقة أبناء الرعية واحترامهم . وسرعان ما يُتَّخَذون قدوة لغيرهم ، اذا ما حالفهم النجاح في تأدية مهمّاتهم .

* أخيراً يأتي دور القاعدة الأساسية للرعية ألا وهي **عامّة الناس** ، الساكنين في منطقة ما ، والمنتسبين الى كنيسة معيّنة ، هم المحتفلون والمصلّون الذين يجتمعون في الكنيسة تلبيةً لدعوة من الله الذي يناديهم بصوته ، ويُنعم عليهم بحضوره في ما بينهم .

هؤلاء يتمّمون رغبات الكنيسة الجامعة المقدسة ، فيقدّمون لها الطاعة ، ويصلّون من أجلها ، ويلتئمون حول مذبح الله ، ويشتركون بالتقدمات ويكوّنون جماعة ليتورجية منظورة . ان الرعية ، بكامل أعضائها ، تشكّل مختبراً حقيقياً ، فيه تمارس السلطات الكنسية ، وفيه تتمّم الممارسات الليتورجية ، وفيه ومنه يجب أن ينبع كلّ اصلاح ليتورجي أو تعديل في الرتب المقدّسة كافّة .

قد يكون من الصعب جداً ، معالجة موضوع الرعية والليتورجيا بهذه الصورة المقتضبة . ولكنّنا نأمل أن نكون قد تمكّنا من إلقاء بعض الاضواء على هذا الموضوع البالغ الأهمية في حياة الكنيسة وفي علم الليتورجيا .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع الخامس

الليتورجيا والبيت المسيحي

الخوري إيلي بوغاريوس
و
الدكتور سمير خوري

*

٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٤

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الليتورجيا والعائلة المسيحية

الخوري إيلي بوغاريوس

من مواليد قرية عبّود سنة ١٩٤٧ . تزوج سنة ١٩٧٧ ، وارتسم كاهناً سنة ١٩٧٧ .
درس الفلسفة واللاهوت في جامعة القديس يوسف .
يحمل ديبلوماً في الرياضيات الحديثة ؛ تابع الدروس في المعهد الليتورجي مدة سنتين : ١٩٧٧ — ١٩٧٩ .
يقوم حالياً بعدة نشاطات تربوية وراعوية وادارية ضمن ابرشية قبرس المارونية الى جانب خدمته الكهنوتية لرعية مار ضومط — برج حمود .

الليتورجيا هي عمل يهدف الى خلاص شعب ، أي شعب يسعى الى تحقيق قداسته وتمجيد الله في البيت ، في العمل وفي الكنيسة ...

سأحاول حصر كلامي في « العمل الليتورجي الشعبي » في العائلة المسيحية بمجمل مراحلها ...

يتألف الموضوع من نقطتين :

— خبرتي في عائلتي
— خبرتي في بعض عائلات رعيتي ...

١ — ان الليتورجيا تبني العائلة المسيحية ، وهي الركيزة الأكيدة في بناء عائلة الأمس والمستقبل . الركيزة الهامة جدّاً ، لأنها تجعل كلاّ من المتحابين يكتشف في ذاته ، عبر تأمل

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عميق ، الهفوات والنقائص ، فيبني الحبّ على أساس الايمان الراسخ بالله وبالآخر . وجهات النظر المختلفة تتأقلم وتتحاور ، فيبقى المستقبل مشرقاً لدى الطرفين ، والعلاقة مع المسيح صافية كبلّور ماء نبع عذب .

يجتمع المتحابان ويضعان كلّ امكاناتهما وحياتهما في عُهدة المسيح وتحت حماية العذراء والقديسين ، فيعمل الروح القدس فيهما وينير سبيلهما ، فلا يتعثّران ابداً ...

كثيرون من المرشحين للزواج شهدوا بأنهم وجدوا نعمة التعاون الحقيقي والانسجام التام في صلاة مشتركة خلال زيارة لهذه الغاية ، الى معبد سيدة لبنان أو الى ضريح مار شربل أو معبد القرية ، حيث لبس الخطّيبان الخاتم وتعاهدا على الأمانة في المحبة والوعد .

(مثلاً : أعرف فتاة رفضت الاقتران بطبيب ذي مكانة اجتماعية ، لأنه غير ممارس ، وتزوّجت من اكليريكي ، فأعطت شهادة لمجتمعها وبيئتها ، وتأثّرت بها صديقتها ، فرفضت دكتوراً في العلوم الانسانية ، لأنه لا يؤمن بما تؤمن ...) .

٢ ــ الليتورجيا في حياة العروسَين تعبّر من خلال علامات خاصة : أولها المحبة التي تتجلّى بالصراحة والهدوء والروية والصلاة اليومية الشخصية المألوفة ، وهذه كلّها مناخ ليتورجي ملائم لقداسة الزوجين .

(البابا يوحنا الثالث والعشرون اعطى غفراناً ٣٠٠ يوم لكل رجل يقبّل خاتم زواج امرأته ولكل امرأة تقبّل خاتم زواج بعلها ...) .

من هنا ، تبرز لنا أهمية الليتورجيا ، خاصة في حياة العروسَين وتحضيرهما لهذا السرّ العظيم ، سرّ الزواج المقدس .

٣ ــ أ ــ الاحتفال الليتورجي برتبة الاكليل

الخطيبان اللذان يعرفان جيداً التزامهما الحياة الجماعية في الرعية ، أي في الكنيسة الحيّة والمجاهدة ، يعرفان جيداً ان سرّ التوبة هو أساس لكل ليتورجيا . لذلك ، قبل البدء بالتحضير المادي لحفلة الزفاف ، يستعدّان روحياً لقبول هذا السرّ العظيم بتقدّمهما من منبر سرّ التوبة ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وعلامات الليتورجيا ، ولوكانت مادية بطبيعتها ، فهي لا غنى عنها :

* التحضير الروحي : تهيئة حفلة العرس ليتورجياً — اختيار التراتيل والصلوات والنيّات والمشاركة فيها .

* اكليل مع قداس ، ليكونا خميرة للبناء في العائلة الجديدة . مهما عصفت رياح الشرّ واستفحل الجهل ، تتذكّر العائلة قداسها الأول فتخطو بشجاعة وقوّة تناهض اعداء الايمان بايمان راسخ يقوم على أسس سليمة ، ونقطة انطلاق هي بمثابة النور في الظلمة ... مهما كبر الظلام واتسع ، فهو أضعف من أن يطفئ شمعة ولو صغيرة ... المهم هنا تفهّم النصوص واحياء الطقوس خاصة اذا كان العروسان مختلفي المذهب ...

ب — الليتورجيا في حياة العروسين : يبنيان حياتهما على صخرة الايمان فلا تتزعزع

* صخرة الصلاة اليومية الفردية والجماعية .
* صخرة الاشتراك باحياء الشعائر الدينية والاحتفالات على أنواعها .
* صخرة المحبة التي تربط بينهما وهي أهمّ الركائز .

٤ — الليتورجيا في حياة العائلة المسيحية مع أول ثمرة أنعم الله بها عليهما

أ — المسيرة التي عزما عليها تكمّل التربية التي تلقاها الوالد والوالدة في بيت اهلهما : « الليتورجيا تَبني ، كلّ يوم ، الذين هم في الداخل ، لترفع منهم هيكلاً مقدّساً في الرب ومسكناً لله في الروح لبلوغ اكتمال المسيح . وهكذا تقوى عزائمهم بطريقة عجيبة تحملهم على التبشير بالمسيح » (مقدّمة دستور المجمع الفاتيكاني الثاني) .

فيتربّى الطفل ، وهو في احشاء امه ، على جو الصلاة وما يتبع من تأملات ومطالعات ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ب — خلق الجو الروحاني المسيحي الملائم له

المثل أمام الولد = التراتيل — جو الصلاة — الكلمة الحلوة والهدوء في المعاملة معه ومع الآخرين ... فكما ان الوالدَين هما كاهنا سرّ الزواج المقدّس ، فكذلك هما أيضاً كاهِنا هذه الليتورجيا المنزلية والعائلية التي تتألّف من المثل الحي = جو الصلاة — إسماع الطفل بعض التراتيل السهلة والحلوة والملائمة مع الزمن الطقسي (ابنتي تعلّمت : مَن تجلّى لموسى ... وقاديشات ...) في سنتها الأولى ، فأول كلمات لفظتها غير ماما وبابا ، كانت التراتيل التي تسمعها ... وجان بيار ، كان لدى رؤية الصليب ، يصرخ Jésus .

اذاً ، للعمل الليتورجي البيتي طقوس خاصة : علامة الصلاة في الصباح والمساء وقبل الأكل وبعده وجعل فرح المسيح يهيمن دائماً على مختلف تغيرات حياتنا وتقلّباتها. الصدق والصراحة = صلاة مع الصلاة وهذا أكبر درس روحي للطفل ... كلها طقوس مميزة للروحانية البيتية .

٥ — الليتورجيا في سرّي العماد والتثبيت المقدّسين

المعمودية سرّ المحبة الأول ، لدخول فرح المسيح الى العائلة مع نعمته الأولى واستمرار هذا الفرح في العائلة يجب تحضير حفلة العماد والتثبيت ليتورجياً :

الاحتفال = فرح . والمسيح يُشركه بفرحه كلَّ الذين يحتفلون بالاسرار ويقبلونها . فيتّضح للمحتفلين انه بالعماد ينزع الانسان القديم ويصير الانسان ابن الله والكنيسة . وبالتثبيت يحلّ الروح القدس ويساعد على نمو الطفل في الايمان . ولقد أكّد ذلك الدستور في الليتورجيا المقدّسة بقوله : « تتوق الكنيسة الأم الى أن يبلغ كلُّ المؤمنين الى المشاركة التامة الواعية والفعّالة في الاحتفالات الطقسية . المشاركة التامة والفعالة لكل الشعب . يجب أن تكون الهدف في تجديد الطقوس » .

لهذا ، يجب العمل على ازدهار معنى الجماعة الرعائية ولاسيما الاحتفال الجماعي في الاسرار من حيث فهم النصوص والتراتيل ... عندئذ ، نعرف جيداً كيف يجب علينا ان

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

نختار العرّاب والعرّابة : مؤمنين ملتزمين بالرسالة العلمانية والعائلية ليُعلّما بالمثل مَن أخذا على عاتقهما مسؤوليته الروحية .

٦ ــ العلاقات البيئية والصعوبات اليومية هي ليتورجيا من نوع آخر

الليتورجيا في العائلة المسيحية مع الولد الثاني :

ان الولد الثاني سينشأ على التربية التي تلقّاها الأول ؛ لذلك الاهتمامُ بالولد البكر مهمّ ومتعب في آنٍ .

* متعب ، لأن الخبرة في شؤون التربية تنقص الوالدين .
* متعب ، لأن الوالدين يحرصان على الولد البكر ويحوطانه ويردانه ان يشعر بحبّهما الجمّ ، فيبادلهما الحبّ ويكونان له المثال الأعلى .

كثيراً ما يعاكس الولد أهله ليفرض وجوده ، فعلى الأهل التروّي وعدم الانفعال وايجاد الكلمة الحلوة والطيبة ، والحكايات الدينية المربيّة ... لا أدخل هنا في علم النفس ، انما هي ليتورجيا بيتية ، ليتورجيا الأطفال كما يوجد أدب الأطفال ...

(مثل المسيح المطيع لوالديه ... أخبار بعض القديسين ...)

الخاتمة

لا شكّ ان مثل هذه المناخات الليتورجية العائلية تخرّج القدّيسين والقدّيسات كما تخرّج الدعوات الاكليريكية والرهبانية ، الرجّالية والنسائية ...

أملنا ان تتحقّق هذه العلامات الليتورجية فتنتشر بين كلّ العائلات ، وتتقدس كلّ عائلة لتبلغ ملء اكتمال المسيح وتتقوّى عزائم الزوجَين للتبشير بملكوت الله ، بدءاً من بيتهما ، أو كنيستهما البيتية .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بعض مراجع :

١ – Foyers rayonnants, tomes I-II-III, François Dantée:
— Guide moral de l'amour chrétien
— Guide spirituel des chrétiens mariés
— Guide apostolique des époux chrétiens

٢ — العائلة المسيحية ووظائفها في عالم اليوم ، المطران فرح .

٣ — الليتورجيا العائلية في الكنائس المسيحية الشرقية ، بيار الأشقر .

٤ — الدستور في الليتورجيا المقدسة .

٥ — يوحنا فم الذهب .

ملاحظة : كما سبق وقلت في مستهل الموضوع ان البحث تركز على خبرتين :

* خبرتي العائلية : في عائلتي .
* خبرتي الرعوية : في عائلات رعيتي .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الليتورجيا والأسرة المسيحية

الدكتور سمير خوري

من مواليد جبيل سنة ١٩٤٢ .
يحمل اجازة في الفلسفة من جامعة الروح القدس ــ الكسليك ،
واجازة في الآداب الفرنسية من جامعة القديس يوسف ،
ودكتورا في علم الاجتماع من جامعة السوربون في باريس .
استاذ في الجامعة اللبنانية وفي جامعة الروح القدس (في كلية الفلسفة والمعهد الليتورجي) .
شارك في اعداد كتاب : « المجتمع اللبناني الجديد بنظر فاعليات الطوائف المسيحية » ، الكسليك ، ١٩٨٤ .

تصميم المحاضرة

١ ــ ملاحظات مفهومية ومنهجية

٢ ــ الليتورجيا والأسرة : موضوع يبعث الفرح ويثير القلق

١٠٢ غرابة وحداثة

٢٠٢ مفهوم العلاقة بين الليتورجيا والاسرة المسيحية

٣٠٢ الفرد والأسرة في اطار الدين

٣ ــ الليتورجيا اداة تزخير الايمان والاندماج الاسروي المسيحي

١٠٣ الليتورجيا وتأثير دورها الاجتماعي ــ الديني اسروياً

٢٠٣ مدى اشعاع ليتورجيا الاسرار على بدائلها الاسروية

٣٠٣ تحول أوضاع الاسرة وأثره على علاقتها بالليتورجيا المقدسة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٤ — الليتورجيا طريق القداسة
١٠٤ الحبّ الزوجي صورة العهد بين الله وشعبه
٢٠٤ الاسرة المسيحية والقداسة
٣٠٤ الاسرة المسيحية في عيشها الليتورجيا هي صورة لمثال مفقود
٥ — متى يهبّ الروح !

* * *

١ — ملاحظات مفهومية ومنهجية

أرى من المفيد ، قبل تناول موضوع محاضرة الليلة ، ابداء بعض الملاحظات المفهومية والمنهجية ، ملتزماً بذلك :

* دقّة الوضوح في الافهام تسهيلاً للفائدة وللمناقشات اللاحقة .
* ومن جهة ثانية ، حصر الحديث في الموضوع المطروح ، فلا أتطرّق الى سواه إلاّ بقدر ما تقتضيه المعالجة السليمة ، اقله كما اراها ، مفسحاً بذلك في المجال لتتبّع المعالجة دونما التباس في فهم ما يقال ، ودونما شطط في افهام ما أقول .

من أجل هذا ، سأُوجز الملاحظات على الشكل التالي :

أولاً : تحمل محاضرة الليلة ، بحسب منشور معهد الليتورجيا ، تسمية « الليتورجيا والعائلة المسيحية » . في هذه الحال ، لا بد من أن نكون على بيّنة من المفردات — المفاهيم الثلاث دون تعمية أو ابهام أو اختزال . فما هو المقصود بكل منها على حدة ؟ وبها كلها مجتمعة ؟ ان التوضيح هنا هو في غاية الأهمية ، وعليه تتوقف سلامة تناول الموضوع . فلا نعني ذوي القربى أو الابعدين ، المقيمين معاً أو المتباعدين ... في معرض الحديث عن الزوجين وابنائهم . وهذا ما يسمح به مفهوم العائلة ، مثلاً . ولا نعني أية صلاة ، أو تمرين أو حركة أو قراءة دينية تتمّ داخل الوحدة الزوجية أو خارجها ، فما الحديث يتناول الليتورجيا ... والا أصبح كلُّ شيء يعني كلَّ شيء ، ويُخشى ، في نهاية الأمر ، ألا نكون تحدّثنا عن أيّ شيء .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ثانياً : الأسرة

حصراً لما يقصده واضعو برنامج معهد الليتورجيا من مفهوم « العائلة » في عنوان محاضرة الليلة ، فقد استبدلته بمفهوم الأسرة . ان لمفهوم الأسرة في العلوم الاجتماعية نسبة الى مفهوم العائلة ، فضل التخصيص والدقّة والتحديد القابل للقياس العلمي حصراً . فالاسرة تعني مجموعة الأفراد الذين يقيمون معاً وطوعاً تحت سقف واحد ويجتمعون حول مائدة واحدة . فهي تتكوّن ، عادة ، من الزوجين وأولادهم غير متزوجين دون سواهم إلا في ما ندر . في حين ان مفهوم العائلة ، غالباً ما يتخطى واقع الأسرة هذه وحجمها الديموغرافي ، ليشمل ، عامودياً : الآباء والاجداد أو الأحفاد ، وافقياً : الأخوات والأخوة المتزوّجين والأعمام والعمّات غير متزوّجات ، وجانبياً : الانسباء الأقربين أو الخدم ، ومكانياً : قد لا يقيم هؤلاء تحت سقف واحد وحول موقد واحد . فنظراً لتعقيدات علاقات القربى ، وتفاوتها وفق المجتمعات البشرية المختلفة ، صاغ علماءُ الاجتماع والانتروبولوجيا مفهوم العائلة الكبرى الموسّعة ، والعائلة الوسيطة المتفتّحة ومفهوم الأسرة أو الأسرة النواتية .

ثالثاً : الاسرة المسيحية

يصعب التعريف بدقّة وعلى عجل بمفهوم تلك « الاسرة المسيحية » ، ما هي مؤشراتها ومميزاتها ؟ بِمَ وكيف تُعرف ؟ ... أَهِيَ أسرةُ مسيحيين ؟ وأي مسيحيين ؟

* اولئك بالانتماء المسيحي ؟ وأي انتماء ؟ الوراثي أو الاجتماعي ، البيئي أو الشخصي ؟
* اولئك بالممارسة الدينية ؟ وأية ممارسة ؟ الظرفية المظهرية ، أو المناسباتية البروتوكولية أو المداومة أو المتعبّدة والمتصوّفة ؟
* اولئك بالايمان الديني ؟ واي شكل من الايمان ؟ الايمان التطيري السحري ، أو الحقوقي أو الاخلاقي الأدبي أم الفلسفي أم الايمان الحيّ الشخصي بالمسيح ؟ ...

اكتفي بهذا القدر من الاسئلة والتساؤلات . ومعه اكتفي بالقول بالحد

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأدنى : ان الاسرة المسيحية هي تلك التي تضمّ المعمّدين باسم المسيح والذين ، بالرغم من فقر فهمهم اللاهوتي ، ولا نظامية ممارستهم الدينية ، لم ينكروا بعد ايمانهم بالمسيح وبالكنيسة ، ولم يتنكّروا لتنشئتهم الدينية ، وهم ، الى ذلك ، في وضعية اجتماعية وذهنية تجعلهم يتقبّلون ، لا بل يُقبلون ، على إحياء وإثراء روحانية حياتهم الاسروية مسيحياً ، اذا ما أُعطوا فرصة لذلك .

رابعاً : الليتورجيا

حبذا وأنا أخاطب اختصاصيي الليتورجيا ، بموضوع اختصاصهم ، لوكان لي ما يجعلني واحداً منهم . ولكنّي اعتقد — وارجو أن أكون على صواب — بأن العلوم الاجتماعية ، كونها تعنى بدراسة أنماط العلاقات الاجتماعية ، بما فيها من رتب وطقوس وقيم وتقاليد ، وأساليب تعبير واتصال ، وشبكات رموز وحركات وضوابط معيارية وحقوقية ونظم سلطة وسلطان ... ، تقرّب صاحبها من الليتورجيين ، أقلّه على مستوى الفهم والتحليل .

ما هي الليتورجيا حصراً وتعميماً ؟ ما الذي ينضوي تحت هذه التسمية ويصحّ نعته بها ؟

استناداً واعتماداً على « دستور الليتورجيا المقدسة » ، الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني ، يمكن استخلاص ما يلي :

أ — تُطلق تسمية ليتورجيا حصراً على أسرار البيعة وبخاصة على سرّ الافخارستيا . وتطلق تعميماً على جملة من العبادات والقراءات والصلوات التي توليها السلطة الكنسية طابعاً رسمياً وعلنياً دون ذكرها اسمياً أو تحديدها عملياً .

« ... وهو (أي المسيح) حاضر في كلامه ، لأنه هو من يتكلّم عندما تتلى في الكنيسة الأسفار المقدسة ، وهو حاضر أخيراً في الكنيسة عندما تتعالى فيها الصلوات والأناشيد ... » (دستور الليتورجيا ، عدد ٧) .

وما عدا ذلك من الأفعال التقوية والعبادات ، فهي في تمارين « ... ينبغي ان تنظّم مع مراعاة الزمن الطقسي بحيث تتلاءم والليتورجيا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المقدسة ، فتأتي وكأنها تتفرّع عنها ، فتقود الشعب اليها ، لأن الليتورجيا تفوق بطبيعة الحال هذه التمارين قدراً الى حد كبير » (عدد ١٣) .
وهكذا يتبيّن بشكل قاطع أن تسمية الليتورجيا هي وقف على الديانة المسيحية ولا يصحّ اطلاقها إلا على رتب وطقوس وعبادات الدين المسيحي دون سواه .

ب ـــ هناك عدّة شروط لكي يكون العمل الديني ليتورجيا :

١) ان يكون احتفالياً ، لا عملاً خاصاً « ليست الأعمال الطقسية أعمالاً **خاصة ، انما هي احتفالات** تقوم بها الكنيسة التي هي « سرّ الوحدة » ، أعني الشعب المقدّس الموحّد والمنظَّم تحت سلطة الاساقفة » (عدد ٢٦) .

٢) ان تقرّه السلطة الكنسية . ولها وحدها حقّ النظر فيه . « ... لذلك لا يُقْدِمَنَّ احد ، بسلطانه الذاتي ، سوى من ذكرنا ، ولوكاهناً ، على اضافة أو حذف أو تبديل شيء اياً كان ، في الليتورجيا » (عدد ٢٢) .

٣) ان يتمّ اداؤه **في الكنيسة** (عدد ٧) ، في الابرشية الكاتدرائية (عدد ٤١) ، وفي الرعية (عدد ٤٢) ، أي في أمكنة تتوافق والتقسيمات الادارية والمؤسّسية الجغرافية الكنسية .

٤) يرئس العمل الليتورجي من يتمتع بالسلطة الدينية رسمياً وشرعياً أي الأسقف (عدد ٤١) والكاهن (عدد ٣٣ ، ٤٢) أو « الشماس أو من يفوض ذلك اليه الأسقف » . (عدد ٣٥ البند الرابع) .

٥) لليتورجيا طابع الرتب كما يعرّفه الانتروبولوجيون أي الطابع الترادي النظامي .

ج ـــ يتحدّث « دستور الليتورجيا المقدسة » مراراً عن الجمهور أو الشعب أي مجموع الأفراد المؤمنين ، وفي بعض الأحيان عن المسيحي الفرد ، ولكن في وضع جمهوري احتفالي في علاقتهم بالليتورجيا . ويقتصر دور الفرد أو الجماعة على « الاشتراك بالليتورجيا اشتراكاً تاماً واعياً فعلياً » (عدد ١٤ ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢١ ، ٣٠ ، ٤٨) . ويطلب « ... ان تشير الروبريكات الى ما يجب أن يقوم به المؤمنون من ادوار » (عدد ٣١) . فالاكليريكيون وحدهم يقومون بالليتورجيا ويترأسون الجماعة المحتفلة (عدد ٣٣) .

د — لم يأتِ الدستور ، في أي من قوانينه المائة والثلاثين ، على ذكر الاسرة وعلاقتها بالليتورجيا ، أكانت تلك العلاقة اشتراكاً أم صلاة أم تثقيفاً ، وكم بالأحرى مبادرة في العمل الليتورجي . وهذا ما سنتطرق اليه ادناه (أنظر ١٠٢ ، و ٣٠٢) .

خامساً : سأحاول ، قدر المستطاع ، ألا أثقل أسماعكم بما لم تألفوه من مفاهيم خاصة بالعلوم الاجتماعية ، وصفاً كان أم تحليلاً . حسبي أن أجتهد فأساعدكم على تحقيق أهداف الليتورجيا في المجتمع ، وعلى تفهّم واقع الأسرة المسيحية ، وواقع حاجاتها الروحية من الليتورجيا .

٢ — الليتورجيا والأسرة : موضوع يبعث الفرح ويثير القلق

هو موضوع يبعث الفرح ويثير القلق في آن :

* أما الفرح الروحي ، فلكون الليتورجيا تحاول التوجّه مباشرة الى الاسرة كوحدة عيش من حيث ان هذه الأخيرة هي أولى أقدم وأثبت مؤسسات المجتمع ، انها وحدة حياتية ، حاصل رقمي من الأفراد تتناولهم كلاً بمفرده وكلاً على حدة .
* وأما القلق ، فلكثرة ما يصطدم به هذا التوجّه الديني من إشكالات نظرية وصعوبات عملانية ، لا حلّ ممكن أو مرتقب لبعضها .

١٠٢ غرابة وحداثة

تكمن غرابة طرح موضوع « الليتورجيا والاسرة المسيحية » في حداثة هذا الطرح . فلم يسبق ان أثير سابقاً كموضوع بحث في تاريخ الفكر الكنسي . وقد مرّ معنا ان « دستور الليتورجيا المقدسة » نفسه وهو أحدث وثيقة رسمية ، لم يعر الأسرة أي اهتمام ، فهو يجهل

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع . فالسلطة الكنسية تعتبر ان الشعب ، أي الجمهور الاحتفالي ، هو موضوع الليتورجيا أصلاً . فليس من ليتورجيا ممكنة بتغييب الشعب المسيحي حتى ذهنياً . فالليتورجيا لا تقتضي وجود حلقة وسيطة ، أياً تكن هذه الحلقة ، ما بين الفرد المسيحي والجمهور الاحتفالي . الاسرة ، اذاً ، ليست موضوع الليتورجيا ، ولا دور لها فيها من حيث هي أسرة .

ما الذي يفسّر تغييب الليتورجيا للأسرة ؟

ليس هذا التغييب سهواً في « دستور الليتورجيا المقدسة » . فهناك عدة أسباب تفسّره .

أولاً : طبيعة الديانة المسيحية

المسيحية ديانة عالمية لا قومية ، فهي تميّز وتفصل بين ما هو لله وما هو لقيصر : أي ما بين المجتمع الديني société religieuse والمجتمع المدني société civile . فالأول يتمحور حول شأن الله ، والثاني يتشرنق حول شأن القيصر . هناك بالطبع تقاطع ، ولكن لا تَطابُق أو ادغام بين المجتمعين .

ان للسلطة الكنسية مطلق الصلاحية في المجتمع الديني ، فيما هي ، بالمقابل ، محدودة أو معدومة الصلاحية في المجتمع المدني . وهكذا يتبيّن ان البابوية والبطريركيات والابرشيات والرعايا ، كما الرهبانيات والأديرة ... ، هي كلها مؤسسات تنظيمية ادارية — محض دينية . فالرعية هي المؤسسة — الخليّة الابتدائية في تنظيم المجتمع الديني المسيحي . ان كلاً من هذه المؤسسات المحض دينية هو قابل للاحتفال الليتورجي . هو المادة والاطار الشرعي للاحتفال بها . من هنا ، يُفهم سبب اعتبار الصلوات الرهبانية والعبادات التقوية ... ليتورجية . أما الأسرة ، فلم تعد ثمة تعتبر تشكيلاً اجتماعياً ، أي مؤسسة محض دينية في المسيحية ، كما هي الحال في الديانات القومية أو تلك الشبه قومية كالاسلام ، حيث يدغم المجتمعان الديني والمدني ، وينتفي التمييز والفصل بينهما . فكلّ شأن ديني هو مدني في آن .

وهذا ما يفسّر كيف أن الروبريكات والرتب والشعائر في الاسلام تبقى هي هي ، أقام بها الفرد أم الأسرة أم الجامع أم الحجيج . وهي مفروضة عليهم جميعاً .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ثانياً : السلطة الكهنوتية

المسيحية ديانة كهنوتية ايمانياً ، يشترك المعمَّدون ، في كهنوت المسيح ، مشكّلين ، بذلك ، شعباً كهنوتياً رأسه المسيح . أما وظائفياً ، فهي ديانة تضمّ كهنة وبالتالي سلطة كهنوتية مميّزة . ولهؤلاء وحدهم صلاحية التمّرس بالوظيفة الكهنوتية حصراً ، دون ربّ الأسرة أوكبير العائلة أو شيخ القبيلة ، أو زعيم العشيرة ، أو سيد القوم أو ملك الدولة ، كما كانت هي الحال في بعض الديانات وفي الكثير من المجتمعات التي ما يزال بعضها قائماً حتى اليوم . تجاه الوظيفة الكهنوتية ، يصبح المؤمنون اللااكليريكيين سواسية في المجتمع الديني . « ... فالكاهن يرئس ، في شخص المسيح ، جماعة المؤمنين ... » (عدد ٣٣) ، أما الشعب الذي يشترك في الليتورجيا ، « ... فيحضّ على اطلاق الهتافات والأجوبة وترتيل المزامير والانتيفونات والأناشيد ، وعلى القيام بالأعمال والحركات والمواقف البدنية بما يوافق المقام ... » (عدد ٣٠) . وما عدا ذلك ، « ... لا سبيل في الليتورجيات على الاطلاق الى مراعاة ما للأشخاص من مقام وحالة سواء كان في الحفلات الدينية أم في الاحتفالات الخارجية ... » (عدد ٣٢) .

٢٠٢ أي فهم للعلاقة ما بين الليتورجيا والاسرة المسيحية ؟

هناك أربعة أوجه اساسية لفهم العلاقات الممكنة ما بين الليتورجيا والاسرة ، وهي أوجه مترابطة متداخلة ، تستدعي معالجتها الاستعانة ، بمقاربات متنوّعة لاختصاصات متعدّدة . سأُحاول تفريد المعضلات ، وفق ميادينها ، على الشكل التالي :

أ ــ ما مدى توجّه الليتورجيا نحو الحياة الاسروية ؟

ما هي منزلة الاسرة ، كمصدر حبي مقيّم لانماط التعبير والسلوك والمعايير الاجتماعية ، في الليتورجيا ؟ كيف وما وبمَ تعكس الأشكال الحسية الادائية للمضامين العبادية في الليتورجيا حياة الأسرة المسيحية ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يطرح هذا المفهوم مشكلة دينامية الليتورجيا في قدرتها على تمثّل واستيعاب الاشكال الحضارية والثقافية ، وعلى مواكبة تطوّر هذه الأشكال بانتقاء الخيّر والسليم منها ، انطلاقاً من مصدرها الأسروي . هذا طرح يهتمّ له اللاهوتيون والمفكّرون الليتورجيون بالدرجة الأولى ، اذ يثير مشكلة الرموز والتعابير والحركات والتجسيدات المادية البدنية والجمالية ... في تحقيق صفاء البناء الليتورجي . وهذا ، بالضبط ، ما الحّ عليه « دستور الليتورجيا المقدسة » في الكثير من قوانينه . سأضرب مثلاً على ذلك : ألا ترون ان حركة **الركوع** تستوجب اعادة النظر فيها في الليتورجيا المارونية ؟ وذلك لأسباب أهمها : ان الركوع كحركة ليتورجية لا رديف لها مدنياً واجتماعياً ، ولا وجود لها في الأسرة . وان وُجدت ، فالمراد بها لا يتوافق ومراد الليتورجيا منها : ان لها طابع القصاص أو الاقتصاص التربوي ، أو الاذلال العسكري ، أو الخضوع والاخضاع السياسي أو الخنوع الشخصي أو الانتقام الاقتصادي ... لذلك يلاحظ رفضها شعاراً ثورياً مقاوماً مثالياً لدى الجميع « لن نركع » ... ، اضافة الى انها حركة دخيلة على الليتورجيا المارونية وقد استعارتها أو فرضت عليها من اللاتينية حين كان الركوع ذا معنى اجتماعي . فهو يرمز الى ولاء الفارس لسيده والفيودالى لمليكه ، كما كان يعني الترقّي في سلّم الامانات .

ب — ما مدى اتجاه الأسرة نحو الليتورجيا ؟

ما مدى فهم الأسرة وتعلّقها واشتراكها في الليتورجيا الرعائية ؟ لِمَ ومتى وكيف تلاشت الممارسة الدينية للأسرة ؟ ما الذي أنهكَ الاندفاع المسيحي لدى الأسرة ؟ ...

يطرح هذا المفهوم مشكلة الممارسة الدينية للأسرة أي مشكلة الفتور والانسلاخ ... وهذا شأن يهتمّ له الكهنة والمفكّرون الرعويون كما الاجتماع — دينيون . هل أصبحت الأسرة ، وبالتالي المجتمع ، أقل تديّناً ، فلم يعودا يتذوقان الليتورجيا ؟ أم هل أصبحت الليتورجيا ، كما الدين ، أقل اجتماعية ، فبطلت قدرتها على استقطاب الأسرة ؟ سأتناول هذا الفهم للمشكلة متقدّماً ببعض ما يفسّرها (أنظر أدناه ، ٣٠٣) .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ج — ما مدى استلهام الأسرة المسيحية رسالة الليتورجيا ؟

كيف يُثري المسيحيون حياتهم الاسروية روحياً بما تزخر به الليتورجيا المقدّسة ؟ هل وكيف تمّ اعدادهم لفهم ما تمدّهم به الليتورجيا من غذاء ايماني وروحي ؟ ما مدى قدرتهم على الاستيعاب ، وما مستوى ما استوعبوه دينياً ؟ ما هي طاقتهم على ترجمة رسالة الليتورجيا في حياتهم الاسروية ؟ ...

يطرح هذا الفهم مشكلة التثقيف الديني للاسرة بقدر ما تكون قد عولجت مشكلة التعليم الديني لافرادها . وهذا أمر يهتمّ له المبشّرون والمعلّمون والرعاة . الاسرة هي بيئة التنشئة المسيحية الأولى . فمن الخطأ الاستعاضة عنها بالمدرسة ، ومن الأخطر عدم الاهتمام بها ومساعدتها للاعتناء بشأنها المسيحي ورسوليتها المسيحية .

د — ما مدى صلاحية الاسرة لأداء الليتورجيا ؟

ما هو سلطان الأسرة ، الزوج أو الزوجة ، على اداء ليتورجي ؟ أيجوز لهم القيام بأفعال تُدعى ، بحقٍّ ، ليتورجية ؟ هل تبقى هذه الأفعال افعالاً ليتورجيّة مقدّسة اذا ما أَدَّوها في أُسَرهم ، دون مساس في الشكل أو المضمون ، أي تماماً كما أقرّتها السلطات الكنسية ؟

يطرح هذا الفهم مشكلة حقوقية وعقائدية في منتهى الدقّة ، فهو يثير ، عملياً ، ضرورة توضيح مقاييس ومبادئ يحكم بموجبها على وقائع الحياة المسيحية بدقّة . فتوضّح حدود كهنوت المعمّدين العام نسبة الى كهنوت الكهنة الخاص ، وحدود ما يندرج دون التباس أو ابهام تحت « الليتورجيا المقدسة » وما هو ليس كذلك . فلو سلّمنا ، مثلاً ، ان زياح السيدة ، وتساعية الميلاد والصلوات الرهبانية هي أفعال ليتورجية يقوم بها جمهور احتفالي يرئسه الكاهن في كنيسة الدير أو الرعية ، فهل تصبح هذه الأفعال مجرد رتب وعبادة تقوية أو صلاة ، فيما لو قام بها الزوج أو الزوجة داخل أسرتهم ؟

ان كلاً من أوجه فهم العلاقة ما بين الليتورجيا والأسرة المسيحية بما يحرّكه من معضلات جديرٌ بأن يفرد له بحث خاص به . ولكني ، اتماماً لما سبق ، سوف أتابع المعالجة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مركّزاً على المفهوم الثاني والثالث بعد توقف أخير عند المفهوم الرابع لهذه العلاقة ، لمقاربة الاشكالات المثارة وفق مقاربة النظريات الاجتماعية .

٣٠٢ الفرد والأسرة في اطار الدين

لقد توضّح لنا أعلاه ، وإن جزئياً ، سبب تغييب الليتورجيا للأسرة ، بفضل مقاربة اصابت طبيعة الديانة المسيحية وبنية السلطة الكهنوتية فيها . فاستطراداً يمكن لهذه المقاربة عينها تفسير منزلة الفرد والأسرة في اطار الدين . لذلك ، سأستعين بما صنّفه علم اجتماع الاديان ما بين الديانة القومية والديانة العالمية .

الديانة العالمية هي ديانة منفتحة ومروحنة . هي دعوة موجّهة الى كل انسان من حيث هو شخص حرّ واعٍ لفرادته . موضوع دعوتها هو الفرد نفسه . ان فعل الانتماء اليها ، وبالتالي الخلاص ، فهو فعل شخصيّ ارادي لا فعل وراثيّ بالولادة . فالفرد يخلص بنسبة إيمانه وأعماله لا بفضل ذويه « أُترك كلّ شيء واتبعني » ، « دع الموتى يدفنون موتاهم » ، « إن أمي واخوتي واخواتي هو من يعمل بمشيئة الآب السماوي » (متى ١٢/٥٠ ؛ لوقا ٨/١٩) .

أما الانتماء الى اسرة أو عائلة أو قوم ، فلم يعد يحكمه الرابط الديني ... هذا ما يفسّر لِمَ الليتورجيا المسيحية هي موجّهة الى الفرد لكي يتجمهر احتفالياً ، لا الى الاسرة من حيث هي اسرة . والاستجابة هنا تكون للفرد لا لأسرته ، فهو وحده المسؤول عنها . قد يتضامن الفرد ، بعصبية عضوية مدنية ، مع اسرته وذويه في أمور كثيرة . ولكن ، كيف يمكن أو كيف يصحّ أن يتضامن المسيحي مع ذويه في شأن الاشتراك في الليتورجيا أو عدمه ؟ وما قيمة هذا الاشتراك ان لم يكن ، أصلاً ، فعلاً حرّاً مسؤولاً اختيارياً ؟

ومن جهة أخرى ، واضافة الى كون المسيحية ديانة عالمية ، فهي ديانة تتضمّن السلطة الكهنوتية . فما يعتبره الانتروبولوجيّون والاجتماعيّون رتباً وطقوساً وعبادات ... في الديانات الأخرى ، يكتسب هنا طابعاً جوهرياً فريداً وخاصاً بالمسيحية ، فيصبح ليتورجيا . وعليه ، ان وجود السلطة بوظفائها الكهنوتية حصرياً ، ووضوح مقومات الافعال الليتورجية ، هما ما يثقّل تفلّت الطابع النبوي في المسيحية ، حيث « عبادة الله هي بالروح والحق » (يوحنا ٤/٢١ — ٢٤) ، فتستقيم العبادة ويصبح الرابط بين مطلقية حرية الروح الدينية وضوابط

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الرتب العبادية — أي الليتورجيا — متوازناً لدى الفرد ، كما لدى الجماعة ، وموازناً لهما معاً . والا لكانت المسيحية ايماناً فردياً تفردياً ، يستنسب فيه الفرد ، مزاجياً ، عباداته ، شكلاً ومضموناً ، دون اثبات أو مرتجع تقويمي سلطاني ، ولما كان قيام الكنيسة ممكناً لكون المسيحيين جزراً افرادية متحاذية . وبالتالي لانتفت المسيحية بانتفاء وجود وحدة الجسم السري الذي رأسه المسيح . ان أوّل أهداف الليتورجيا هو وحدة هذا الجسم السري (دستور الليتورجيا ، عدد ١) .

أما الديانة ذات الطابع القومي ، فهي مرتبطة بالقوم بالقبيلة ... هي ديانة القوم والقبيلة . موضوع هذه الديانة هي الجماعة لا الأفراد كلّ بمفرده . الانتماء اليها هو ، وراثي بالولادة ، فمن الصعب الدخول في الدرزية ، مثلاً ، ومن الخطر الخروج من الاسلام ؛ والخلاص أيضاً هو فعل جماعي لا فردي ، « من أخطأ ، هذا أو أبواه ؟ » . فالعصبية القومية هي عصبية دينية ؛ فكل خروج على هذه هو خروج على تلك وهو يعرّض صاحبه للحرم ، للعار أو للقتل « للحكم المرتدّ » . فكل ما يُفرض حقوقياً وشرائعياً على الجماعة هو ضمناً ملزم للفرد . وهذا هو حال رتب الديانة القومية وطقوسها وشعائرها . يؤدّيها الفرد كما الجماعة تماماً . ان وجود أو عدم وجود سلطة كهنوتية أو شبه كهنوتية لا يغيّر شيئاً في شكل العبادات ومضمونها . فروبريكاتها مقدّسة لا تمسّ ، وعلى الجميع القيام بها . فصلاة الصبح أو المغرب ذاتها يؤدّيها المسلم في الجامع ، كما يؤدّيها رب الأسرة في بيته .

٣ — الليتورجيا اداة تزخير الايمان والاندماج الاسروي المسيحي

تمدّ الليتورجيا المعمّدين بالقوت الروحي ، وبه يُخصبون حياتهم الاسروية . هي اداة وسبيل الاثراء الروحي اسروياً لوفرة « ما تخرجه من جدد وقدماء » ، بل هي واسطة اللقاء الاتحادي عامودياً مع الله والالتقاء التوحيدي افقياً مع الأخوة المؤمنين ، أي مع أعضاء الاسرة الواحدة .

١٠٣ الليتورجيا وتأثير دورها الاجتماعي الديني أُسروياً

الليتورجيا هي اداة وسيطة ، فما كانت ممكنة أيام عاش المسيح على الأرض « أيستطيع

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أهل العرس أن يصوموا والعريس معهم ؟ » (متى ٩/١٤) ، وسوف تنتفي الحاجة اليها متى يتمّ اللقاء الثاني المباشر مع المسيح في يوم القيامة ، حيث يصبح « كلاّ في الكلّ » . وكأداة انسانية كنسية ، تزخر الليتورجيا بكنوز فائقة تعبّر عنها بوسائل وأساليب مختلفة فهي عبادة وتثقيف تقوي في آنٍ .

أ — دور الليتورجيا في الاندماج الاسروي بالكلمة Intégration par la parole

ان تلاوة القراءات المقدّسة ، والأناشيد والأخبار وسير القدّيسين والرسل ، والوعظ والكرازة والتعليم وترداد مختصر الايمان « النؤمن » ... ، كلّ هذه الأشكال المتنوّعة للكلمة في الليتورجيا تتمتّع بقوّة أكيدة في الدمج الديني الاسروي ، اذ تتمحور حول موضوع الايمان نفسه ، وحول المعايير والقيم نفسها ، وحول الصيغ والأدوات الادائية التعبيرية نفسها : لغة ، أمثلة ، حكم ، رموز ، استعارات ... وهذه كلها ترسّخ اللحمة العاطفية في الأسرة فتروحنها ، بل وتعقلنها عقائدياً .

ب — دور الليتورجيا في الاندماج الاسروي بالحركة geste

ان الممارسة الدينية والاشتراك في الأفعال الليتورجية ، والرتب والعبادات والاحتفالات والزياحات ، مع ما يرافق هذه الممارسات من حركات طقسية ، رموزية وبدنية ، وقوف وقعود ، دوران وانحناآت ، سجود وتطوافات ... كل هذه تدفع الى تمتين الصلة بين الجماعة الاحتفالية وبخاصة الجماعة الاسروية ، وبالتالي صهرها في جسم ثقافي ديني واحد . فلا تمايز ولا مفاضلة بين اعضاء الاسرة ... يتولد عن هذا الانسجام بالحركة شعورٌ عميق بالوحدة في الموقف بالوحدة في المصير ، وبوحدة الروح في الجماعة الاسروية .

ج — دور الليتورجيا في الاندماج الاسروي بالنثريات الدينية

ان الفنون والرموز والأشكال المادية المستوحاة من الليتورجيا مباشرة أو مداورة ، والمعاشة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في البيت الاسروي ، تدفع الى مزيد من الاندماج : صور القديسين أو تماثيلهم ، مذبح السيدة ، صلبان على الجدران ، شموع ، الكتب المقدسة ، الايقونات ، الأعياد الطقسية وما يرافقها ، كشجرة الميلاد والمغارة وأشخاصها ، مع بابا نويل ، الصوم والقطاعة ، مع ما يستدعي ذلك من تهيئة الوان الأطباق المناسبة ، الشعانين وأول قربانة وحاشية زينتها ، اسبوع الآلام وتقاليده المنزلية ، العنصرة وعيد الصليب والبربارة ومظاهر الابتهاج بها ... كما المعايدات وتبادل الزيارات والكلمات في المناسبات الطقسية ... كل هذه تنبع من الليتورجيا أو تصبُّ فيها ، فتشحن الحياة الاسروية بطاقة الاندفاع الديني وبنسيج شبكة القراءة الدينية للأحداث أقله نظرياً . بالطبع ، ان معرفة مدى تأثير الباعث الليتورجي والديني في نشر وتشجيع المظاهر المادية ، كالايقونات والصلبان والتزاويق وشجرة الميلاد والزينات المختلفة بمناسبة الميلاد والشعانين وأول قربانة مثلاً ... ومقارنته بالباعث النفعي لدى التجّار ومروّجي هذه المظاهر المادية ، هو موضوع يثير الحشرية المعرفية ، ولا بد من أن ينسكب عليه البحث والفكر الديني التطبيقي لاستخلاص العبر . فمن شاء أن يرى في هذا الأمر مادّة لتحسُّر أو ادانة ، فليفعل ؛ ومن يرى فيها مادة ابتهاج ورضى ، فله ذلك . ولكن ، في كلتا الحالتين ، لا بد من ايلاء هذا الموضوع ما يستحقّ من اهتمام .

٢٠٣ مدى اشعاع ليتورجية الاسرار على بدائلها الاسروية ؟

اذا كانت « العلاقات الحسية التي تستعين بها الليتورجيا المقدّسة ، تشير الى تقديس الناس وتحقّق ، كلّ منها ، هذا التقديس بطريقتها الخاصة » (دستور الليتورجيا ، عدد ٧) ، فيتمّ الرمز في اسرار البيعة ما يعنيه ، ويحقّق ما يعد به ، فذلك لأن هذه العلامات هي ، أصلاً ، مستقاة ومنتقاة من الواقع الاجتماعي ، من واقع حياة الاسرة ، وقد رفعت ، بتبنيها في أسرار البيعة ، الى شرف مادة السرّ نفسه . فالأسرار sacrements هي علامة signe اللقاء مع الآخر ، مع مثال الآخر أي مع المسيح . فمهمة اللقاء هذا ، مطبوعة في بدائل مادة الأسرار الاسروية . فبقدر ما يتمثّل assimilent أعضاء الأسرة فهمَ ايمانهم المسيحي ، وبقدر ما يولون حياتهم الاسروية العناية الكافية ، بقدر ذلك يمكنهم استلهام رسالة الليتورجية لروحنة أُسَرِهم بكل ما فيها . فيحقّقون ، بذلك ، دعوتهم المسيحية .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ان مائدة الطعام الاسروية ، التي تعصر فيها خلاصة عرق ودمع وفرح وحب الكل ، فتتجسّد في ما يقدّم عليها تقدمة من الكلّ الى الكلّ ، وتصبح تحقيقاً لسرّ تضحية الكلّ ، هذه المائدة تختلف ، نوعياً وروحياً وعلائقيا ، عن طاولة الأكل في المطعم ، مع ان الوصف الخارجي يظهر ان نفس الطعام قدّم على كل من المائدة والطاولة . انها الرمز المباشر ، النضج ، التهيئة لماهية الافخارستيا . حول المائدة وبمناسبتها ، تغتذي الاسرة أولاً بالمحبة والسخاء وروح الخدمة وبفرح اللقاء معاً ، المنبئ بنعمة سعادة لقاء وجه الرب . ومثل ذلك هو التبادل الفكري ، والحوار والعناية والحنان ... المتبادل بين أعضاء الأسرة ، ومثله الخصام والمنازعات والعذابات والمرض ، فالتصادم فالاقرار والمصارحة فالمسامحة والمصالحة ... المشيرة الى ولادة جديدة متجدّدة، لكونها معمّدة ببكاء الحزن ودموع الفرح ، وبأن الآخر في الاسرة مخلص هو ، هو بعض من كاهن يصفح ويصافح الآخرين ، فيصالحهم أولاً مع ذواتهم ....

اسمحوا لي التوقف ، ولو ومضة فكر ، على النزاعات في الأسرة . كلّكم يعرف ان محبة الله تنسكب على مادة الانقطاع عنه ، أي على الخطيئة ، فتحوّلها من سبب انفصال وموت الى سبب لقاء وحياة معه . وهذا بايجاز هو سرّ التوبة الرهيب والفتّان في آن . والاسرة تكون وتبقى أسرة مسيحية بقدر ما يحقّق اعضاؤها جوهر سرّ التوبة هذا .

من ناحية أخرى ، هناك عدة تفسيرات يمكن تقديمها لفهم ظاهرة تفريغ معنى ومضمون الخطيئة كما تعرّف بها المسيحية ، أهمها : النظرية الماركسية وفهمها للأخلاق كتعبير بورجوازي ، الطروحات الملحدة نظرياً — عملياً ، نظريات النفس التحليلية وخاصة الفرويدية التي ، وان ساهمت في رفع الالتباس ما بين عقدة الذنب وروح الخطيئة ، فقد ساهمت في تجويف هذه الأخيرة . تضاف ، الى كل ذلك ، الطروحات المادية المعاصرة والانحلالية الاخلاقية ... وأمّنا الكنيسة تسعى ، بالرغم من كل شيء ، الى تحسيس المؤمنين بماهية الخطيئة ... ومع ذلك بات لدى الكثيرين من المسيحيين ، علمانيين كانوا أم اكليريكيين ، ان الخطيئة هي انحراف أو خطأ يرتكب ضد مبدأ ما ، أو قانون ما ، أو قاعدة اخلاقية ، أي ضدّ شيء ما مجرّد ... أما داخل العلاقات الاسروية ، فكل خطأ هو ضد شخص حيّ نعيش معه يومياً ، أي ان كل خطأ ، مهما كان ، يتّخذ صفة وأبعاد الخطيئة بمفهومها المسيحي ، مما يدفع ، بروح مسيحية أو أقله حفاظاً على سلامة حياة الاسرة ، الى

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الإقرار بها فالمصارحة فالمصالحة . حسن هذا القول . ولكن الأنفع فيه دفع الأسر المسيحية نحو البنيان المسيحي Edification ، فترتقي الى مصافّ دعوتها المسيحية .

٣٠٣ تحوّل أوضاع الاسرة وأثره على علاقتها بالليتورجيا المقدّسة

هناك أوضاع مادية موضوعية تلازمت سبباً مع التطورات التاريخية الاجتماعية ، أخضعت الأسرة لتحوّلات بنيوية اساسية ، وحتّمت عليها تحوّلات مهمة في علاقتها أو علاقة افرادها بالليتورجيا ، وذلك بغضّ النظر ، لا بل ، وبالرغم من رغبات الاسرة نفسها . فاختصاراً وتلخيصاً لشرح هذه الأوضاع ولتحليل مدى تأثيراتها على الأسرة ، وبالتالي تأثر الأسرة بها في علاقاتها داخلياً (ضمن الأسرة) ومع الخارج ، فقد أوجزت معالجتي في جدول تصنيفي يعرض الانماط الانموذجية للأسرة وفق المحيطَين الريفي الزراعي والمديني الصناعي ، وقد أدرجتُ هذين النمطَين الاسرويَين وفق الخصائص البنيوية الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية والدينية :

أنماط نموذجية للأسرة وفق المحيطَين الريفي والمديني

المستوى	الخصائص/المحيط	المحيط الريفي الزراعي	المحيط المديني الصناعي
	بنية الاسرة	**اسرة كبيرة أو وسيطة**	**اسرة نواتية**
	حجم الاسرة	وفيرة العدد : سبعة اشخاص وما فوق	محدودة العدد : دون السبعة أشخاص
	نشاطات اقتصادية	الزراعة أو الحرف	الصناعة أو الخدمات
	التشكيل الاجتماعي	تشكّل الأسرة وحدة متماسكة مكانية — وحدة انتاجية — وحدة استهلاكية — وحدة عيش	تشكّل الأسرة وحدة متراصفة — توزُّع انتاجي نوعاً وكماً — لا تطابق استهلاكي — وحدة عيش متراخية
	تحرّكات الأسرة	— ثبات سكني — استقرار في علاقات الجيرة ، الصحبة ...	— تنقّل سكني — تحوّل مستمرّ في علاقات الجيرة . الصداقة ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

	التعريف بالذات	أنا ابن فلان ...	انا مهنتي كذا ...
	العلاقات مع الغير في المحيط	ظاهرة الجماعة القائمة على علاقات معرفة — أعرف الكلّ — يعرفني الكلّ — اعرف تقريباً كلّ شيء عن كلّ	ظاهرة الجماهير القائمة على علاقات نكرة — لا أعرف الكلّ — لا يعرفني الكلّ — لا أعرف سوى اليسير حتى عمَّن أعرفهم
	الضوابط المجتمعية	— ضوابط معيارية قوية — مراقبة شديدة ومتشدّدة حتى في دقائق الامور	— ضوابط متراخية — مراقبة مجتمعية شبه معدومة حتى في أهمّ الأمور
	النمط المعياري للسلوك	انماط محددة واجبة وملزمة للجميع وفق العمر — الجنس — علاقة القربى	انماط متنوّعة غير ملزمة انماط انتقائية متفلّتة
	الادوار الاجتماعية	— ادوار معدودة متداخلة ومرغمة لدى نفس الفرد — كلّ دور يلزم شخصيّة الفرد بكليتها	— ادوار مميزة متحازية لدى نفس الفرد — كل دور يلزم شخصية الفرد في جزء منها فقط
	نقل المعرفة	نقل شخصي اكثره شفوي مباشر وبالتواتر	نقل غير شخصي اكثره كتابي تدويني
	طابع الثقافة	ثقافة واحدة مع بعض التنوّع الهامشي ، قيم ، اخلاق ، اداب	تعدّد ثقافي في العمق ، قيم ، اداب ...
	الذهنية	تقديس التقاليد والمحرّمات ، والعادات ...	نسبة معممة وتحوّل مستمرّ
	المسؤولية التضامن	— عصبية جامعة — تضامن لا — اخلاقي اسروي	— مسؤولية فردية — اخلاقية شخصية
	الايمان الديني	جلّه فعل منسجم مع انتماء الجماعة	الايمان فعل محض شخصي
	الممارسة الدينية	— ممارسة اسروية — ممارسة مواظبة	— ممارسة فردية — ممارسة غير نظامية

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

	المعارف الدينية	— فقر لاهوتي — استشهادات بالكتاب المقدس وباحداثه	— فقر لاهوتي — ندرة الاستشهادات بالمقدسات
	اسلوب التعبير عن الرأي	بالسلوك الفعلي	بابداء الرأي اللفظي
	الرموز الدينية في المنزل	— شيوع بروز الرموز الدينية في البيت	ندرة وانتفاء وجود مثل هذه الرموز
	نوعية العلاقات مع المؤسسة الكنسية	— تردّد على كنيسة الرعية — معرفة شخصية بكاهن الرعية — منزلة مميزة ومحترمة لكاهن الرعية — الاحتكام الى الكاهن في كثير من الشؤون	— لا ارتباط بكنيسة الرعية — لا معرفة شخصية بكاهن الرعية — لا منزلة مميزة له — انتفاء فكرة الاحتكام الى كاهن الرعية

يمكن استناداً الى ما تقدم ، النفاذ الى الاستخلاصات الايجابية التالية :

* بقدر ما تستقرّ الأسرة الزوجية وتثبت كمؤسسة لقاء وعطاء ، بقدر ذلك ترى الاسرة نفسها سابحة في مناخ تنعشه الليتورجيا .
* بقدر ما تستقيم العلاقات داخل الأسرة ، ويعاد الاعتبار ، بجرأة مسيحية ، الى قيمة الحياة الاسروية كأسلوب عيش مسيحي ، بقدر ذلك تشعّ الليتورجيا بنورها المروحن على الأسرة وفيها .
* بقدر ما يسعى الرعائيون والرعويون والمعلّمون الدينيون الى تثقيف الأزواج دينياً ، فينبّهوا فيهم رسولية حياتهم الاسروية ، بقدر ذلك تسعى الاسر المسيحية الى الالتقاء مع الأسر الأخرى والالتفاف الاحتفالي حول ليتورجيا الرعية .

٤ — الليتورجيا طريق القداسة

الليتورجيا هي طريق القداسة ، وسبيل بلوغ الكمال المسيحي . ان طغمات القديسين

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الذين رفعتهم الكنيسة الى المذابح تُثْبِتُ ذلك ، فكلّ منهم ، وفقَ اسلوب حياته الخاصة ، نهل من الليتورجيا حتى درجة « الجنون » بالله ، فتجلّت في أشخاصهم عظائم الله .

ولكن يبقى سؤال قلق ومقلق :

أقداسة الاسرويين أي المتزوّجين ممكنة هي ؟

١٠٤ الحبّ الزوجي هو صورة العهد بين الله وشعبه وسرّ ارتباط المسيح بكنيسته

لم يلقَ النبيُّ والكاتب الملهم في الكتاب المقدس أبلغ وأقرب من الحب الزوجي ليتّخذ منه مادة لتصوير العهد بين الله وشعبه ، وذلك منذ النبي هوشع ونشيد الأناشيد .

لِمَ وكيف استعان الكتاب المقدس بالحب الزوجي كصورة بشرية لمثال الهي في الأمانة للعهد المقدس ، فهذا موضوع قائم بذاته . اكتفي بذكر بعض الفضائل فيه ، ومنها :

المحبة ، الأمانة ، الوفاء ، قدسية الحرية ، الحنان ، الايمان ، العذاب ، اللقاء ، الحضور ، العطاء ، الانفتاح والترقّب ، القابلية disponibilité ، الخدمة ، الغفران ، الفرح ، الصبر ...

٢٠٤ الأسرة المسيحية والقداسة

هناك بعض النصوص المقدسة ، وبعض مواقف كنسية ، توحي بأن الزواج ليس دعوة vocation الى القداسة ، أو أقلّه ليس طريقاً قويماً نحوها : « ... ما من أحد ترك بيتاً أو **امرأة** أو اخوة أو أخوات أو والدين أو بنين من أجل ملكوت الله ، إلا ونال اضعافاً في هذه الدنيا ونال ، في الآخرة ، الحياة الأبدية » (لوقا ١٨/٢٨ — ٣٠) .

« بودّي (يقول بولس) لو كنتم **دون همّ** ، فغير المتزوّج يصرف همّه الى أمور الرب والوسائل التي يرضي بها الرب ، والمتزوّج يصرف همّه الى أمور العالم والوسائل التي يرضي بها امرأته ، **فهو منقسم** وكذلك المرأة ... » (١ كور ٧/٣٢ — ٣٦) ، « فاذا لم يطيقوا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

العفاف ، فليتزوّجوا ، **انّ الزواج خير من التحرّف** » (١ كور ٧/٩) . أما القديسة تريزيا ، فقد كتبت ، بصدد اختها سيلين ، تقول : «كنت قد قرّرت التضحية (ان لا ترى أختها بعد اليوم) ولكنّ الشيء الوحيد الذي لا أستطيع قبوله ، هو أنها **وهبت قلبها لبشري** » mortel .

بالطبع ، لن اتناول لاهوت الزواج ، ولا التصوّر الفعلي للزواج لدى الاكليريكيين والمترهّبين . ولكن ، لاكتمال عناصر العقيدة المسيحية ، لا بدّ من التذكير بنصوص أخرى من الكتاب المقدس هي في منتهى الأهمية . فبولس نفسه يرى في اتحاد الرجل مع امرأته رمزاً لاتحاد المسيح بكنيسته (افسس ٢٥/٥ ؛ ٢ كور ٢/١١) . والرب جعل من الزواج سرّاً ، وقد صوّر نفسه عروساً « أيستطيع أهل العرس أن يصوموا والعروس معهم ؟ » (متى ١٥/٩) ، وصوّر الملكوت بملامح العريس (متى ١/٢٢) ، وقد باشر رسالته العلنية في عرس قانا (يوحنا ١/٢ — ١١) .

يُخطئ من يظنّ ، والحالة هذه ، ان الزواج طريق من الدرجة الثانية نحو القداسة ، وان دونيته ، نسبة الى البتولية ، هي بسبب ظرفية الزواج نفسه المتلازمة مع عبورية الحياة على هذه الفانية ، متّخذين من ردّ المسيح على الصدّوقيين ذريعة حيث يقول : « ... فعندما يقومون من بين الأموات ، لا يتزوّج الرجال ولا تتزوّج النساء بعد ، وانما هم كالملائكة في السماوات ... » (مرقس ٢٥/١٢) ؛ هذا تفسير مردود ، لحجّة الجهل أو التجاهل بأن أهم الفضائل اللاهوتية هي نفسها عابرة زائلة ، ففي السماوات وبحضرة الله ، يزول الايمان والرجاء ولا تبقى سوى المحبة « فهي لا تزول » (١ كور ٨/١٣) . وسرّ الزواج هو سرّ المحبة . والأسرة هي مؤسسة العطاء ، والوفاء ، والخصب ، هي احدى تجسيدات المحبة ، فهي اذن سبيل لبلوغ القداسة . فهل يثبت الواقع العملي صحة هذا المعتقد النظري في الكنيسة ؟

٣٠٤ الأسرة المسيحية في عيشها الليتورجيا هي صورة لمثال مفقود

يفاجأ لا بل يصاب بالذهول ، كل من يتصفح الآجيوغرافيا والسنكسار المتعلّق ، كما تعرفون ، بسير القديسين الذي رُفعوا الى المذابح في الكنيسة الجامعة ، رسمياً ، منذ سنة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

١٦٣٤ ، أي منذ قرّر البابا اوربانوس الثامن ، ان كل اعلان تطويب أو اعلان قداسة مسيحي ما ، يجب أن يصدر فقط عن الكرسي الرسولي .

فمنذ ذلك التاريخ ، أُعلنت قداسة ٢٣٠ قديساً وقديسة حتى سنة ١٩٢٦ . ولكنّ خمسة منهم فقط كانوا متزوّجين [١] . ثلاث نساء ورجلان . هم : مارغريت الكورتونية M. de Cortone وهي أرملة ايطالية قضت حياتها بالتوبة على باب دير الفرنسيسكان ، وكاترين فياتشي C. Fieschi ، أرملة انهت حياتها بالصلاة والصوم ، وايزابيل ملكة البرتغال وهي أرملة تائبة قضت حياتها خادمة لدى الفرنسيسكان ، ونيقولا الفلوي Nicolas de Flue ترك اسرته وعاش ناسكاً متوحّداً ، وايزودور الفلاّح (لا يُعرف عنه الكثير) . يتبيّن لنا أن هؤلاء القديسين الخمسة قضوا حياتهم أرامل تائبون أو نساكاً وبعضهم عاش في كنف الأديرة . بالطبع هناك قسم آخر من القديسين المتزوّجين ، لكنّ قداستهم أُعلنت بسبب استشهادهم قتلاً ، لا بسبب سيرتهم الاسروية حتى النهاية .

يظهر ممّا تقدّم ، ان الأسرة المسيحية لا مثال فعلياً لها لكيفية عيش حياتها المسيحية اسروياً ، ولا لكيفية هذا العيش متمحوراً حول الليتورجيا المقدسة . هي صورة لمثال مفقود ، وكم اتمنّى أن يصبح موجداً ، فلا يبقى مجرّد ممكن الوجود .

ان سيل الارشادات والمواعظ والتعليمات وما اليها ، وبالرغم من أهميتها وضروراتها ، تبقى ارشادات نظرية ، طوباوية ، مبادئية مجرّدة ، تفتقر الى حرارة الأمثلة الحيّة المعاشة .

ان الأمثلة المعروضة أمام الأسرة المسيحية هي أمثلة رهبانية بتولية لا أمثلة اسروية ؛ من البديهي ان مثل هذه الأمثلة يصعب اعتمادها أو محاكاتها أو الاقتداء بها اسروياً ، اذ ان جملة الأوضاع الاسروية وحيثياتها الحياتية ، المادية والعلائقية الروحية ، هي مغايرة لأوضاع وحيثيات حياة القديسين الرهبان والبتولين .

فلا يصعب بعد ذلك تصوّر ما يتولّد لديهم من شعور بالغربة ، بالضياع ، بالعجز الروحي ، بعدم الأهلية ، بثقل ضريبة الزواج ، بمعتمات الجسد المهلكة ، بمغمضات الجنس المخزية ...

(١) PIERRE DELOOZ, *Pour une étude sociologique de la sainteté canonisée dans l'Eglise Catholique*, université de Liège, voir un extrait «Archives de sociologie religieuse», n° 13 (Janvier - Février 1962).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

سأترك لكم تقدير الاستنتاجات والمضاعفات على كلّ صعيد ...

الخاتمة : متى يعصف الروح ؟

ان عدم القدرة على بلوغ القداسة ، انطلاقاً من الحياة الزوجية ، يجب أن يبقى حافزاً الى التعمّق الروحي ، والانشداد نحو الحياة الكنيسوية والاندفاع نحو المهمات الرسولية ، بالنهل من الليتورجيا المقدسة الحيّة والاغتذاء الروحيّ منها . ان لحياة الأسرة قابليةً مذهلة على تذوّق غنى الليتورجيا اذا أُبرز هذا الغنى ، وبها نهم عنيف الى الارتقاء الروحي ، اذا مُكِّنَتْ من ذلك . فيجب ، مهما كلّف الأمر ، (مال ، وقت ، جهد ...) ان لا يتحول لدى المتزوّجين ، عجزهم عن بلوغ القداسة الى الاعتقاد بعدم امكانيتهم بلوغ هذه القداسة .

أما الليتورجيا ، بكل ما فيها ، فهي مخزون طاقة هائلة روحياً ، لا بد من استثمارها وتوظيفها « كنسياً » . فبقدر ما تخضع لروح حكم بولس على الغلوسولاليا (١ كور ١٤/١ — ٣٣) لكي « تأتي بوحي وعلم ونبوءة وتعليم ... يدركه السامعون ... » ، بقدر ذلك تقوى الليتورجيا على البنيان المسيحي بكل أبعاده .

في الليتورجيا ، تتجسّم الوظيفة الكهنوتية ، وفيها تتحقّق الوظيفة النبويّة . فمتى تهبّ الروح ، والريح تهبّ حيث تشاء ... ولا أحد يدري مِن أين تأتي والى أين تذهب » (يوحنا ٣/٧ — ٩) ، ستندفع الوظيفة الملوكية في الكنيسة حيثما تشاء الروح ، فتولد هذه الوظائف الثلاث جديدة ومشحونة بالروح في المسيح ، والمسيح كاهن ونبي وملك هو . اذ ذاك « يتجدّد وجه الأرض » .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع السادس

الليتورجيا والمستشفى

الأخت مورين غرادي
و
الأخت سلستين ابو جوده

*

٣ كانون الأول ١٩٨٤

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

العناية الرعائية في المستشفى

الأخت مورين غرادي

من مواليد مدينة انديانا في اميركا الشمالية .
من جمعية راهبات الصليب المقدس الاميركية . نالت شهادة الدكتورا في الخدمة الرعاوية الطبيّة سنة ١٩٨١ . مارست اختصاصها في مستشفيات جمعيتها في اميركا وعملت مع هيئة الاغاثة الكاثوليكية في تايلند وفي لبنان منذ سنة ١٩٧٩ — ١٩٨٤ ، وهي ، حالياً ، في لبنان تعمل على تركيز العمل الرعاوي في المستشفيات .

من خلال ممارستي ومعايشتي للمرضى في المستشفيات ، فكّرت في مهمّة الليتورجيا ، وتبيّنت أن للكنيسة في هذا الحقل ثلاثة أدوار :

أولاً : دور الكنيسة كخادمة ؛ **ثانياً** : دورها كمرشدة الى حياة دينية خاصة ؛ **ثالثاً** : دورها في العناية الصحية .

الكنيسة هي مجموعة المؤمنين الذين يعترفون بالله الآب ، وبابنه سيدنا يسوع المسيح ، بكلامهم وبقبولهم الأسرار ، وبخدمتهم للكنيسة ، وبالشهادة ليسوع قدّام الناس . فالكنيسة ، إذاً ، هي واسطة يستعملها الرّوح القدس لمتابعة رسالة يسوع لخلاص العالم ولنشر ملكوت الله . ولكي تقوم الكنيسة بالخدمة الموكولة اليها ، وتكون في أساس التغييرات الاجتماعية ، عليها أن تستعمل المعطيات الأدبية والمادّية ، بحكمة وشجاعة ، لتوجّه المجتمع نحو ملكوت الله . ولا أعني ملكوت القداسة والنعمة فحسب ، بل ملكوت الله في العدل والسلام . والكنيسة تساعد أيضاً العالم أو المؤمنين على التجديد الروحي وعلى التحرّر من الخطيئة . والذين يقومون بهذه الرسالة السامية هم أولئك الأشخاص في الجمعيات

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الرهبانية ، الذين يؤمنون بيسوع المسيح ، وقد ركّزوا حياتهم على هذا الايمان ولبّوا دعوة خاصة لحياة جماعية ، قوامها النذورُ الرهبانية أو المشورات الانجيلية . واني لَواثقة بأن رسالة أية جمعية رهبانية هي على مثال رسالة الكنيسة نفسها ، وخاصة ، ان الجمعية الرهبانية تعتبر نفسها ركناً رئيساً في الكنيسة ، وأعضاءَها رسلاً عاملين في حقل ملكوت الله .

في أيامنا هذه ، ننتظر أن تكون الجهود الرهبانية مطابقة لتعليمات الكنيسة وتوجيهاتها ، متطوّرة معها ، مواكبة تحرّكها : في التعليم وتوزيع الأسرار والاحتفال بالليتورجيا ، فضلاً عن نشر الانجيل وتقديم الخدمات للمحتاجين .

أولاً : المستشفى الكاثوليكي

بعد هذا ، أركّز حديثي على مهنة العناية الصحية التي ينبغي أن تبنى أساساً على تراث ديني ، لانني أتكلّم على العناية الصحية كخدمة تقدّمها الكنيسة وهي تقوم برسالتها الخلاصية .

هناك ، بلا ريب ، أنواع عديدة من الخدمات في الكنيسة . فالخدمة التي تقوم بالعناية الصحية لها مظاهر خاصّة ومؤثّرة جداً ، لأن تلك العناية توجَّه الى أبناء الله في وقت عصيب ، اذ يكونون مُبتَلين بالأوجاع الجسدية أو الحالات العصبية أو الصعوبات الروحية . ويصبح عندئذ المستشفى قناةً لرسالة الرهبانيات ، حيث تُعطى الكنيسة فرصة لتقوم بدورها السامي الفريد في نوعه . فالمستشفيات الكاثوليكية ليست انجازات تجارية أو صناعية ، بل انها تعبير عن ايمان الجمعيات الرهبانية بخدمة البشرية المتألّمة ، نيابةً عن المعلّم الالهي يسوع . هذه هي الغاية العظمى التي يجب أن تُوَجَّه اليها الأنظار .

وهكذا ، كلُّ المولَّجين بالعمل في المستشفى ، يُعدّون شركاء في رسالتهم هذه ، وكلّ منهم يؤدّي خدمته حسب امكاناته واختصاصه . وأقصد ، بذلك ، العلمانيين والرهبان والراهبات والاكليروس ، سواء كانوا في الادارة أو في أيّة وظيفة وضيعة . فالمستشفى الكاثوليكي ملتزم بتحقيق ذلك ، شرط أن تأتي رسالة الشفاء وفق تعاليم المسيح الذي جعل نفسه بمنزلة الفقير والمتألّم والمريض .

ان المستشفى الكاثوليكي يسعى الى تقديم الخدمة الفضلى لكلّ مريض حسب مفهوم

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فلسفة المؤسسة ، تلك الفلسفة التي تؤكد على أن صحة المريض والمقعدين هي أمر هامّ ، لأن الكنيسة تنظر اليهم باحترام ، وتعطف عليهم في أوجاعهم وعند مماتهم ، وتسعى ، بكلّ جهد ، لتخفّف من آلامهم وتعيد العافية اليهم .

ناهيك على ان العناية الروحية جزء لا يتجزأ من أية عناية صحية ، لأنَّ العناية الصحّية تنظر الى حاجات الانسان بكامله ، جسدياً وروحياً .

في الماضي ، كانت العناية الرعائية في المستشفيات تشمل توزيع الأسرار السبعة ؛ وهكذا كانت الكنيسة بواسطة الأسرار تمنح المؤمن مساعداتِ النعمة ، أي حياة الله ، ومنها الصحة والحياة الروحية والجسدية . ومن الممكن أيضاً أن ننظر الى الأسرار كعلامات حسّية لتدخّل الله في حياة الانسان . وهكذا نزداد فهماً للعناية الرعائية في الماضي .

وان العناية في المستشفيات الكاثوليكية شهادة واعتراف واقرار بأن المستشفى الكاثوليكي يتابع ويكمّل ، بالقول والفعل ، رسالةَ يسوع الشفائية .

حقّاً ، يجب أن نعتقد ، كلّ الاعتقاد ، انّ على المستشفى الكاثوليكي في عصرنا هذا ، ومجتمعنا الحالي ، أن يُبيّن ويُظهر بعضَ المظاهر والقيم المسيحية ، رغم الصعوبة الناتجة عن التعقيدات الادارية ونوعية الاشغال . كما ان على الذين يتعهدّون ادارة المستشفى الكاثوليكي ، وأخصّ هنا الراهبات ، مسؤولية رسالة خاصّة تفرض عليهنّ سلوكَ النهج الذي خطّه مؤسّسهن ، وتحقيقَ حاجات المجتمع المحاور لهنّ ، وتفهّمَ حقيقة تطوّعهنّ وتضحيتهنّ ، كنساء ترهبن ليخدمن في عناية صحية تتجاوب مع روح حياتهنّ ورسالتهنّ الروحية ، ومع حاجات الشعب حولهنّ وبحسب الظروف الراهنة .

ومن البديهي ، لكي تستمرّ كل مؤسسة في نموّها وتحقق غايتها ، أن تفحص مجرى سيرها وما يلزم تغييره أو الغاؤه ، حتى تبقى ناجحة ومثمرة ، والاّ فمصيرها الهزالُ والاضمحلال .

ثانياً : العناية الرعائية

تبيّن لي من خلال اختباري الشخصي ، قيمة خدمتي في المستشفى . لقد أدّينا واجبنا في حقل الخدمة الجسدية للمرضى ، بيد أننا قصّرنا في تلبية الحاجات الروحية والعاطفية .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فاننا ، مثلاً ، جهّزنا المستشفى بكلّ المخترعات والآلات الحديثة والخدمات الطبيّة والجراحية للمرضى ، ولكن لم نهتمَّ ، كفايةً ، بتجهيزِ أنفسنا في سبيل تقديم المساعدات للمُحتاجين في حقل الايمان والشعور والأمور النفسانية .

وهذا الفحص والتقويم والاختبار حدا رهبانيتي على توسيع دوائر المستشفى واضافة ادارة جديدة تهتمّ لا بالعناية الجسدية فحسب ، انما بالعناية بالروحيات والشعور والأمور النفسانية عند المرضى ؛ وهذا ما دعوناه « **العناية الرعائية** » .

وأساس فكرة « العناية الرعائية » هو تعليم اللاهوت ، لكون حياتنا البشرية هي سلسلة تطوّرات وتحوّلات في حياة الانسان ، الذي يسعى الى الاتحاد مع الذي أبدعنا وخلقنا ، وهو ينبوع كلّ حياة .

في هذه السلسلة من التطورات والتغييرات ، يشعر الانسان ويتأثّر من الأمور التي تسبّب له لذةً أو ألماً ، فرحاً أو حزناً ، صحّة أو مرضاً ، رجاءً أو شكّاً ، شجاعةً أو خوفاً ، قوّةً أو ضعفاً .

فالمرض ، مثلاً ، يجعل الانسان يشعر ببعض تلك الحالات . وغالباً ما يجد المرضى أنفسهم عاجزين عن أي عمل ، ضعفاء وبلا معين في محيط غريب ومرعب معاً . فتأتي العناية الرعائية لتقدّم السند لهؤلاء ، معنوياً وروحياً ، كما تسعى لتبديل حالاتهم .

لمن الصعب جدّاً أن نفهم وأن نقبل واقعية الألم والوجع في حياتنا ، وذلك لاننا ، حتى الآن ، لم نجد المفهوم الصحيح للمرض وللصحة ، مع ان اعتقادنا الديني يعلّمنا جليّاً انّ الصحة الكاملة ، البدنية والعاطفية والروحية ، هي غاية الحياة .

وهذه هي الطريقة الوحيدة لنفهم معنى المرض والصحة والموت . أجل ! ان اكتناهَ معنى المرض والصحة والموت يبقى محدوداً ، ولكن من الممكن أن ندرك ، بالتدرّج ، بعض الحلول ، وأن نقوّم توجّهاتنا .

هذه الوجوه الثلاثة الصحة البدنية والروحية والعاطفية ، هي ، من ناحية ، مختلفةٌ بعضها عن بعض ، وهي ، من ناحية أخرى ، متضامنة ومرتبطة بعضها ببعض ؛ ولذلك لا يحصل شفاء تام ، الاّ اذا تعافى الانسان جسدياً وروحياً وعاطفياً .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ثالثاً : مساعدة المريض

ونتساءل : كيف يقدر شخص أن يساعد شخصاً آخر في مواجهة المرض ؟

الجواب هو أن نسعى بأن نكون حاملي الشفاء لذلك الشخص ، فالعناية الرعائية هي الطريقة الخصوصية لتساعدنا على حمل الشفاء الى كلّ المتألمين .

فاذا تأمّلنا ملياً في الانجيل ، وجدنا يسوع في رسالته الى الفقير والمريض ، وسعيه الى الاتصال بالشخص المريض ليهديه الى التوبة والى حرارة الايمان والحب ومعرفة الله .

وهكذا ، على المسؤولين عن العناية الرعائية تطبيق تعليم المخلّص ورسالته ، فيتابعوا توجيه عنايتهم الى المرضى ، متمثّلين بالمسيح ، أي أن يحترموهم ، مهما كانت حالتهم ، وأن يُحيطوا بوضعهم وعقليتهم ، ويحافظوا على كرامتهم وطريقة حياتهم ، ويقدّموا لهم كلّ مساعدة ، ويتفهّموا أوجاعهم وموتهم وأيّ نوع من العوارض التي تحلّ بهم .

والآن أطرح السؤال ، **من هم الذين يقومون بالعناية الرعائية** ؟

أنهم أعضاء في رهبانية أو علمانيون ، اكليريكيون أو كهنة ، درسوا اللاهوت والعلوم اللازمة لتلك الرسالة ، من ارشاد وعلاقات اجتماعية . هم أشخاص راشدون ومتفهّمون ، ومؤمنون ، يمارسون الصلاة ويعطون الله مكانة في حياتهم ، ذوو معرفة ونضوج عقلي وعاطفي ، مما يمكّنهم من مواجهة المشاكل وحالات الانهيار العصبي بدون اضطراب ؛ انهم مميَّزون بشخصية قوية ، محبّة ، تمكّنهم من مواجهة الحالات الصعبة على ضوء المعرفة والخبرة والتفهّم ، قادرون على أن يعبّروا بالكلام وبالمعاطاة ، ويقدّموا المساعدة اللازمة في حالات الخوف والوحدة والكآبة ، والضجر واليأس ، وفي مطلق حالة مَرَضِيّة أو أية إقامة في المستشفى .

فضلاً عن هذا ، يجب أن تتوفّر عندهم معرفة بالأمور الطبيّة ، تكون كافية لتفهّم نوعية المرض وطريقة انتشاره وحالاته ، وأن يكونوا مطّلعين على التعاليم اللاهوتية والدينية المتعلّقة بالحياة والموت وبالعذاب والألم ، ومحيطين بالقوانين الطبيّة وما يؤول اليها .

عليهم ، كذلك ، أن يكونوا على ارتباط مع فريق من أهل العناية الرعائية ليتعاونوا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

معاً ، ومع المرضى ولأجلهم ومع ادارة المستشفى ، وأن يقدّموا كلّ مساعدة للاكليروس المحلّي ، فيما يتعلّق بالاتصالات مع المستشفى . وأن يكونوا مستعدّين لتوزيع الأسرار والقيام بالرتب الليتورجية المعترف بها والمقبولة والضرورية لمساعدة المرضى روحياً .

وأخيراً ، ان القائمين بالعناية الرعائية ملزمون على أن يتابعوا ثقافتهم ويزيدوا معلوماتهم ، ويكمّلوا قيمهم الروحية والعقلية .

والآن ، نتساءل : ما هي واجبات العاملين في العناية الرعائية ؟

انهم يشاركون في حياة المريض ، اذ هم واقفون على جميع حالاته الشخصية والعيلية ، ويقدرون أن يقدّموا لكلّ مريض ما يحتاجه من تشجيع وتعزية وارشاد واعلام ؛ انهم مطّلعون على حاجات المريض الروحية والعاطفية ، ويسعون الى توفير كلّ مساعدة ممكنة . وبما أنهم يتعاملون مع المريض عن قرب ، يقدرون أن يجعلوا المريض يتفهّم حالته ، مهما كانت صحته الجسدية .

أجل ! انه لَصعب جداً ، أغلب الأحيان ، أن نفهم حالة المريض النفسانية وحاجته الروحية . انما هناك طرق تساعدنا على فهم تلك الحالات ، مثلاً :

* عندما يُظهر المريض حالة رفض أو نفور نحو المستشفى أو العلاج ، مما يؤخّر الشفاء ويصبح ذلك المريض مشكلة للموظفين .
* عندما يشعر المريض أنه تعافى ، فيغمره الفرح ويريد أن يعبّر عن فرحه وشكره لشخص آخر .
* عندما يظهر المريض رغبته في الممارسة الدينية ، وفي زيادة تعرّفه للدين والأسرار .
* عندما يظهر المريض علامات الخوف والكآبة والزعل والحزن والانهيار العصبي والعزلة وبعض يأس من الحياة .
* عندما يملّ المريض من نقاهة طويلة أو يخاف من عملية جراحية أو يتألّم من الوجع أو العطب أو الخوف من الموت .

هل تذكرون في حياتكم ظرفاً وجدتم فيه نفسكم في حالة صعبة ؟

ربما كانت حالة مثل التي ذكرت سابقاً . اذا كنتم وحدكم ، فانكم تواجهون ، بلا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ريب ، وضعاً مضنكاً ، أما إذا حالفكم الحظّ في أن تشركوا أحداً معكم لفهم وضعكم ، وتقديم المساعدة والمعونة الأدبية والروحية لكم ، حتى تستعيدوا راحة فكركم ونشاطكم العادي ، عندئذ ، تفهمون قيمة العناية الرعائية .

ولكي يتمكّن المستشفى من تقديم المساعدة الفعّالة ، يقتضي أن يعيّن فرقة عناية رعائية لكلّ قسم ولكلّ فروع الخدمات في المستشفى ، لأن فرقة العناية الرعائية مهمّة مثل فرقة الصحّة أو الطب أو التمريض . فواجب العامل في العناية الرعائية أن يعرف حالة كلّ مريض وما يحتاج اليه وما يلزمه من مساعدات لتحسين حالته الصحية والأدبية .

للقيام بالعناية الرعائية ، يلزم لكلّ خمسين مريضاً ، موظف يعمل ، ثماني ساعات في اليوم ، علاوة عن موظف آخر تحت الطلب ٢٤ ساعة في اليوم . وهكذا تظلّ فرقة العناية الرعائية حاضرة ومستعدّة في حال حصول أي حادث . هذا النظام يسهّل خدمة الأسرار . فالقربان المقدس جاهز ليُعطى للمرضى ، كما يلزم أن يكون هناك كاهن تحت تصرّف الفرقة لإتمام سرّي الاعتراف ومسحة المرضى حين يلزم الأمر . كذلك يجب أن يُحتفل بالقداس الالهي ، كلّ يوم ، في كنيسة المستشفى يحضره من يقدر ويرغب من المرضى . أما المُقعدون ، فيقدرون أن يشاركوا في الاحتفالات الليتورجية بواسطة تلفزيون خاص في غرفة كلّ مريض .

ما قلته عن العناية الرعائية دارَ بمجمله حول حاجات المريض ؛ انما أودّ ان أُذكّركم **بعيلة المريض** وأهله ، فانهم ، بعض الأحيان ، بحاجة الى العناية الرعائية مثل المريض نفسه ، ويستحقّون اهتمامنا وعنايتنا .

وقد يواجه **موظفو المستشفى** أنفسهم حالات صعبة في تتميم واجباتهم ، مما يؤثّر على حياتهم وأعصابهم . على فرقة العناية الرعائية ، في هذه الحال ، أن تساعدهم بما لديها من معرفة ومحبة وعطف وتفهّم .

وانه لَمن الصعب جداً أن نشرح تماماً أهمية العناية الرعائية ، لأن عملها يتناول أعماق النفس البشرية ، مما يجعل شرحها وتفهّمها صعباً جداً ، إن لم نقل مستحيلاً .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

رابعاً : حادث خاصّ

وتأكيداً على ما ذكرت ، أحبّ أن أشير الى حادث جرى في أحد المستشفيات ، وهو يبيّن جلياً أهمية وكيفية العناية الرعائية :

بينما كنت أعمل مع فرقة العناية الرعائية في ذلك المستشفى ، أتت اليّ رئيسة الممرّضات في قسم الأولاد تدعوني الى مساعدتها ، ذلك أن طفلاً في الثانية من عمره ، مات وكانت أمّه متمسّكة به ، لا تترك للممرّضات مجالاً كي يهتمّوا به أو ينقلوه أو يغيّروا الفراش حتى يقبلوا طفلاً آخر مكانه ، كما أنها لم تكن تسمح بأن يأخذوا الجثمان ليهيئوه للدفن .

تصوّروا حالة الممرّضات والعاملين في المستشفى . فمن جهة ان قوانين المستشفى لا تسمح بحفظ جثمان ميت وقتاً طويلاً ، لِما هناك من ازعاج وخطر على سائر الأطفال في ذات القسم ، ومن جهة أخرى ، حاجة الادارة لاستعمال الفراش لولد آخر . وكلّما حاولت الممرّضات أن يأخذن جثمان الطفل ، يعلو صياح الأم وصراخُها بشكل مخيف . وعبثاً تدخّل الأطباء وادارة المستشفى ، فلم يكن بالامكان فصل الأم عن ابنها . عندئذ ، ارتأى المسؤولون اللجوء الى فرقة العناية الرعائية ، فحضرتُ واستمعت الى قصّة الممرّضات والادارة ، ثم دخلت الغرفة ووقفت جامدة أمام الأم المتشبّثة بطفلها والتي لم تعرني أي التفات . أخذتُ كرسيّاً وجلستُ على مرأى منها ، ساكتة صامتة ، حوالي أربعين دقيقة . وكانت على وجهي علامات الحزن والكآبة ؛ ثم قلتُ للأم : هل تريدين أن تُخبريني عن ولدك ؟ فأخذت تبكي وتحكي قصّتها وقصّة الولد ، كيف عاش وكيف كان يلعب . وأوردت لي بعض النكتات والألعاب ، وضحكت عند ذكرها مع انّ دموعها لا تزال جارية ؛ وكنتُ أُصغي اليها بطول أناة ، وأضيف أسئلة عن ابنها وكانت تجيب ... وعندما انتهت ، ظهرت عليها علامات التراخي ، ولم تعد متمسّكة بطفلها المطروح في حضنها . عندئذ سألتها اذا كان بالامكان أن تسلّم للواقع وتترك للممرّضات الاهتمام بطفلها . فأخذتُ طفلها ووضعته على ذراعي ، فلففته بكلّ عناية وعطف بحرام ، ثم قرعت الجرس للممرضات . فحضرت واحدة وأخذت الجثمان من الغرفة . طبعاً لم تنتهِ القصّة هنا . لقد كانت الأم بحاجة الى زيادة من العناية والاهتمام ؛ انما ذكرت ذلك الحادث لأبيّن الكفاءات والمؤهلات الخاصّة التي هي من صميم مبادئ العناية الرعائية كما ذكرتُ سابقاً .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخاتمة

اني لَواثقة أن فرقة العناية الرعائية هي من الخدمات الضرورية في المستشفيات الكاثوليكية ، بغضّ النظر عن مختلف العقائد والأفكار والديانات والصلوات والطقوس . فان العناية الرعائية تقدر أن تزيد آمال المرضى بالصحّة ، وتساعد على التعافي من الضعف والألم ، والتحرّر من الخوف ، وخاصّة الخوف من الموت ، وصراعه الدائم ، والخوف من العجز . كذلك ، باستطاعة العناية الرعائية أن تقنع المريض بأن أوجاعه أو عجزه لا يقلّلان أبداً من قيمته كشخص بشري ، وان قبول الموت لا ينقّص من شخصيتنا ، بل هو علامة الانتصار ، اذ به ننتقل الى حياة سعيدة وسلام دائم .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الحياة الليتورجية في المستشفى

الأخت سلستين ابو جودة

من مواليد جل الديب سنة ١٩٣٤ .
من جمعية راهبات الصليب اللبنانيات . تحمل اجازة في التمريض من مدرسة الصليب الاحمر وديبلومَ بنج من كلّية الطب الفرنسية في لبنان ، واجازة في الليتورجيا من المعهد الليتورجي — الكسليك ، سنة ١٩٨٢ .
هي ، حالياً ، مسؤولة عن قسم البنج في مستشفى مار يوسف — الدورة .

القاعدة الكلاسيكية في معالجة موضوع ما تقضي ، كما تعلّمت ذلك وانا بعد على مقاعد الدراسة في مدرسة الرهبنة التي أنتمي اليها ، أن ابدأ ، اولا ، بشرح الكلمات لانتقل فيما بعد الى رسم خطوطه العريضة .

موضوعي هو : **الليتورجيا في المستشفى** . فما تعني هذه الكلمة المستعربة : ليتورجيا ؟ انها ، بكل بساطة ، تعني طقوسا أو رتبا جمعت الكنيسة صلواتها من بعض ما جاء في الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد ، ومن بعض ما تناقلته من صلوات القديسين ، ومما جادت به روح العبادة والتعبد لديها .

الغاية منها العيش في جو يسوده كلام الله والكلام الموّجه اليه للوصول الى تقديم سرّ من الاسرار السبعة ، واهمّها سرّ الافخارستيا ، سرّ موت المسيح وقيامته ، الى أن تنتهي برفع آيات شكر أو تضرّع أو التماس بركات .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اما المستشفى ، فانه في غنى عن كلّ تعريف ، باعتبار انه ما من احد إلاّ ويعرفه على حقيقته لكثرة الذين يأوون اليه مصابين بعلل مختلفة . بيد انه لا بدّ من التشديد على ناحية هامة ، وهي انّ المستشفى الذي هو مكان للانين والتمزّق والتلوّع والحشرجة والالم الذي لا يطاق احيانا ، هو ، في الوقت نفسه ، نافذة الى السماء .

الليتورجيا ، نافذة الى السماء

هذه النافذة من يفتحها ؟ وكيف ؟

هنا المجال الرحب امام الليتورجيا لتقوم بدورها الفعّال ، ولكن على يد مَن ؟

في المطلق ، لا مكان لليتورجيا في المستشفى ، إلا اذا كان على مدخله أو في قاعاته أو في كل غرفة من غرفه : ذاك المُمَدَّد على خشبة العذاب . الليتورجيا لا تأتي من السحب ، بل عن طريق من كرّسوا لها الذات . بهؤلاء تناط الليتورجيا في المستشفى بنوع خاص . انها مهمّة ولا أشقّ ، وهي أعسر من اية عناية بمريض مهما طالت وقست ، لانها تتوخّى ، اساسا وفي النهاية ، شفاء سقم في الروح يتطلّب عقاقير انّى منها عقاقير الصيادلة .

السليم الجسم المعافى قد يصغي الى كلام الله ، وقد يقبل اسراره ، ربما ليشكره على تمام عافيته وتحسّن احواله ، وربما ليظلّ يرعاه بعطفه وحنانه فيجود عليه بالصحة وحسن الحال . اما المريض ، الذي يقضّه الالم والأرق ، سيما ان كان في حالة مادية بائسة وربّ عائلة لا مورد لها الا عمله ، فهل يا ترى يتقبّل كلام الله ويحيا حياته دونما أي عائق ؟

إن عدنا الى الماضي ، ايام كانت العقاقير المضادة للجراثيم غير معروفة ، كان المستشفى في نظر المريض واهله ، غرفة انتظار للموت ، وفي افضل الحالات ، آخر حظّ له في الحياة . على هذا الاساس ، كان الاتكال على ما يأمر به الدين من تلاوة صلوات وتقبّل اسرار ، وبالتالي كان التفكير بالكاهن قبل التفكير بالطبيب . الطبّ لا يجترح المعجزات . وحدها الصلوات والاسرار كفيلة بذلك ، وهي مصدر الرجاء . فاذا ما قُدّر للمريض الشفاء فباعجوبة من السماء لا غير ، لا بتشخيص الطبيب ولا بما يصف من ادوية وعقاقير .

وبتقدّم الطبّ في جميع المجالات من ادوية ناجعة ، وعقاقير مضادة للجراثيم على

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

انواعها ، وتصوير على الاشعة والذرّة ، والتحاليل المخبرية ، والتقدّم الرائع في الجراحة والتخدير ، تبدّلت عقلية الناس . فأصبحوا ينظرون الى المستشفى على انه مكان لاسترجاع الصحة والعافية ، لا غرفة انتظار للموت ، وبالتالي ، لم يعد الخوف مسيطراً على قلب المريض . فلقد اصبحت لديه ضمانة وثقة كبيرتان من انه سيخرج يوماً مُعافى .

وبكلام آخر ، انّ ما كان يرجو الحصول عليه عن طريق الصلوات والاسرار ، اصبح يناله بنسبة عالية من الطمأنينة عن طريق المعالجة بالادوية والعقاقير أو بعملية جراحية مضمونة النجاح .

هل يعني هذا التبدّل في العقلية أن المريض اصبح في غنى تام عن سماع كلام الله وتقبل اسراره ؟ وبعبارة اخرى ، هل ان التقدّم في الطبّ قد حتّم على الصلوات والاسرار الخروج نهائيا من المستشفى لتحلّ محلها الادوية والعقاقير والتحاليل والعمليات الجراحية ؟

من السذاجة الاجابة رأسا عن هذا التساؤل بالنفي ، ومن البلاهة الإجابة عنه بالايجاب . هناك معطيات في هذا المجال لا بدّ من أخذها بعين الاعتبار : انها معطيات تتعدّى اللحم والدم والعظام وكلّ تقدّم في الطب ، أيّا كان ، لتنغرز في عمق أعماق المريض ، في روحه التي لا يطالها مبضع طبيب ولا أشعّة ذرة . صحيح أن المريض يرجو خيراً من كل جديد أتى به الطب . ولكنّه ، مع ذلك ، يظلّ واضعاً ثقته بالشفاء بذاك الذي اعطاه الحياة ، ولا سيما عندما يشتدّ به المرض ويشعر بانه قد اصبح على قاب قوسين من باب الابدية . وهنا ، سيّان إنْ كانت نفسية المريض مع ربّه أو ضدّه ، فربّه ابدا نصب عينيه . وان كانت الليتورجيا شيئا مألوفا لدى الراضخين لارادة ربّهم ، فانه ينبغي ان تكون الشافي العجيب للناقمين على هذه الارادة ، حتى اذا ما اقتنعوا بصوابية كلام الله واقتبلوا اسراره ، ابدلوا الحقد بالحبّ والرفض بالاستسلام ، وأصبحوا من اشدّ المتمسّكين بما يريده لهم .

ومن المعطيات ان المريض لا يهتمّ بضخامة المستشفى ، ولا بما يحوي من تجهيزات هي آخر ما ابتكر العلم في حقل المعالجة ، بقدر ما يحنّ الى ابتسامة صديق ، والى كلمة رقيقة تقطر عطفا ومحبة واهتماما ، أيّا كان مصدرها ، طبيبا كان ، ام راهبة ، ام ممرّضة ام ممرّضاً . حنينه هذا نابع من شعوره بانه لم يعد من العالم الذي كان فيه ، فهو في المستشفى في عالم

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

غريب عن الناس ، لا هو مثلهم ولا هم مثله . هذه المقارنة تُشعره بأنه انسان ناقص ، ومما يزيده تحرّقا على وضعه شعوره بأنّ الوقت يهرب وكذلك الحياة . وليس في مقدوره ان يفعل شيئاً الا ان يعدّ الايام والساعات وهو ابدا مسمّر في سريره . وتستبدّ به الافكار السوداء بنوع خاص عندما يكون وحده ، لا أليف ولا صديق ولا قريب ، فتتراقص التساؤلات امام عينيه : من انا ؟... والانسان ما هو؟ والحياة ما معناها ؟... ولماذا المرض والالم والعذاب ؟

وما يحزّ في قلبه بنوع خاص إحساسه بانه قاصر ، محروم من كلّ استقلال ذاتي ، يعامَل كالطفل وليس له الا أن يطيع وينفِّذ . وتزداد النقمة في صدره عندما يخيّل اليه انه امسى حقل تجارب : طبيب يستدعي اخر ، وآخر يستنجد بسواه ، وينتهي المطاف الى جمعية اطباء يستديرون حوله ويتشاورون في أمره ، ينقل ناظريه من واحد الى آخر ، متتبّعا تمتمات شفاههم ، وقد دبّ الهلع في قلبه من سوء العاقبة .

وما يزيد الطين بلّة ، تعاقب الايام والاستمرار في الفحوصات والتحاليل ، دونما فائدة تذكر . آنذاك ، قد يتناسى ذاته ولا يعود يُبالي الا بما سوف يؤول اليه مصير أفراد عائلته . وان شاء سوء طالعه أن يقلّلوا من الاهتمام به أو من زيارته ، فحينذاك يشعر بان الحياة قد أظلمت تماما في عينيه . وفي ساعات رهيبة كهذه ، لا بدّ من ان يستبدّ به اليأس وينحي باللائمة على من أوجده في الحياة .

إن حالة كهذه من المرض والالم والهمّ والعزلة والضيق والتشاؤم لا تعالج بالادوية والابر والتحاليل والتخطيط والتصوير ، بل بكلام آخر ، لا شأن للطبّ به مهما تقدّمت مكتشفاته . هذا العلاج هو نفح من السماء يتألّق بالمحبة والايمان والرجاء ؛ وما مصدر هذا النفح الا حامل كلام المسيح ومعطي أسراره .

مَن يحمل الليتورجيا الى المريض ؟

الآن أصبح بالإمكان الاجابة عن التساؤل عمّا اذا كان الطبّ الحديث قد حتّم على الصلوات والاسرار الخروج من المستشفى وصار بالامكان القول : لا ، لان معطيات الروح تختلف عن معطيات الجسد .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هنا ينفتح الباب واسعا امام الليتورجيا للدخول الى المستشفى ، ويبقى السؤال : عَلى يَد من ؟

لا شكّ ان الجواب معروف ، فطالما ان الليتورجيا هي كلام المسيح المشفوع بالاسرار ، فعلى يد الكاهن تدخل هذه الليتورجيا الى المستشفى ، لانّ الكاهن هو حامل كلام الله ومعطي أسراره ، ولكنّ هذا لا يعني انّ المسيحي العلماني معفى من المشاركة بهذه الليتورجيا . انه عضو في جسد المسيح السري ، وككلّ عضو حيّ ، عليه ان يؤدّي دوره الفاعل في هذا الجسم . وما الدور المطلوب منه إلاّ ان يكون مسيحيا وكفى ، سواء أكان طبيبا ام راهبة ، ممرّضا ام ممرّضة ، ومتى قلنا « مسيحيا » ، قلنا المثال الحيّ قولا وعملا . انه ، بسلوكه المسيحي مع المريض : محبة ، واهتماما ، وصبرا ، وتجلّدا ، وتفانيا ، يفسح في المجال امام عمل الكاهن ، ويسهّل مهمّته في اقناع المريض بالاعتصام بكلام الله ودعوته الى قبول أسراره .

المسيح الذي قال : كنتُ مريضا فزرتموني ، لم يوجّه هذا الكلام الى فئة معيّنة من المسيحيين . الكلام الذي وجّهه الى هذه الفئة هو في مَثَلِهِ عن الخروف الضائع عندما طلب من الراعي ان يترك التسعة والتسعين ويجدّ في طلب هذا الضائع .

وهنا اسارع فاكشف عن حقيقة قلما ترد على بال احد ، وهي ، انه بقطع النظر عن المرضى من الرهبان والراهبات ورجال الاكليروس والعلمانيين المتمرّسين بحياة مسيحية حقّة ، فالمريض يغفل عن التفكير بالمسيح . قد تستغربون ذلك ، ولكن ، هذا هو الواقع . السبب أنّ همّ المريض الوحيد هو في أن يشفى ، ففي تضرّعه الى ربّه أو الى قديسيه المفضّلين لديه ، ليس له الا هذا الطلب ، همّه أن يَشفى ليستأنف حياته ويعود الى عائلته ويؤمّن مستقبله . وقد تكون مشكلته الكبرى في تجاهل ذاك المسيح المتألم ، المعذّب ، المقدِّم ذاته صورةً حيّة لجميع المعذبين والمتألّمين ليحذوا حذوه في الاستسلام المطلق لتلك المشيئة العلوية . إنها حقّا معضلة المريض : فهو ناقم على ربّه ، ويأبى الا أن يعتبره المسؤول الاول والأخير عن كلّ ما يلمّ به من امراض واوجاع . ولعلّ الصعوبة الكبرى عند الكاهن تكمن في تذكير المريض بالمسيح المصلوب لكي يقتنع ، في النهاية ، بانّ الطريق السليم للتخفيف من آلامه النفسية هي في ان يُشرك الآمه الجسدية مع آلام المسيح ، لكي تهون عليه ، أقلّه ، آلامُه النفسية .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اجل ، انها صعوبة كبرى ، ولكن من الممكن تذليلها . وان شاء نابوليون بونابرت ان يلغي كلمة مستحيل من المعجم ، فكم بالحري على حامل كلام الله ومعطي اسراره ان يعالج ازمة نفسية مستعصية عند مريض معذّب ، بكلام يغمسه في قلب المسيح ، وبسلوك يعكس سلوك معلّمه الحاني ابدا على الضالّين والناقمين والمعذّبين .

هذا المريض الناقم المعذّب ، لا يطيق إطلاقا رؤية عباءة سوداء ، أو السماع بقدوم كاهن اليه ؛ امّا السبب فهو ان هذا الكاهن يمثّل الرب الذي نفر منه المريض عندما نسب اليه مسؤولية كلّ ما اصابه وحلّ به . لذا ، ان كلّ محاولة من قبل الكاهن للتقرّب من المريض بغير دعة المسيح وحبّه وحنوه وعطفه واشفاقه مكتوب لها الاخفاق سلفا . وان كان اليأس من اقتحام القلاع الحصينة مرفوضا في معجم الحروب ، فكم بالحري ألاّ يلجأ الى اليأس مَن يَفرض عليه معلّمُه ان يدع التسعة والتسعين خروفا ويجدّ في طلب الضائع . هنا ، تتألّق مهمة الكاهن في ابهى مظاهرها عندما يواجه قلعة نفسية متمردة ، باللين والصبر والصلاة ، وهو على علم يقين من انّ مشكلة الحياة والالم والموت هي اقسى ما يواجه الانسان في حياته ، ولا سيما عندما تكون هذه الحياة في خطر ، والالم ينخر جسمه ، وشبح الموت ماثل امام عينيه ، وهو يتلمّس خشبة خلاص ، جاهلا انّ هذه الخشبة هي خشبة الصليب .

هذه الخشبة ، على الكاهن ان يرشده اليها ، إذ بحبّه وتفانيه وصلاته ينجح في ان يقنعه بان حياته والآمه ، وحتى موته ، غنية بالاستحقاقات التي يستمدّها من استحقاقات المسيح الممدد مثله على صليب الالام والاوجاع ؛ وآنذاك تغيب النباريش وتتبخر الادوية لتفسح في المجال لحوار بين روحين وقلبين وحياتين ، فيتكلّل بثقة تفوق الثقة بالطبيب ، وينتقل المريض من ازمة بينه وبين نفسه ، وبينه وبين ربّه ، الى ارتياح باطني يكون الحافز اليه هاتين الكلمتين : « لتكن مشيئتك » .

وتوصلا الى هذه الغاية المنشودة التي يفرح بها قلب المريض ويتهلّل بها قلب المسيح وقلب حامل كلام المسيح ومعطي اسراره ، ينبغي الاّ يكون قدوم الكاهن لعيادة المريض كواعظ ، بل كصديق . فالنظرة المعبّرة عمّا في القلب من مودّة وعطف واحساس بالمصيبة ومشاركة في الالم تنفذ كالسهم الى قلب المريض ، والابتسامة المجبولة بالرقّة والعاطفة المعبرة عمّا في

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القلب ، لها مفعولها السحري في نفسية المريض . والاستفسار عنه ، لا من قبل شخص غريب ، وانما من قبل من يكنّ له كلّ امنية في الشفاء العاجل ، من شأنه أن يترك في قلب المريض أثراً عميقاً .

على هذا الصعيد ، ينبغي ان تتوالى الزيارات ، مستبعدة كل ما هو وعظ وارشاد وآيات من هنا وهناك ، ومركّزة على خلق جوّ من الصداقة بين الكاهن وبين المريض عن طريق الخوض في مواضيع وجولات يتنسّم من خلالها عبق الدين ، حتى اذا أنس المريض من أنّ قدوم الكاهن اليه هو بدافع الصداقة والمحبة ، بعيد عن كلّ رغبة في الكرازة والوعظ ، آنذاك ، يبادر هو عفويا فيتطرّق الى موضوع الدين . وهنا ، يدع الكاهن علم النفس يلعب دوره الفاعل عندما يفسح في المجال امام المريض كي يفرغ كلّ ما في صدره من شحنات ونظريات وتعليقات ومواقف ضد الدين ورجاله . ومهما يكن الموقف عنيفا وجارحا وماسّا بالقيم الروحية ورجال الدين ، فعلى الكاهن ان يقابله بصدر رحب وعقل واسع ، ويسعى الى تليينه بحكمة وهدوء وبرودة أعصاب .

من الطبيعي الا يكون جميع المرضى ناقمين . فهناك من يسبقون الكاهن الى التحدّث عن الدين ، ويعبّرون عن حياة مسيحية حقّة ، عندما يؤكدّون له انهم طوع ارادة الله ، وانّ الله يحبّ خائفيه ، وانهم يشركون آلامهم مع آلام المسيح ، وانّ الربّ يفتقد محبّيه ، ويطلبون أن يعترفوا وان يتناولوا كلّ يوم ، ولا يجزعون من تقبّل سرّ مسحة المرضى . مثال هؤلاء ليسوا في حاجة الى الليتورجيا ، طالما انهم يعيشون حياتهم المسيحية على حقيقتها . لذا ، عندما اتطرق الى المريض الناقم على ذاته وعلى ربّه ، فلانه في حاجة الى هذه الليتورجيا ، في حاجة الى كلام الله ، حتى اذا نفذ الى قلبه ، طلب هو تلقائيا ان يُـزَوَّد بالاسرار .

وعليه ، ان اي موقف دفين يعبّر عنه المريض الناقم على ربه ضدّ الدين أو ضدّ رجاله ، هو بمثابة اعتراف علني امام كاهن يصغي اليه . انه تعبير عن الحقيقة كما يتصوّرها هو ، هذا الاعتراف العلني امام كاهن بدون بطرشيل ، يشابه تصريحه للطبيب بمكان الالم واعراضه في مختلف انحاء جسمه . وكما انه يستحيل على الطبيب ان يشخّص الداء ويصف الدواء الا بعد ان يسمع من المريض ما يشكو منه بالضبط ، كذلك الكاهن ، فان عليه ان يطّلع على كلّ الافكار السوداء الدفينة في اعماق ضمير هذا المريض كي يجد لكل صعوبة حلاّ . ثم ، كلما

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ازدادت حالة المريض سوءًا ، وتطلّبت من الطبيب قدرا اكبر من العناية والسهر والاهتمام ، كذلك بالنسبة الى الحالة النفسية عند المريض ، بقدر ما تكون عنيفة وجارحة ومتشنّجة ، فانها تتطلّب من الكاهن عناية فائقة ، واهتماما زائدا وزيارات مستمرّة وصلوات متتالية ، لكي يرأف الله بالمريض ويمدّه بنعمته .

من الافضل الاّ يعود الكاهن مريضا اذا كان من شأن هذه الزيارة نقل المريض من حالة عنيفة الى حالة أعنف . العبرة قد يستمدّها من الطبيب الذي لا يواجه المرض بالمرض ، وانما بالدواء الشافي يعطى جرعة جرعة ، لا دفعة واحدة .

فكم بالحري طبيب الروح الذي ينبغي ان يكون ، في آنٍ ، الأبَ والاخ والصديق وصاحب القلب الكبير والعقل النيّر والصدر الرحب ، لا يستهزئ بافكار محدّثه ولا يوجّه اليه اية كلمة تجرح شعوره ، بل يصغي اليه ، ويمدّه بما اعطي من علم يحلّ له عقدة بعد اخرى . وهكذا متى اجتمع العلم الى القداسة ، فانهما يأتيان بالمعجزات ، حتى لدى اشدّ القلوب تحجّراً .

ولتوضيح هذه النظريات ، اليكم امثلة حيّة عن مدى فعالية الليتورجيا في المستشفى ؛ أذكر بعضا منها :

حوادث من الحياة

مريض في مستشفى تصلّب قلبه ازاء الكاهن ، فلم يكن يسمح له بمحادثته ولا بالدخول الى غرفته ؛ مع ذلك ظلّ الكاهن يقصده كلّ يوم صباحاً ، فيقف عند عتبة الباب ويقول له : صباح الخير ! ويبتسم ثم ينصرف . وعند المساء ، يفعل الشيء نفسه ، فيتمنّى له نوما هادئا ويبتسم ثم ينصرف . ذات يوم ، مرّ الكاهن عند المساء كعادته ، فرأى المريض يغطّ في نوم عميق . وعندما سأل عنه الممرّضة اجابته : ان حرارته مرتفعة جداً ، وهو غايب عن الوعي . وفي الحال ، جلس على كرسي قرب سريره واخذ سبحته وبدأ يصلّي . عند منتصف الليل ، انخفضت حرارة المريض ففتح عينيه . وعندما وقع نظره على الكاهن سأله على الفور : ما هو مرادك مني ؟ اجابه الكاهن : انما مررت كعادتي لاتمنّى لك نوما هادئا ، ولما كنت تغطّ في نوم عميق من جرّاء ارتفاع في الحرارة ، اغتنمت الفرصة لاصلّي

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الى العذراء كي تمنّ عليك بالشفاء . والآن ، وقد استجيبت صلاتي ، فاني ذاهب ، وتصبح على خير . ولما همّ الكاهن بالانصراف ناداه المريض : إبقَ معي بعض الوقت . وانتظر الكاهن ما عساه يقوله له . واذا بالمريض ينظر اليه بعينين مغرورقتين ويقول له بصوت بالغ التأثّر : إغفر لي ، يا ابتِ ، فانا لا استحقّك . وكانت تلك الليلة ليلة بيضاء قضاها الكاهن قرب ذاك المريض الذي غسل خطاياه بالاعتراف .

وفي صباح اليوم التالي ، كان الكاهن يتخطّى العتبة وبين يديه جسد الرب .

واليكم قصّة اخرى واقعية تعطينا صورة مجسّمة عن مدى العمل المسيحي في ادخال الليتورجيا الى المستشفى .

رجل قضى حياته في التأليف والحديث والقاء المحاضرات ، غايته ان يبرهن للناس ان الانسان خلق لينتهي على هذه الأرض ، دون ان تكون له حياة اخرى . أُصيب بمرض شديد ، نُقل على أثره الى المستشفى في حالة اللاوعي . هناك ، ما ان قارب الشفاء حتى اخذ يناقم الراهبة التي كانت تخدمه ، والراهبة صابرة متفانية بشوشة ، تجيب على عنفه بالحلم ، وعلى فظاظته بالاناة ، وعلى حدّته بالدّعة . واكثر من ذلك ، عندما يحين دورها في الخدمة ليلا كانت تجلس في زاوية غرفته تصلّي بعد ان تنهي عملها .

ذات ليلة ، افاق فشاهدها ، كعادتها ، تصلّي . فسألها : ماذا تصلّين يا « ماسير » ؟ اجابته : الآن أصلّي الابانا . وعاد فسألها : وعلى نية مَن ؟ فاجابته : على نيتك انت . قال : أسمعيني اياها . فراحت الراهبة تتلوها بتأنٍّ وهو يصغي بكلّ انتباه . وعاود الطلب مرة اخرى ثم مرة ثالثة فرابعة ، والراهبة تعيد وتعيد ، الى ان قال لها : الآن جاء دوري لأُسمعك إياها . وبعد ان تلاها حتى آخرها ، قال لها : منذ يومين وانا اتحفّز لاكاشفك بالتبديل الذي طرأ على نفسيتي من جرّاء معاملتك اياي هذه المعاملة التي ، وحده الدين السماوي ، يأمر بها . الانسان ، في ناموس البشر ، ذئب لاخيه الانسان ؛ وفي ناموس الله ، رحمة وذبيحة وتفانٍ وتضحية . ذاك الرجل الذي لم يتفوّه الا بالتجديف ، تصالح مع الله . ولما مات ، كانت كلمات الأبانا تخرج من فمه مع انفاسه الأخيرة .

اجل ! تكبر الفرحة على قدر ما يكون الشفاء مستعصيا . ولا اعتقد ان هناك امرا مستعصيا مع رحمة الله . المهم هو البذل في العطاء مقروناً بقدر هام من القداسة وبقسط وافر

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

من العلم . وآنذاك ، لا بدّ للقلوب المتحجّرة من ان تلين ؛ ومتى لانت ، كانت كالارض الظمأى الى مجاري المياه ، تعبّ بشغف ما بعده شغف من فيض نعم الله ، ولا ترى ضَيْراً إن هي تمدّدت على الصليب ، على غرار مَن اعطاها الامثولة في ذلك ، فتكون مريضةً في اجسامها وحيّة سليمة متعافية في ارواحها ؛ في المسيح تموت ومعه تقوم ، محتفلة بالليتورجيا على اروع ما تكون هذه الليتورجيا .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع السابع

الليتورجيا والمدرسة

الأب سامي بو شلهوب
و
الأخت سلست بو منصور

*

١٠ كانون الأول ١٩٨٤

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

واقع ومرتجى الليتورجيا في المدرسة

الأب سامي بو شلهوب

من مواليد بحنس سنة ١٩٥١ . ارتسم كاهناً سنة ١٩٧٨ .
من جمعية الآباء اللعازريين . يحمل اجازة في الفلسفة من جامعة القديس يوسف ، وديبلوماً في الدراسات المعمّقة في الليتورجيا من المعهد الليتورجي في جامعة الروح القدس — الكسليك سنة ١٩٨٠ .
يمارس التعليم في مدارس جمعيته ويعزّز الحياة الليتورجية في تعليمه الديني في مدرسة عينطورة .

طرح الموضوع

من خلال لقاءاتنا مع الشباب ، غالباً ما تطرق آذانَنا عباراتٌ عفوية يردّدونها في الصالونات أو في الساحات : كفانا اعترافات ؛ شبعنا قداديس ؛ قدّسنا لمية سنة ؛ المدرسة اعطتنا افانس ؛ لم يعد يلزمنا شيء ...

هذا بعض ما يقوله طلاّب مدارسنا الكاثوليكية في لبنان ويرددونه « بفخر واعتزاز » . كما نسمع فئات أخرى ، « ضئيلة العدد » ، تقول انّ الفضل في تفهّمي للقداس والعبادة يعود الى نشأتي في المدرسة الفلانية ، الى الكاهن الفلاني ، وأنا أحنّ دوماً الى مثل هذه القداديس والرياضات الروحية .

من جهة ثانية ، ومن خلال مناقشتنا مع بعض كهنة الرعايا ، نشعر بالمرارة عندهم لعدم قدرتهم اجتذاب العنصر الشاب الى الاشتراك في الاسرار ، ولاسيما في الافخارستيا ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يقول أحد الكهنة المتقدّمين في السنّ : لم ألتقِ بعضاً من أبناء رعيتي — حتى لا أقول أكثرهم — إلا ثلاث مرّات في الحياة :

١ — عند العماد .
٢ — عند الزواج ، وليس أكيداً ، لأن البعض يطلب الزواج خارج الرعية .
٣ — عند الموت .

من خلال هذا الواقع ، من خلال ما نسمع ونرى ونلاحظ ، يبادر الى ذهننا السؤال التالي : هل هناك مشكلة في الاشتراك الفعلي في الليتورجيا ، حياة الكنيسة وعصبها . مَن المسؤول عن ذلك ؟ الكنيسة ؟ المدرسة ؟ الأهل ؟ الثلاثة معاً ؟

لا نطرح ذلك من باب الانتقاد ولا لنحكم على الآخرين أو نرمي ، حتى بحصاة صغيرة ، أياً من الفئات الثلاث التي ذكرنا ؛ انما نطرح ذلك من باب المحبة التي تدفعنا الى السعي والتفتيش أو التنقيب عن الوسائل التي تساعد التلامذة ، أكثر فأكثر ، للاشتراك في الليتورجيا المدرسية ، ومن ثمَّ في الليتورجيا الرعائية ...

الفصل الأول : دور الكنيسة في المدرسة

أ — حقوق الكنيسة على المدرسة

من حقّ الكنيسة الاشراف ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، على كيفية القيام بالطقسيات داخل حرم المدرسة — خاصّة كانت أو حكومية — وهذا الحقّ المكتسب ورد في دستور الليتورجيا المقدسة عدد ٢٢ :

يقول الدستور :

١ — « انّ أمر تدبير الطقسيات المقدسة يتعلّق فقط بالسلطة الكنسية ، أي أن هذا يعود الى الكرسي الرسولي ، وحَسَبَ قواعد القانون ، الى الأسقف ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢ ـــ وبقوة السلطان المعطى حسب القانون ، فان أمر تدبير الطقسيات يعود أيضاً ضمن الحدود المرسومة ، الى مختلف جماعات الاساقفة المحليّة ذات الصلاحيات والقائمة شرعاً .

٣ ـــ لهذا ، لا يمكن لأي شخص آخر البتة ، وان كان كاهناً ، أن يزيد أو يحذف أو يغيّر من عنده شيئاً في الطقسيات » .

فالدستور الليتورجي يعطي الكنيسة حقّ التوجيه وحقّ الاشراف وحقّ تدبير الطقسيات ؛ ولا يجوز لأحد القيام بذلك ، إلا بعلم الكنيسة وموافقتها . نستنتج ، مما ورد ، انّ الكنيسة هي المسؤولة الأولى والأخيرة عن الطقسيات ضمن حرم المدرسة .

ب ـــ اهتمام الكنيسة بالمدرسة

لقد أعطت الكنيسة برنامجاً دينياً موحّداً لكل المدارس . صدر هذا البرنامج سنة ١٩٨٠ ؛ وكان هناك لقاء ، وتوقّفت اللقاءات بسبب الحالة الأمنية . وما استطاعت الكنيسة متابعة لقاءاتها ولا الاشراف على تطبيق هذا البرنامج الموحّد . وقد تركت مهمة التأليف لكلّ من يحلو له ، شرط أن توافق عليه اللجنة المنبثقة منها . ما نسوقه ، ليس للحطّ من أهميّة الذين يؤلفون كتباً وَيَسْعَون الى إنجاح الليتورجيا والتربية الدينية في المدارس ، وانما للفت النظر الى أنّ الكنيسة تخلّت عن رسالتها في هذا المضمار ، مما يضع ادارة المدارس والمؤمنين في حيرة . في الواقع لا يستطيع أيُّ فرد لعب دور الكنيسة ولا الحلول مكانها . فدورها في المدرسة فعّال ، وواجبها هامّ وأساسي . اذا تخلّت الكنيسة عن هذا الدور ، كما هو في الواقع في هذه الظروف ، فانّ المدرسة تعمل بمفردها مستعينة ببعض الاختصاصيين الذين هم من الكنيسة وأعضاء فاعلون في حقولها .

المدرسة تعمل ضمن اطارها وضمن صلاحياتها وضمن كفاءاتها المحدودة ، علماً ان الامكانات والكفاءات تختلف بين مدرسة وأخرى .

تاريخياً ، كانت الكنيسة تُولي الليتورجيا في المدرسة اهتماماً بالغاً ، فتشرف وتوجّه المدرسة في ما يجب أن تعطي ضمن برامجها ... وهذا ما أقرّه المجمع اللبناني بالصيغة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

التالية : « اذاً ، باعتبار أحوال المكان والزمان ، تأمر هؤلاء المعلّمين الذين نريد أن ينصّبهم الأساقفة أو رؤساء الأديار ، فيعلّموا الأحداث في المدارس : أولاً القراءَة والكتابة في السريانية والعربية ، ثم المزامير ، ثم كتاب خدمة القداس والفرض اليومي والعهد الجديد ... وتفسير الكتاب المقدس واللاهوت العقائدي والأدبي ، ولاسيما ما يرونه مناسباً لقبول الاسرار وتوزيعها ، ولمعرفة طرق الطقوس والاحتفالات ؛ وليعنوا خاصة بحملهم على حضور ذبيحة القداس والفروض الالهية في الخورس كلّ يوم ، مساء وصباحاً ، على القليل ، وعلى التقدّم الى سرّ التوبة والافخارستيا في كلّ شهر ، ما لم يمنع السنّ . وليعيّن المعلّمون وقتاً معلوماً كل يوم أو مرتين في الأسبوع على الأقل يلقون فيه على تلامذتهم التعليم المسيحي ... ولا يألوا جهداً في أن يحملوهم بالنصائح والمواعظ على العبادة وتقوى الله » . (المجمع اللبناني ، طبعة المطران نجم ، جونيه ، ١٩٠٠ ، قسم رابع ، باب سادس ، ٣) .

وهكذا كانت الكنيسة تختار أساتذتها وتوجّههم وتهتمّ بالتنشئة بكلّ معنى الكلمة .

« هذه التنشئة الليتورجية القديمة » فقدتها المدرسة الحالية ، اذ تخرّج طلاّباً « مكتفين » كلّ الاكتفاء ديانةً وليتورجيا ، فيما هم بعيدون كلّ البعد عن الجماعة المسيحية المصلّية . ما هي حال الليتورجيا في المدارس اليوم ؟ وما هي الأهمية التي تعطيها ادارة المدرسة لليتورجيا .

الفصل الثاني : المدرسة والليتورجيا

أ ــ نظرة تاريخية

كانت روما المدرسة الموجّهة الأولى لليتورجيا عند الطائفة المارونية التي كانت تولي ليتورجيتها أهمية كبرى وتعتني بها اعتناء كلياً ... فالمدرسة المسؤولة هي الأكثر فعالية في تنشئة الجيل الطالع ، وهي التي تستطيع أن تعطي الشباب ، في حياتهم ، الدورَ الهامّ لليتورجيا . هذا ما كانت تقوم به المدرسة تاريخياً . وهنا يسترعي انتباهنا ما ورد في مقال للأب عمانوئيل خوري عن : **اسطفانوس الدويهي : بطريرك ليتورجي** ، نُشر في المنارة ، سنة ٢٥ ، عدد ٣ ، ١٩٨٤ ، ص ٤٤٣ ؛ وقد قال تعليقاً على ما ورد في كتاب شبلي ، ص ١٣ :

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

« أما اسطفانوس ، فمنذ نعومة أظافره ، أرسلته أمّه الى مدرسة القرية لاكتساب العلم والأدب ، وكان التدريس في ذلك الوقت مقصوراً ... وعلى معرفة مبادئ الديانة وطقوس كنيستنا المارونية » . وعلّق الأب عمّانوئيل بقوله :

« هذه التنشئة ببرنامجها ولغاتها تؤهّل التلاميذ لمعرفة مبادئ العلم والديانة واللغة الطقسية ومطالع الانغام » .

ويسترعي انتباهنا مكانُ هذه التنشئة « ظلّ الأشجار وحمى الهيكل القديم » . من هنا أهمية سنديانات كنائسنا ودورها الوطني والكنسي ؛ فهي المدرسة في الربيع والخريف ، وهي الدار العامة في الافراح والأحزان ، وهي أيضاً الشجرة الليتورجية ، كونها امتداداً للكنيسة ، فتقوم مقام الرواق الذي كان أمام مدخل كلّ كنيسة قديمة ، واليها يأوي التائبون والموعوظون .

بالطبع ، نحن لا نطالب بالعودة الى التعليم تحت السنديانة ، انما أردنا الاستشهاد بذلك للدلالة على تلك الأهمية التي كانت ادارة المدرسة تُعطيها وتلقّنها لتلامذتها في ما يخصّ التربية الدينية والليتورجية . ربّ قائل يقول : « ما كان عندن شغل غير هيك » . ونحن نردّ : « كان عليك أن تفعل ذلك ، دون أن تنسى تلك » (لوقا ١١/٤٢) .

ب — أهمّيّة المدرسة في العمل الليتورجي

الليتورجيا والتربية الدينية توأمان متلازمان ، هدفهما — كلّ على طريقته الخاصّة — نشر البشارة والكلمة ليحيا العالم . فمن الضروري أن يتلاقيا ويحضرا معاً من أجل نشر هذه البشارة بطريقة أفضل ... انطلاقاً من هذا المفهوم ، يتّضح لنا أن هدف المدرسة يتبلور في تهيئة جيل صاعد مؤمن ومؤتمن ، يشترك في الأسرار ضمن رعيته ، يصلّي مع غيره ممّن هم أكبر منه سنّا وخبرة . انطلاقاً من هذا الهدف ، نطرح السؤال حول كيفية الوصول الى تحقيق ذلك ؟

١ — دور كاهن الرعية

خادم الرعية ، ذلك المسؤول الأول عن الاحتفال العبادي في رعيته ، هو آخر من يعلم ما يحدث في المدرسة فيما يخص الليتورجيا . فمن الضروري التحدّث عن كاهن الرعية في

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المدرسة ، ومن الضروري أيضاً إطلاعه على الوسيلة أو الوسائل التي تتبعها المدرسة في احياء الليتورجيا . ومن الطبيعي أيضاً أن تنصح المدرسةُ التلاميذَ بأن يساعدوه في ليتورجيا الأحد . ومن الواجب أن تدعوه ادارة المدرسة الى حضور اجتماعات الأهل عندما يكون موضوعها الكلام على التربية الدينية والليتورجية . ومن المستحسن ان تدعو ادارة المدرسة ، من وقت الى آخر ، كاهن الرعية للاشتراك أو للقيام بالذبيحة الالهية داخل المدرسة .

ربّ قائل يقول ، وبحقّ : ولكنّ المدرسة تضمّ طلاباً من عدّة رعايا ، فكيف يكون ذلك ؟

لا مانع اذا اجتمع كهنة الرعايا في وقت معيّن ، ولا عجب أيضاً اذا أقاموا ، في الوقت نفسه ، الذبيحةَ الالهية ، جماعة مصلّية على مذبح المدرسة .

٢ — دور الأهل

الجميع يعلم الدور الذي يلعبه الأهل أو الأسرة في المدرسة ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بواسطة لجنة الأهل أو بواسطة اللقاء الشخصي مع ادارة المدرسة والمسؤولين الاداريين ، أو مع المعلّمين من خلال الاجتماع الدوري للمعلّمين مع الأهل . غالباً ما تدور هذه اللقاءات أو الاجتماعات حول سلوك الولد في المدرسة ، نشاطاته الرياضية ، تقدّمه في العلم . بينما الأهلُ مع الاساتذة ومع الادارة ، يتكلّمون على كلّ شيء ، نراهم يغفلون التربية الدينية أو الليتورجية التي تخصّ ولدهم . يطالب الاهلُ إدارةَ المدرسة بتغيير المعلّم الفلاني أو مُدَرِّسَة المادّة الفلانية ، ولا يسألون حتى عن اسم مدرّس التربية الدينية أو المسؤول عن الاحتفالات العبادية ... لجنة الأهل تهتمّ بالمادة وبالاقساط المدرسية وزيادة البنزين وزيادة عدد الطلاب و ... و ... « مرتا مرتا ، انك مهتمّة بأمور كثيرة ، والمطلوب واحد » .

وهنا أيضاً ، ربّ قائلٍ يقول : ولكن « شو بيقدروا يعملوا الأهل ، بيكفين شغلن ، بيكفين همومن » .

الأهل هم المدرسة الأولى للولد . والولد يجب أن يرى أهله يصلّون ويساعدونه على الصلاة والتأمل والسكوت . من هنا ضرورة إطلاع الأهل على البرامج الدينية وكيفية تطبيقها وكيفية القيام بالليتورجيا داخل المدرسة ، حتى يستطيعوا المساعدة في البيت . أُمٌّ طرحت

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

علينا السؤال التالي : ماذا أجاوب والدي ، وكيف أفسر له الخطيئة ؟ فكيف تريدون منها أن تجاوب ، اذا كانت لا تعرف ؟ وكيف تعرف اذا ما لم يعلّمها أحد كيف تتعلّم ؟ اذا لم تُدْعَ الى العلم وتلقّي المعرفة ؟ ومَن يدعوها ؟ « ما في بالميدان غير حديدان » = ادارة المدرسة ؟ السكوت أفضل من الجواب المغلوط .

٣ — دور ادارة المدرسة

يلعب القيّمون على المدارس الدورَ الأكثر فعاليّة في روحنة التلاميذ وتنشئتهم تنشئة ليتورجية صحيحة ... وبقدر ما يكون مدراء المدارس عارفين بليتورجيتنا الشرقية وغناها ، وبقدر ما يكونون مطّلعين على دور الليتورجيا في تكوين روحانيتنا الشرقية ، يكون الاهتمام بالليتورجيا داخل المدرسة اهتماماً نشيطاً وديناميكياً . قال القاصد الرسولي ريمي لبرتر في الثلاثينيات : كلّ مدرسة كاثوليكية لا تنبت منها دعوات ، يجب إقفالها .

هذا الاهتمام يتّضح أو يتجسّد من خلال مدرّسين كفوئين للتنشئة الليتورجية ... باختيار البرنامج المناسب والوقت المناسب للقيام بالاحتفالات العبادية ... فالعمل التربوي الديني الذي لا يقود حتماً الى احتفال عبادي ، يبقى ناقصاً ، وبالتالي فالقيام باحتفال عبادي دون تهيئة خلال ساعات التربية الدينية ، يبقى ناقصاً وفارغاً من معالم كثيرة ... فلا يجوز أن نعيّن ضمن البرامج « ساعة قداس كما نعيّن ساعة تاريخ وجغرافيا أو رياضيات مثلاً » . وهنا لا بدّ لنا من الاشارة الى ما كانت تقول مسؤولة عن الليتورجيا ، أو بالأحرى عن التربية الدينية : « دخلك يا بونا ، طوّل شوي القداس ، معنا خمسين دقيقة » . وأخرى : « دخلك يا بونا ، ما تطوّل القداس ، معنا بس خمسين دقيقة » ...

اختيار الوقت المناسب له أهميته الكبرى في انجاح الاحتفال العبادي أو فشله . اختيار الجماعة المؤمنة المصلّية داخل المدرسة له أيضاً أهميته ، اذا كان الاحتفال العبادي لصفّ واحد فقط أو لعدّة صفوف في الوقت ذاته أو لشعبة واحدة أو لعدّة شُعَب ؟؟؟ وهنا ، لا بدّ لنا من عرض ما حدث في إحدى المدارس :

* مدرسة لبنانية محترمة غاب عنها عدّة أساتذة في الوقت نفسه ... أمام هذا الفراغ ، طلب المدير الى المناظر أن يُنزل التلامذة الى الكنيسة ليقيموا الذبيحة الالهية . التلاميذ غير

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مهيّئين . وكان من الأفضل ابقاءهم في الملعب ، بدل إرسالهم الى الكنيسة .

* كاهن يهيّء بعض التلامذة لرتبة التوبة ... طلبتْ منه الراهبة أن ينتقل الى صفّ آخر ، لأنّ المعلّمة غائبة .
* كاهن يهيّء بعض التلامذة لرتبة التوبة ، طلب منه التلامذة أن يطيل الشرح ، لأنهم لا يحبّون المادة التي ستُعطى في الساعة التالية .
* راهبة طلبت من معلّمة الصف الثاني عشر أن تضع أولادها ، من الآن فصاعداً ، في آخر الكنيسة ، لأنهم « يزعجوا » غيرهم من الطلاب الكبار .
* وَلَدٌ في السادسة من عمره يخبر والدته عمَّا حدث له في « صفّ التربية الدينية » : « ماما ، خبّرتنا الراهبة عن ابراهيم وكيف كان ابراهيم تحت الدرج لِمّن الله حكي معو وكيف زارو بالخيمة » .
* بعض المدارس تتبع ليتورجيا الطقس اللاتيني في إقامة الذبيحة الالهية : ترانيم دينية باللغة الفرنسية .
* بعض المدارس تدعو الأهل والتلامذة الى قداس الميلاد في نصف الليل ، ويُحتفل به حسب الليتورجيا اللاتينية . عندما يتبع الطالب ، خلال خمس أو ست سنوات ، ليتورجيا مختلفة عن ليتورجيته الاصلية ، فكيف تريدون منه أن يتبع ، في المستقبل ، ليتورجيا رعيته ، ويشترك ، مع أفرادها ، في الزياحات والعبادات ؟

وربّ قائل يقول : ولكنّ المدرسة تضمّ طلاّباً من عدّة طوائف . عذر أقبح من ذنب . نحن لا نرى أي مانع من أن يُقام ، مرّة واحدة في السنة ، قدّاس لكلّ الطوائف الموجودة وغير الموجودة في لبنان ، ولكن ، أن تكون الليتورجيا المارونية هي المتّبعة في مدارسنا الكاثوليكية المارونية ، فهذا مطلب محقّ وواجب مقدّس .

* بعض المدارس تتبع ترانيم مترجمة وألحاناً غريبة بدلاً من أن تنمي ، عند التلامذة ، الترانيمَ الشرقية المصلّية والمعبّرة حسب أحاسيسه ونبرته ووتره الشرقي .

نستنتج من كل ما ورد أن هدف المدرسة هو الوصول بالأولاد الى القيام أو الى الاشتراك بالاحتفالات العبادية مع مؤمني الرعية ، حيث يشعرون بأنهم يستطيعون الاشتراك في الصلاة وهم مرتاحون . ولا يجب أن يشعر التلامذة أنّ هدفهم الوصول الى كنيسة الرعية فحسب ، بل نشر الرسالة حيثما وُجدوا في العالم أجمع ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنطلاقاً من هذا الهدف ، كيف تستطيع المدرسة توجيه التلامذة الى تحقيق هذا الهدف أو المساعدة على تحقيقه قدر الامكان ؟

الفصل الثالث : آراء من أجل ليتورجيا أفضل في المدارس

أيّاً كان العمل الفردي ، فهو يبقى محدودَ الفائدة إن لم يمتدّ الى عمل جماعي . ولا يكتمل العمل الجماعي ، الاّ اذا كان الروح القدس هو الموجّه والمُشرف . من هنا ضرورة تكليف لجنة كفوءة من قبل السلطة الكنسية ، هدفُها التنقيب أولاً عن الاختصاصيين في هذا الحقل ، مركّزة في عملها على التأليف والاشراف على البرامج وكيفية تطبيقها والارشاد الى الوسيلة أو الوسائل الكفيلة بالتطبيق .

فالبرامج المؤلّفة محلياً تَفْضُلُ كثيراً البرامجَ المستوردة من الخارج والمترجمة . فهي نابعة من صميم واقعنا الحياتي ، وهي تعبّر عن روحانيتنا وليتورجيتنا الشرقية أكثر من أيّة برامج مترجمة . هذا لا يعني البتة أنّ علينا ألاّ نطالع ونقرأ ونستعين بكتابات غيركتاباتنا ؛ إنما لا نريد نسيان ليتورجيتنا وتقاليدنا والاستعاضة عنها بليتورجيا غريبة عن تقاليدنا ومفاهيمنا .

هنا لا بدّ لنا من لفت النظر الى بعض الرسوم أو الصور التي تعلّق على لوحة الاعلانات أو التي تهيّء احتفالاً عبادياً . هذه الصور أو الرسوم ، في أغلبيتها ، « أجنبية » : كاهن أوروبي يقدّس ، كأنّ الكاهن اللبناني لا يُحسن القيام بالذبيحة الالهية ، أوكأنّ وقفته على المذبح « غير شكل » . فضلاً عن ان هناك من يستعمل الوسائل السمعية البصرية ، معتمدين على مواضيع ليتورجية لا تهمّ شبابنا والمؤمنين عندنا ، أو أنهم يطلعون التلامذة على الاحتفالات العبادية التي تقام في أوروبا ، لكأنّ شعبنا اللبناني لا يعرف القيام بها .

هناك اعتبارات أو أنظمة لا تستطيع المدرسة التغاضي عنها ، ومنها ، تصنيف الأولاد حسب أعمارهم واعطائهم المعلومات المناسبة . والمدرسة الحكيمة تأخذ بعين الاعتبار هذا التصنيف ، وتهيّء برامج واحتفالات عبادية وصلوات لكلّ صنف أو لكلّ فئة . والعرف المتّبع فيما يخصّ التصنيف هو التالي : فئة ابتدائي ، فئة متوسّط ، فئة تكميلي .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يقول بعض مربِّي الدين إن فئة الابتدائي هي الفئة الأهم ، في التنشئة الدينية والليتورجية . عليها يستند أو يحضر المستقبل ؛ إما ابتعاد كلّي عن الممارسات الدينية ، وإما اشتراك فعلي في الاحتفالات العبادية .

للولد في هذه المرحلة بالذات كيانه المختلف عن كيان الأحداث : له طباعه ، له أسلوبه في الفهم والتعبير ؛ بكلمة ، له عالمه المميّز كثيراً عن عالم الكبار ، فإمّا أن نفهم عالمه ونخوض به ونساعده على عيش عالمه ، وإما أن نعيّشه في عالمنا فنضيعه ونخسره في المستقبل .

من هنا القول بأنّ لكلّ قسم امكاناته على الاستيعاب وبرنامجه المحدّد التدريجي وحركاته ورموزه . والمربّي الفاعل يميّز بين قسم وقسم ، فيرى انه من الضروري اعطاء بعض الحركات والكلمات في القسم الأول وتفسيرها في القسم الثاني . وتبنّيها في القسم الثالث ... فاذا كنّا نشدّد على الحركات ، فلأنه من الضروري ، بالنسبة إلينا ، اشراك جسم الولد في الصلاة ، ومن ثمّ في الاحتفالات العبادية .

فكما تعلّم المدرسةُ الولدَ أو التلميذ احترام جسمه ليكون نظيفاً ومهذّباً بواسطة الرياضة على أشكالها ، وبالتالي من خلال جسمه وهندامه يُعْرَف الولد بأنه مثقّف أو أنه تلميذ ينتمي الى هذه المدرسة أو تلك ، كذلك علينا أن نعطي الولد روحية ليتورجية وذوقاً ليتورجياً ، حتى يصبح انساناً ليتورجياً بكلّ كيانه ، وعن قناعة ، ويصبح خرّيج المدرسة الكاثوليكية الفلانية .

في المدرسة ، نعلّم الولد أهمية الكلمة — كيف يقرأها — كيف يكتبها — كيف يفهمها — كيف يكوّن منها جملة ومقالاً وقصائد شعرية ؛ كذلك في مدرسة الليتورجيا حيث علامات الكلمة متوفرة وغنية ، يتوجّب علينا تعليم الولد حسب مستواه أهمية الكلمة ، كلمة الله التي يسمعها ، وكلمته التي يؤدّي بها جوابه لله ، ويعبّر عن التزامه بما يسمع ويفعل ، فيعرف مسؤوليته في سماعها وقراءتها وكتابتها ، وانشادها ...

وكما للكلمة تأثير على تربية الولد ، كذلك للحركة أهميتها الكبرى في تكوين الانسان الليتورجي . وهنا أيضاً لكلّ قسم حركاته : فتح اليدين — رفعهما — ضمّهما الى الصدر — جمعهما — النظرة لها معانيها — حنوّ الجسم له معانيه . هذه المعاني لا يفهمها الولد ، الاّ اذا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كان مهيّأ لفهم معاني الرموز . من هنا ضرورة خلق مناخ للصلاة أو ضرورة خلق جوّ ليتورجي . وهذا المناخ وهذا الجوّ لا يُبنى على العقل انما على القلب والشعور والاحساس . فلا العقل ولا الفهم يساعدان على الصلاة ، انما ذلك الاندفاع الداخلي المعبّر والمؤسَّس على المحبة لله . أردنا بذلك القول إنّ التلميذ أو المؤمن لا يصلّي أحسن اذا ما فَهِمَ كلَّ كلمة ، وفهم كلَّ حركة ، كما يقول البعض .

من أجل اعداد جوّ للصلاة ، جوّ ليتورجي ، من الأفضل تهيئة غرفة خاصة أو مخصّصة للتربية الدينية . المطلوب أولاً من المدارس الكاثوليكية تخصيص غرفة للتربية الدينية تحتوي على زاوية للصلاة وللاحتفالات العبادية ... والمطلوب من المدارس الرسمية أيضاً غرفة للتربية الدينية (لكن ما كل ما يتمنّى المرء يدركه ، تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ...) .

هناك متطلّبات كثيرة نورد بعضاً منها : تهيئة الولد قبل القيام بالاحتفال العبادي : سرّ الاعتراف ؛ سرّ الافخارستيا ؛ تعيين مسؤول ليتورجي لكلّ مدرسة ، يمرّ على غرفة التربية الدينية ، يهيء مع مربّيين التربية الدينية للاحتفالات العبادية ، يتعرّف على الأولاد على اختلاف أعمارهم ، يكالمهم ، الخ ...

تعيين ساعة التربية الدينية ضمن برنامج مدروس ، فلا تكون على هامش برنامج الدروس ... دعوة كاهن الرعية الى صفوف الروضة ليراه الأطفال ويتحادث معهم ، لأن هؤلاء الأطفال لا يرون الكاهن الاّ يوم السبت مساء أو الأحد ، يقيم الاحتفال العبادي ضمن الرعية ... القيام بزيارة كاهن الرعية وزيارة كنيسة الرعية ورؤية الأواني الليتورجية (البخور — الشمعة ...) . من خلال هذه الزيارة وغيرها يخلق جوّ ليتورجي على مستوى الولد ، فلا يجب أن ننزل بالسرّ الى مستوى الولد ، ولا يجب بالتالي رفع الولد الى مستوى السرّ . الولد بحاجة الى رؤية الكاهن يرتدي ثياب القداس ورؤية المذبح والقربان والكأس والحِقّ دون أن نفسّر له وجود يسوع الطفل في هذا البيت ، لأن الولد سيتخيّل طفلاً صغيراً مثله . هذه الزيارة لها أهميتها ، لأنها تخلق ، لدى الولد ، جوّاً ليتورجياً يُوحي بهيبة الله ويعلّمه بأن الكنيسة بيت صلاة (مثل الولد الذي أسكت والدته ، لأنها تتكلّم داخل الكنيسة) . الولد يفهم بقلبه وبنظره ؛ وما علينا الاّ أن نفتح هذا القلب من خلال حركاتنا ووقفتنا وصمتنا ... ولا نأخذ مكان الروح القدس في إرشاد الولد الى الصلاة ، لندع الروح القدس يعمل في قلب الولد ، والولد يشعر ويعرف بأن هناك مَن هو أكبر وأعظم منه ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

دعوة الأهل للاشتراك بالذبيحة الالهية مع أولادهم داخل المدرسة ، وذلك لسببين : لكي يرى الولد أن أهله يكترثون به ويعطون الليتورجيا أهمية ، ولكي لا يضيع الولد عندما يشترك في الذبيحة الالهية في الرعية (لا نستطيع فصل الولد عن الجماعة المصلّية ... تفسير ... أما لصفوف الروضة ؛ فدعوة الأهل لمشاهدة احتفال عبادي) .

دعوة الى القيام بدورات ليتورجية وكيفية ايصال الليتورجيا الى الولد حسب عمره ومستوى تفكيره . دعوة الى التجدّد الدائم ، لأن الليتورجيا حياة والحياة في تطور دائم .

الخاتمة

نستنتج من كل ما ذكرنا أن واجب المدرسة وهدفها ، أولاً وآخراً ، اعطاء الولد تذوّقاً مسبقاً للحفلات والزياحات التي تقام في الرعية . فهي تهيّء للعيد الذي يحتفل به الطالب في الرعية مع أهله وكاهن رعيته والجماعة المؤمنة المصلّية ، وللمرة الثانية نقول : اذا كان هذا هو هدف المدرسة ، فلا يجوز السماح بالقيام بليتورجيا مختلفة عن ليتورجيا الولد ...

ومن المَطالِب أيضاً عدم تركيع الولد في ممشى الكنيسة ، لانه تكلّم مع رفيقه (قصاص) ؛ وأيضاً أن تتقدم من المناولة الراهبة أو المسؤولة عن التربية الدينية التي تكون في الكنيسة وتشترك في الذبيحة مع الأولاد ، لأن النظام هكذا يقول ... وهنا لا بدّ لنا من الاشارة الى ان بعض المدارس تقيم ذبيحة القداس لعدّة صفوف في آن واحد . يتهيّأ للتلميذ بأن المعلّم بوليس يسكته اذا تكلّم . وقفة المعلّم لها تأثيرها — التقدّم من المناولة لها أيضاً تأثيرها ... (مثل المعلّمة التي تتثاءب ، وهي تخرج الأولاد من الكنيسة) .

عدم اجبار الولد على الاعتراف . قالت إحدى الراهبات : « انطون ، فْحاص ضميرك منيح . انت عامل خطايا كثيرة ، قِلّو للخوري خطاياك الكبيرة والصغيرة » . وبعد الاعتراف ، كانت تلك الراهبة تسأل للأولاد : ماذا قال لك الكاهن ؟

لا يقبل بتاتاً أن تسند صفوف الروضة الى معلّمة بلغت الثمانين (الحق العام أولى من الحق الخاص) .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

نوجز القول بأن الليتورجيا « سرّ » و « عمل » ، هدفها تقديس الانسان . وهذا التقديس لا يكون لفترة من الزمن ، بل يتواصل حتى نهاية المسيرة ، مسيرتنا نحو الملكوت .

حبّذا لو اننا نسمع بعض التلامذة الذين يتمنّون الرجوع الى المدرسة ليصلّوا ويقدّسوا ويحتفلوا بالاحتفالات العبادية. ذلك يتطلب وقتاً، ولكن لا يجب ان نفقد الأمل. فتغيير العقليات لا يكون فقط بنظام موضوع ومكتوب ، انما يتطلّب جهداً وتفكيراً وتأملاً وصلاة . « ولكن أَيَجِدُ ابنُ الانسان ، يومَ يأتي ، الايمانَ على الأرض ؟ » (لوقا ٨/١٨) .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الليتورجيا والبرامج المدرسة

الأخت سلست بو منصور

من مواليد بشعلة سنة ١٩٤٣ .
من جمعية راهبات الوردية المقدسة . تحمل اجازة في الفلسفة من جامعة الروح القدس — الكسليك ، وديبلوماً في الدراسات المعمّقة في الليتورجيا من معهد الليتورجي في جامعة الروح القدس — الكسليك سنة ١٩٨١ . وحالياً تعدّ اطروحة الدكتورا في الليتورجيا حول « عيد انتقال العذراء وليتورجيته في الطقس الماروني » .
مديرة مدرسة برج حمود لراهبات الوردية . تعمل بنشاط على تعزيز الحياة الليتورجية في هذه المدرسة وفي الرعية التابعة لها مدرستها .

شهادة حياة تبدأ بكلمة شكر

انّ الاشعاع الليتورجي الذي ينبعث من جامعة الروح القدس — الكسليك ، على مختلف الصعد ، الجامعي منها والمدرسي والراعوي ، هو ظاهرة فريدة من نوعها في القرن العشرين الشرقي والكنسي ... حدث ليتورجي تمّ في وقت تنتظر فيه كنيستنا المارونية خاصة ، من « يهوّي » كتبها الطقسية القديمة ويجدّدها مع الحفاظ على تراث أجدادنا الاولّين وروحهم . واذا كانت كنيستنا المارونية وجامعتنا ، أحيتا الذكرى المئوية الرابعة لتأسيس المدرسة المارونية في روما (١٥٨٤ — ١٩٨٤) ، فأملنا كبير بان نعيّد ، عن قريب ، ذكرى احياء النهضة الطقسية المارونية في قلب جامعة الروح القدس وبهمّة مؤسّسها وروّادها في قسم الليتورجيا وقسم العلوم الموسيقية .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هذه الظاهرة الليتورجية تنعش الامل وتبشّر بنهضة ليتورجية على مستوى شعب له أصالته الليتورجية العريقة . والفضل فيها يعود بلا شك ، الى روّاد تلك النهضة والمحبّذين لها ، وعلى رأسهم حضرة رئيسنا الاب يوحنّا تابت مؤسّس المعهد الليتورجي في هذه الجامعة العزيزة على قلبنا جميعا والتي افتخر بان اكون ورقة من اوراق شجرتها الليتورجية التي يرعاها ، اليوم ، حضرة الاب عمّانوئيل خوري ، مدير المعهد الليتورجي ، والمؤتمن على متابعة الطريق الليتورجية ، وهو يسقيها من روحه وعطائه السخيّ . ومن علامات الاهتمام الكبير في استمرارية الاشعاع الليتورجي ، تلك اللقاءات التي تجمعنا كي نلملم الاوراق المبعثرة بغية جمع الثمار في مثل هذه اللقاءات الليتورجية التي تفسح لنا في المجال لتبادل الخبرات الليتورجية في مختلف حقول هذا العمل ، كي نتحسّس كلنّا اهمية دور الليتورجيا في حياة المؤمن المسيحي وفي الكنيسة ، لانّ الليتورجيا هي عصب الحياة والقلب النابض بالايمان .

وبما انّي ما زلت ارتوي من المعهد الحبيب لأروي العطشان ، اسمحوا لي بكلمة شكر اخرى خاصة ومثلّثة من القلب :

الاولى : الى الله الذي اختارني كي اكون في عداد المختارين في الحياة الليتورجية ، بعدما دعاني لاكون في عداد المدعوين الى الحياة الرهبانية ، فأُصبح رسولة ايمان ورسولة حياة مسيحية مثالية في الحياة الرهبانية والليتورجية .

الثانية : الى رئيس الجامعة الاب يوحنّا تابت الذي عندما دقّ باب الدير ، كنتُ اولَّ المُلبّين للدعوة التي كانت في بدايتها فلسفة ولاهوتا ونهايتها ليتورجيا . وهكذا حصلت دعوتي الليتورجية التي بفضلها تكتمل دعوتي الرهبانية وتتكثف وعيا ونشاطا . فانا مدينة للاب يوحنا تابت رئيس الجامعة ، ولمدير المعهد الليتورجي ، الاب عمانوئيل خوري المحترم ، بكل ما اتمتّع به من حسّ وثقافة ليتورجية وطقسية ، جعلتني أنمو باستمرار وأُنمّي معي تلميذاتي ومدرستي ورعيتي ؛ وفي رعيتي ، أشكر حضرة المنسنيور بطرس الجميل الذي شجّعني على التطبيق ، وكان استاذي في الجامعة واستاذي في الرعية والمدرسة ؛ واليوم اتابع المسيرة الليتورجية مع كهنة الرعية الافاضل ، الخوري الياس بوغاريوس والخوري سمير نصّار .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والشكر الثالث : اوجهه الى رهبانيتي الحبيبة التي ادركتْ عمق هذا الموضوع البالغ الاهمية ، وشّجعتني في المضيّ حتى النهاية مع اختين اخريين لا يزالان على الطريق ، « والحبل عالجرار » .

* * *

تصميم الموضوع

نتناول في معالجة الموضوع ثلاثة امور :

١ — جو المدرسة الملائم لنمو الليتورجيا

١ — امكانية توّفره أو عدمه .

٢ — العوامل التي تؤثّر على نمو الليتورجيا ، ايجابيا أو سلبياً ، وجعلها اكثر أو اقلّ فعاليّة .

٣ — الحياة المدرسية اليومية ، رموز للحياة الليتورجية .

٤ — امتلاك زمام الامور عندما اكون مسؤولاً مباشرةً عن كل ما يتعلّق بنجاح الليتورجيا : ادارة ، تعليم ، موسيقى ، جوقة ... اتفاق تام بين المسؤولين في القطاع التعليمي والراعوي .

٢ — شهادة حياة ليتورجية مدرسية

* الليتورجيا في البيت والمدرسة .

* الليتورجيا في المدرسة والرعية .

٣ — اسئلة ختامية ونصائح عملية .

١ — المدرسة تربة صالحة لنمو الليتورجيا ، اذا توفّرت لها الشروط والظروف الملائمة

١ — جو علم وحياة جماعية موحّدة

* كما نغذّي عقل الولد وأخلاقه ، هكذا نغذّي ايضا روحه .

* في المدرسة ، يتعلم الولد كيف يعيش في بيته ومجتمعه وفي مدرسته ، وايضا كيف يعيش مع ربّه (بالليتورجيا) .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* مناسبات عديدة يعبّر فيها الولد عن قناعاته ، افراحه ، احزانه ، وايمانه ايضا (احتفالات وطنية : استقلال ، علم ؛ احتفالات اجتماعية : عيد الام ، الربيع والشجرة ؛ احتفالات مدرسية : عيد المعلم ؛ واحتفالات دينية ايضا : ليتورجيا القداس في الآحاد والاعياد) .

٢ ــ جو العائلة المدرسية

ادارة ، هيئة تعليمية ، تلاميذ ، تجمعهم الالفة والتعاون والهدف ، المدرسة مختبر لجو العائلة الاجتماعية ، وبالتالي العائلة الروحية في الكنيسة وعيش الايمان بنفس الروح والعقلية والفرح بلقاء الرب . فالليتورجيا ، في مثل هذا الجو الدافئ ، تقرّب المسافات بين المدرسة والبيت وبين المدرسة والرعية ؛ ومتى توفّر هذا الشرط ، تمّ النجاح المرتقب ، وسرَت الحياة بقوة ونشاط في عروق الانسان الروحاني .

٣ ــ متطلّبات الحياة المدرسية

من التزام واجتهاد وعمل متواصل وعيش كريم وحياة سعيدة هذه كلّها التي ينشأ عليها الولد ، هي جسر يصله بالجانب الآخر من الحياة الزمنية والثقافية ، وهو الجانب الروحي ، لأنّ حياته الزمنية ليست سوى رموز تتحقّق في حياته الروحية ، وبالتحديد في الليتورجيا .

وباختصار نقول انّ هناك تكاملا بين الجسد وحاجته الى الغذاء المادي الذي يتحقّق بالعمل ، وبين العقل وحاجته الى الغذاء العقلي الذي يتحقّق بالعمل والثقافة . ثم الروح الذي يحتاج الى غذاء روحي تؤمّنه له الليتورجيا عن طريق الصلاة والاسرار .

جميع العوامل المذكورة تتفاعل على جميع الصعد :

الكنسية : (اساقفة ــ كهنة ــ جمعيات ...) .

الرهبنات : (رؤساء ورئيسات عامين ومحليين) .

الادارات : (في المدارس : المعلمون ــ توفر الامكانات والاشخاص المؤهلّين) .

الخلاصة : كي نستفيد من تلك التربة الصالحة التي تكلمّنا عليها ، ينبغي الانتباه لامرين :

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

١ ــ الهام في حياة الولد : وضعه على الطريق الصحيح وتوجيهه الى الايمان بالله ومحبته .

٢ ــ امّا الاهم ، فهو تدريبه على السير في هذه الطريق واعطاؤه مفتاح الاسرار التي هي الصلاة بكل ابعادها الروحية والليتورجية ، فيدرك اهمية الليتورجيا وضرورتها للانسان ، كي تؤدّي دورها الحيوي في حياته ، ويصبح ايمانه حيا بالمسيح الاله المتجسّد والحاضر في الكنيسة باسرارها وصلاتها الحيّة في شعبها المؤمن ، فنحقّق ، بذلك ، دعوة الكنيسة للتثقيف الليتورجي في المدارس ، لانّ المدرسة هي الاساس في البناء الهرمي للانسان المؤمن . والولد هو من حجارة هذا البناء الذي لا يقوم على الايمان الذي تعلّمناه فحسب ، بل عندما تصلّي الكنيسة وتحتفل بالليتورجيا والاسرار يتغذى ايمان المشتركين وترتفع العقول والقلوب الى الله لتؤدّي له واجب الاكرام العقلي وتنال النعمة اكثر غزارة .

٢ ــ شهادة حياة ليتورجية في مدرسة الوردية ــ رعية مار ضوميط ــ برج حمّود

تقسم الى مرحلتين : * قبل وبدون ثقافة ليتورجية ؛
* بعد الثقافة الليتورجية .

اذن ، سوف نرى معا خلاصة عشرين سنة من العمل المتواصل في المجال التعليمي التربوي والديني الليتورجي والموسيقي والاداري . ربّما تعجبتم من هذه الشمولية في العمل ، لكنّها ، في الحقيقة وبعد الخبرة ، مناخ ممتاز لتألّق الليتورجيا وانجاحها وحلّ المشاكل المتعلّقة بها بسهولة اكبر ... وهذا ما يريحني معنويا رغم التعب الجسمي .

أمّا وقد سبق وقلت بأنّ الاعمال التي أقوم بها هي عوامل مسهّلة ومشجّعة للمشروع الليتورجي ، فاني اطرح معرفتي وخبرتي في الحقول التالية :

١ ــ الادارة :

* تمكّنني من الاتصال المستمرّ بالاولاد والعناية بهم على جميع الصعد .
* حرية وضع البرامج الدينية خاصة ، وتعيين وقت القداس والاعتراف وغيره .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢ — الموسيقى :

* ثقافة موسيقية للاولاد تساعد على قراءة النوطة وحفظ الالحان الكنسية خاصة .
* امكانية تعليم الالحان المختلفة : وطنية ، فولكلورية وروحية .
* الاهتمام بجوقتين في المدرسة تضمّ ثمانين فتاة لخدمة قداديس الرعية . (اهمية الجوقة وتأثيرها في الرعية) .
* توجيه ليتورجي موسيقي عام .

٣ — التعليم الديني :

بعد ان كان مقتصرا على العقيدة فقط ، أصبح اليوم يتضمّن شرحا للعقيدة وتطبيقا لها ، كشرح الاسرار ، مثلا ، وكيفية الاشتراك فيها . ويعود الفضل في ذلك الى سلسلة « طريق المحبة » التي اعتمدناها فور ظهورها ، لان منهجيتها تتجاوب مع أهدافنا الليتورجية .

في عودة الى الماضي ، أعترف ان الليتورجيا كانت غائبة كليا عن عقلي وعن حياتي ... ما ذنبي ! !؟ هذا ما أعطِيتُه ... كان التعليم عندي يقتصر على سؤال وجواب باللغة الفرنسية لعدم توفّر كتب دينية آنذاك ... لكنّ هذه الحال لم تدم طويلا ، وسرعان ما تطورت الاساليب وتطوّرتُ انا معها : محاضرات ، دورات تدريبية دينية وليتورجية وموسيقية ، بهمة المنسنيور بطرس الجميل ، الذي كان وما يزال ذا حيوية ونشاط في الحقل الليتورجي والراعوي والمدرسي وتنظيم الدورات الليتورجية .

امّا على صعيد المدرسة والرعية ، فيجب ان نعلم انّ المدرسة من الرعية ، ومع الرعية ، وللرعية ، تعمل في الحقل التربوي والرسولي . ونحن كنّا وما نزال على اتفاق تام مع كهنة الرعية الافاضل ، لان هذا الاتفاق هو عامل هام في انجاح العمل المدرسي الراعوي .

لم نكتفِ بهذا القدر من الثقافة ، بل اخذنا نسير والليتورجيا تسبقنا الى ان سبقناها الى الجامعة التي كانت لنا فرصة ذهبية منحتنا حياة جديدة مع الله ومع الاولاد ومع الكنيسة . وأصبح كل شيء في المدرسة ليتورجيّا : صلاتنا ، لعبنا ، درسنا ؛ كل هذا يُقدَّم لله كي يباركه بحضوره بيننا . صلاة الصبح والفرض دخلت في برنامجنا الاسبوعي ، القداس

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الشهري الاجباري الروتيني اصبح قداسا اسبوعيا اختياريا اجباريا حيّا . أصبح اشتراكا بعد ان كان حضوراً ؛ والاولاد الذين كانوا يهربون من القداس ، اصبحوا اليوم يذهبون ، بكل اختيارهم ، الى القداس ، وبعد ان كانوا يكرهون الاعتراف اصبحوا يطلبونه . بكلمة واحدة ، نستطيع القول انّه عندما تغيّر مفهوم القداس والاعتراف وسائر الاسرار ، تغيّرت النتيجة واصبحت اكثر ايجابية . يعود الفضل بذلك الى التوعية الليتورجية والمسيحية التي خلقتها وأنمتها الثقافة الليتورجية والحسّ الليتورجي اللذان ، بتفاعلهما ، يؤدّيان الى الذوبان في الله في الحياة الليتورجية .

٣ ــ أنموذج عن احتفال ليتورجي في المدرسة

١ ــ على صعيد التعليم الديني :

(١) توفير الحصص الكافية والوقت الملائم للتعليم الديني والاحتفالات الليتورجية .

(٢) اعطاء ثقافة ليتورجية حياتية الى جانب العقيدة المسيحية ، تتناسب مع المستويات والاعمار ليشعر الولد انّ ما يُعطاه هو خبز حياة روحية يُعطى لحياة أبدية تبدأ على الارض عن طريق الليتورجيا التي هي عيش سرّ الخلاص مع المسيح .

(٣) بدء اللقاء الديني بصلاة أو ترتيلة ، ثم اعطاء شرح عام ومفصّل عن السنة الطقسية وعن الطقوس عموما .

(٤) اعطاء الناحية الليتورجية وكيفية تطبيقها في حياتنا ، في كلّ موضوع يشرح عن الاسرار خصوصا ، وذلك لايقاظ الحسّ الليتورجي عند الولد ليعلم انّ ساعات الدين هي لقاء محبة وتعارف بين الله والانسان يحقّق في الليتورجيا ، فلا نكتفي بالنظريات بل نلبسها حلّة تجعلها قريبة من الحياة ، قابلة للعيش واعطاء الثمار الروحية .

(٥) الحياة الليتورجية تطال البيت غالبا خاصة القداس ، وذلك عن طريق الاولاد .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

(٦) محاولة قيد التنفيذ للقيام بصلاة كاملة صباحا أو مساء ليتعرّف الاولاد الى صلاة الكنيسة . وهنا ندخل في إطار العمل الليتورجي الصرف .

٢ — على الصعيد العملي : قداس الاولاد في المدرسة :

في مثل هذه الاحتفالات المدرسية الخاصة ، يجب اتباع طريقة تتناسب وعقلية وذوق وعمر وحالة الولد الذي يصلّي . لهذا ، من المحبّذ خلق اطار يجعل الولد يحيا الاحتفال بالذبيحة ، ويشترك فيها فعليّا بالصلوات والتراتيل والقراءات كي لا يكون الاحتفال روتينيا خاليا من الحياة كأنه شريط مسجّل يكرّر سماعه .

كيف نحتفل نحن اسبوعيا بالقداس مع الاولاد (اعمارهم بين ١١ و١٦ سنة) .

(١) التهيئة البعيدة :

* شرح القداس
* الاستعداد الداخلي : توبة — اعتراف — وعظ .
* فكرة عن الزمن الطقسي .

(٢) التهيئة القريبة :

* تعيين لجان لتقوم بالخدمة ، اسبوعيا :
* تهيئة القرابين مع الكاهن وتقديمها باحتفال عند الدخول الى الكنيسة .
* قراءة الرسالة مع اعطاء شرح بسيط عنها ثم توزيع النصوص .
* تحضير البخّور — اعطاء السلام — الشمّاس — اضاءة الشموع .
* النيّات وتحضيرها — تتنوّع حسب المناسبة أو الزمن الطقسي .

التراتيل والنصوص في الاحتفال الليتورجي : توزّع النصوص على الاولاد ليتسنّى لهم الاشتراك في الصلاة والتراتيل . الموسيقى الطقسية والتراتيل هما عنصران هامان في الاحتفالات الليتورجية ، خاصّة المارونية ، لان القداس الماروني بطبيعته احتفالي ؛ من هنا اهمية وضرورة تمرّس معلّم الدين بالثقافة الموسيقية والليتورجية ليتمكّن من انتقاء الالحان والنصوص المناسبة في الازمنة والمكان المناسب . فللموسيقى دورها في احياء الصلاة الليتورجية في الجماعة المصلية على ان تُراعى فيها الاصول الموسيقية والطقسية .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

على هذا ، اودّ ان الفت الانتباه الى انّ جميع الحاضرين في الكنيسة جوقة ، والقسم الاكبر منهم يساعد في خدمة قداديس الرعية الساعة التاسعة والعاشرة والنصف . اخيراً ، لا يترك الولد الكنيسة دون ان يأخذ زوّادته الروحية ليحيا منها طوال الاسبوع بل في حياته كلّها . لانه يجب ان يفهم الولد انّ لقاءه بالمسيح في القداس هو فرصة ذهبية يجب ان لا يدعها تمرّ دون ان تنقله من الرمز الى الحياة ، ومن العيد الى العمل اليومي ، ومن القيامة الى العنصرة ، أي اعطاء المسيح الى الآخرين .

٤ — اسئلة ختامية ونصائح عملية وبعض التمنيات :

س ١ — هل تتجاوز الليتورجيا عتبة المدرسة فترافق الولد في طريقه الطويل مع الله ، ام تبقى داخل جدرانها ويحمل معه الذكرى فقط ؟

س ٢ — ماذا يجب ان نفعل كي تبقى الليتورجيا عنصرا حيّا ومحييا في حياة الولد المستقبلية ؟

اذا رغبنا في الاجابة على هذين السؤالين ، علينا ان نقف وقفة المسؤول امام ضميره ونقول : اذا اردنا ان نستفيد من هذه الفرصة الذهبية في هذه اللقاءات الليتورجية ، واذا وطّدنا العزم على ان نجعل من الليتورجيا في المدرسة شجرة مثمرة في جميع الحقول التربوية والعائلية والرعائية ، واذا كان هدفنا ان تصبح الليتورجيا علما واحتفالا وحياة ، كما جاء في كلمة حضرة الاب المدير عمانوئيل خوري عن الليتورجيا في الجماعات الرهبانية ، واذا اقتنعنا اخيرا انّ الليتورجيا يجب ان ترافقنا على مدى حياتنا ، كما جاء في كلام حضرة الاب الرئيس يوحنا تابت في تعليقه على احدى المحاضرات الليتورجية ، علينا ان نعي ما يلي :

١ — يجب خلق حسّ ليتورجي مرهف مع قناعة شخصية عند من سيتولّون مهمّة اعطاء التعليم الديني في المدارس من رهبان وراهبات واكليريكيين وعلمانيين .

٢ — توفير ثقافة ليتورجية عامة الى جانب الثقافة الدينية التي تُعطى لمعلّمي التعليم المسيحي وكذلك الثقافة الموسيقية الكنسية ليتمكنوا من اختيار النصوص والالحان الملائمة للزمان والمكان .

٣ — ان تشمل هذه الثقافة الليتورجية والموسيقية معلّمي التعليم المسيحي في المدارس الرسمية ايضاً ، كي لا يُحرم أي طالب لبناني حقّه في اكتساب هذا الكنز

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الروحي وتهيئة الاجواء الملائمة ، لكي تكون التربية المسيحية نوراً يضيء مستقبل الولد الروحي .

٤ — إعادة الدورات التدريبية والموسيقية والليتورجية الى الحياة بعد ان اوقفتها الحرب وحلّت محلّها اخرى .

٥ — على كل مسؤول في التربية الروحية ان يشعر انّ الليتورجيا هي جوهرة في الكنيسة وفي حياتنا المسيحية ، اذا فقدناها فقدنا رونق وجمال حياتنا مع الله ، لانّ الحياة معه لا تعاش الاّ بالليتورجيا .

أخيراً ، وقبل ان اطرح سؤالي الاخير على ضمير كلّ مسؤول ، وقبل ان أبدي تمنّياتي الشخصية في هذه المناسبة ، أعطي هذه الخلاصة :

(١) انّ المدرسة الليتورجية هي طريق للتجديد والتمرس بالحياة الروحية الفضلى وامل لمستقبل زاهٍ مشرق ، اعني بذلك اننا اذا لم نطلّ من نافذة الليتورجيا على حياتنا الروحية ، نستمرّ قابعين في الظلمة .

(٢) كي ننجح في رسالتنا الليتورجية ، علينا بالانتساب الى تلك المدرسة .

(٣) علينا ان نقتنع ان التعليم الديني في مدارسنا لن ينجح اذا لم يتعدّ الحرف الى الحياة ، لانّ تعليم الدين بدون ليتورجيا كالايمان بدون اعمال ، فهو قصير العمر ، هزيل العطاء .

بعد هذا ، أتساءل في وقفة امام الضمير : هل انا مرتاحة في عملي الرسولي والليتورجي ؟ اذا كان الجواب نفياً ، فماذا عليّ ان افعل لأُريح ضميري من هذا القبيل واسير في الخط الليتورجي السليم .

وأخيراً كي نلتقي معا في المفهوم الليتورجي الصحيح ، اتمنّى على المسؤولين والمرشدين والمنظمّين في حركات الشبيبة المسيحية اليوم ، ان يلمّوا بالاصول الليتورجية ويجعلوا الشبيبة تشعر انّها من الكنيسة ومع الكنيسة وفي الكنيسة تصلّي وتعمل ، وان يختاروا لها ، في صلاتها ، الالحان والنصوص الليتورجية المناسبة للروح الطقسية ، وان يميّزوا في اختيار الالحان بين الاغنية الروحية والترنيمة الكنسية . كما اتمنّى على كلّ معلّم مسيحي ومربٍّ مسؤول عن الحياة الروحية مع الاولاد أن يشعر كما اشعر بانّ احلى ساعات النهار هي التي

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اقضيها مع تلاميذي في صلاة جماعية ، ان في القدّاس أو اثناء توبة جماعية أو قدّاس مع الاولاد في الرعية .

فلنمتثل اذن لنصيحة مار بولس القائل : هوذا الآن وقت مقبول هوذا الآن يوم خلاص ؛ ولنعمل ما دامت لنا الفرصة كي نجعل اولادنا وشبيبتنا ينعمون ويتذوقون طعم الله في لقائهم اليومي معه ، في الصلاة الليتورجية مع الكنيسة المصلّية .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع الثامن

الليتورجيا والمجتمع

الخوري فرنسيس البيسري
و
الخوري ايلي ضو

*

١٧ كانون الأول ١٩٨٤

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الليتورجيا والعمل

الخوري فرنسيس البيسري

من مواليد قنات سنة ١٩٣٣ . ارتسم كاهناً سنة ١٩٦٢ . هو ، حالياً ، خادم رعية البترون بكل ما لمعنى الخدمة من شمولية وملزمات رعاوية . هذه الخدمة المتجسّدة في الكلمة ، نذر لها حياته ليوزّعها من خلال الارشاد والتوجيه ، من خلال كتاباته العديدة في المجلاّت الدينية والتربوية ، في تقميش المخطوطات ونقلها من لغة ميتة الى لغة حيّة ، في ترجمة وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني ، ونشيد الكون للأب تيار ده شردان ، وهو ، اضافةً الى ذلك ، رجل الصلاة في عمله الكهنوتي الرعاوي .

قصة الكهنة العمّال في أوروبا ، كثيرون منّا لا يجهلونها . لقد أَثارت ، في الستينات ، عاصفة قوية في الكنيسة . فمن محبِّذ ومن معارض ، ومن مُبْدٍ رأيه مع ، ومن هو ضدّ . تحرّكت وسائل الاعلام ، من صحف ومجلات واذاعة ، في صدد معالجة القضية . اعتبرها البعض فتحاً في حياة الكنيسة ، ونظر اليها البعض الآخر نظرة ريب وشكّ ، ورأى فيها عنصراً دخيلاً في صفوفها . طبعاً ، كان للحركة شذوذها ، فأحدثت هروباً عند بعض الكهنة ، وشكوكاً عند المؤمنين ، فكان ان أعطت الكنيسة كلمتها الفصل وأُسدل الستار . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، يحدّثونك ، وبشيء من الدهشة ، عن المناولة تحت الشكلَين ، وعن المناولة باليد ، ناسين ما كان الوضع في كنيستنا في هذا المضمار . لن نبحث عن الأسباب التي حملت الكنيسة على ايقاف حركة الكهنة — العمّال . هذا ما نحيلكم اليه والى البحث حوله . ما يهمّنا الليلة هو ان نبيّن أن **كنيستنا المارونية كانت كنيسة عاملة** ، دون أن يثنيها عملها عن الصلاة ، بل نريد أن نظهر ان عملها كان صلاة ، وصلاتَها عملاً .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أولاً : مفهومية العمل

١ — في الكتاب المقدس

لمّا كانت المقاييس حول العمل في عالمنا المعاصر ، تختلف عن النظرة التي للكتاب المقدس حوله ، يحملنا الظنّ ، في أغلب الأحيان ، على انّ الكتاب يجهل العمل ، أو أنه لا يفقَه حقيقته وقيمته وبُعده الخلاصي . من هنا ، نحن مساقون الى الاعتقاد والقول معاً بأن العمل انما هو نتيجة حتمية للخطيئة . وفي الواقع ، أخذ الربُّ الالهُ الانسانَ قبل الخطيئة ، وجعله في جنّة عدن ليفلحها ويحرثها (تك ٢/١٥) . ان الله الذي خلق الانسان على صورته ومثاله ، والذي عمل ستة أيام ، وفي اليوم السابع استراح ، هو أراد أن يستريح الانسان يوم السبت (الأحد اليوم) بعد اسبوع من العمل (تك ١/٢٦) . ومن الكتاب يتبين لنا أيضاً ان الله ، بعد خلق الكون ، أراد أن يشرك الانسان في عملية الخلق هذه ، فوضع هذا الكون بين يديه وسلّحه بالقوّة ليخضعه ويتسلّط عليه (تك ١/٢٨) . والكتاب المقدّس ، اذا ما تكلّم على الله ، فانما يتحدّث عنه كعامل : الانسان هو صنع يديه ، والسماء عمل أصابعه (مز ٨/٤) .

والعمل في الكتاب المقدس هو شريعة يفرضها على الانسان وضعه البشري . وانه ، لهذا ، معرّض للخطيئة « فيأكل خبزه بعرق جبينه » (تك ٣/١٩) . وكما ان المرأة ، اذ تلد البنين بالآلام ، انما هي تنتصر بالحياة على الموت ، هكذا يثبت الانسان ، بالتعب اليومي في العمل ، استخدام القوة التي اعطاه اياها الله ليخضع الطبيعة الملعونة .

واذا كان العمل في العهد القديم يبدو شريعةً يفرضها الوجود البشري ، فالعهد الجديد ينظر اليه نظرة سامية من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، يبدو وكأنه يتجاهله أوكأنه يتعامل معه من عَـلُ .

لقد رفع المسيح من قيمة العمل اذ أصبح بدوره عاملاً (مر ٦/٣) . أليس هو النجار ابن مريم ؟ أليس هو ابن نجار ؟ ألم يأخذ رسله من الطبقة العمالية ، التي تمارس عملاً مضنياً ، شاقاً وعاقاً ؟ بيد أن الانجيل لا يتكلّم على العمل الاّ اذا تحدّث عن أعمال الله . فهو ، اذاً ، أراد أن يعطي عصافير السماء كمثال . قال عنها : « انها لا تزرع ولا تحصد »

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

(متى ٦/٢٦) ؛ أو زنابق الحقل ، قال : « هي لا تتعب ولا تغزل » .

لقد شبّه يسوع رسالته بحقل أينعت سنابله ، وهو بانتظار الحصادين « الحصاد كثير والفعلة قليلون » . وما طرح الأمثلة في تعليمه الاّ لينظر الى « الزارع الذي خرج ليزرع » ، والى المرأة التي أخذت مكنستها لتكنّس بيتها . واذا ما كثّر الخبز مرّة بطريقة عجائبية ، فهو انما يريد أن يترك للانسان أن يأكل خبره بتعبه ، وأن يخبزه في فرنه أو على صاجه وتنوره .

والمسيح ، آدم الجديد ، انما أتى ليخلّص ما أهلكه آدم الأول ، ولكي يعيد السلام الذي فقده الانسان الأول . وهو ، اذ يتكلّم على ملكوت الله الذي ليس من هذا العالم ، ولكنه في آن كالخمير في العجين ، فهو انما يريد ، بهذا ، ان يعيد الى العامل قيمته الروحية ، وان يعطي العمل ابعاد المحبة ، وان يوطّد العلاقات التي يعطيها العمل على المبدأ الجديد ، الأُخُوَّة في المسيح . وهو يريد من شريعة المحبة ان تخفّف من تعب الانسان في عمله ، ومن ادخال المسيحي في سرّ آلامه وموته ، أن يعطي قيمة جديدة للتعب المحتم .

٢ — في المجمع الفاتيكاني الثاني [١]

ولما كانت الكنيسة امتداداً لشخص المسيح ، فهي لا تختلف عنه في نظرتها الى العمل . سنكتفي في عجالتنا السريعة بما تعلّمه الكنيسة في هذا الموضوع في المجمع الفاتيكاني الثاني . فعن العمل من حيث بعدُه الزمني ، يتحدّث المجمع في أكثر من دستور وقرار . « دستور راعوي الكنيسة في عالم اليوم » ؛ يتحدّث عنه كقيمة بحدّ ذاتها ، وعن ارتباطه بالانسان من حيث هو مصدره وغايته في آنٍ ، وعن الدور الذي يلعبه في حياة المجتمعات ، وعن كونه امتداداً لعمل الخالق وتحقيقاً لتصميمه الالهي . ويتحدّث المجمع عن العمل في « دستور في الليتورجيا المقدسة » من حيث أنه يكوّن ، الى جانب التأمل ، عنصراً اساسياً تعبّر به الكنيسة عن سرّ المسيح وعن ميزة من ميزاتها . ولقد اكتفينا بهذين الدستورين لأن حديثنا يتناول « الليتورجيا والعمل » .

---

(١) الوثائق المجمعية : طبعة ثانية منقحة ١٩٨٤ ، دار الكتاب المفضّل : ترجمة المطران عبده خليفه والأبوين يوسف بشاره وفرنسيس البيسري .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ينظر آباء المجمع الى العمل كقيمة بحدّ ذاتها من حيث ارتباطها بتصميم الله وامتدادها لعمل الخالق . فالنشاط الانساني يتجاوب على هذه الأرض وتصميمَ الله الذي وضع الانسان في الجنّة ليفلحها ويحرثها . وما أعمال البشر الا امتداد لعمل الخالق الذي ، بعد عملية الخلق ، رأى أن كلّ شيء جميل ، فقال : « لنخلقنّ الانسان على صورتنا ومثالنا كي يصمّم وينفذ ويجمّل » . بمعنى ان الانسان اذا صمّم فهو يصمّم لخالقه ، واذا نفّذ وجمّل فبيدي الله يعمل في هذا الكون ويجمّله . واذا عمل الانسان فلكي يكفّر عن خطيئته ويساهم في عمل خلاصه منذ ان استحق ذلك الحكم « بعرق جبينك تأكل خبزك » . واذا عمل فليُخضع الطبيعة والكون كي تنبت له قمحاً وعنباً بدل القطرب والشوك ، ولكي يعتقها وهي لا تزال تئنّ منذ المعصية الأولى .

والانسان الذي عنه يصدر العمل ، والذي هو مصدر النشاط ، هو عينه غاية هذا العمل وهدف هذا النشاط . فهو لا يعمل ليعمل فقط ، ولا يجمّل الكون لتجميله وحسب ، بل هو ، اذا ما عمل في الأشياء واشتغل في المجتمع ، انما هو يؤنسن ما يعمل ، والبيئة التي يعمل فيها . وبصفته مسيحياً ، مسيحاً آخر ، يخلّص ما قد هلك ويحرّره . فالشخص ، يقول المجمع ، يطبع ، نوعاً ما ، الطبيعة بطابعه ، ويخضعها لتصاميمه . والانسان ، بشغله ، يضمن عادة عيشه وعيش عائلته ويشترك مع اخوانه ، ويقدّم لهم الخدمات ويمارس المحبة الحقيقية ، مساهماً في إكمال الخلق الالهي ... واننا لنؤكد ، يقول آباء المجمع ، ان الانسان ، بما يقدّم بعمله من اكرام لله ، يشترك في عمل يسوع المسيح الفدائي الذي أضفى على الشغل كرامة سامية عندما اشتغل بيديه في الناصرة [٢] .

فالقضية ليست وقفة اعجاب وتقدير أمام نتاج العبقرية البشرية من اختراعات ، وأمام النجاح الذي يحرزه الانسان في اكتشافاته . بل القضية ترتكز على الدور والمكانة اللذَين يلعبهما العمل في الحياة الاجتماعية والعلاقات الاقتصادية « فالانسان يعمل لتسود العدالة أكثر ممّا هي عليه ، وليزداد انتشار الأُخُوَّة ، وليسود نظام أكثر انسانية في العلاقات الاجتماعية ... ولتوفير أساس مادي للرقي الانساني » [٣] . فبدون الصانع والمهندس ، وبدون

(٢) الوثائق المجمعية : دستور راعوي : الكنيسة في عالم اليوم ، ص . ٣٦٦ .

(٣) الوثائق المجمعية : دستور راعوي : الكنيسة في عالم اليوم ، ص . ٢١٥ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الحافرين نقوش الخواتم ، وبدون الحدّاد الجالس أمام السندان ، والخزّاف المدير دولابه برجليه ... بدون هؤلاء كلّهم وغيرهم الذين يتوكّلون على أيديهم ... بدونهم لا تعمر مدينة (٤) .

وفي هذا المعنى يقول المجمع أيضاً : « هؤلاء الرجال والنساء الذين ، بتحصيلهم القوت لهم ولعيالهم ، يقومون بأعمالهم ليخدموا المجتمع كما يجب ، فهؤلاء يحقّ لهم ان يعتبروا أعمالهم امتداداً لعمل الخالق وخدمة لاخوانهم ومساهمة شخصية في تحقيق تصميم العناية الالهية في التاريخ » .

لهذا يحضّ المجمع المسيحيين ، مواطني كلتا المدينتين ، على ان يعمّموا مهاتهم الأرضية بغيرة وأمانة ، مسترشدين بروح الانجيل . ولكم يبتعد عن الحقيقة أولئك الذين يظنّون انهم يستطيعون إهمال المهام البشرية ... وليس هم بأقلّ خطأ اولئك الذين يعتقدون ان باستطاعتهم ان يتكرّسوا تماماً للنشاطات الأرضية ، ويعملوا وكأنها غريبة تماماً عن حياتهم الدينية ... ان هذا الانفصام بين الايمان وبين تصرّفات الكثيرين اليومية ، ليحسب من الأخطار الاشدّ جسامة في عصرنا ... فالمسيحي ، يقول المجمع ، عندما يهمل التزاماته الأرضية ، يهمل أيضاً التزاماته نحو القريب وبالتالي نحو الله نفسه ، ويعرّض خلاصه الابدي للخطر . هذا في دستور راعوي « الكنيسة في عالم اليوم » . أما في دستور « في الليتورجيا المقدسة » ، فالمجمع يعتبر العمل عنصراً اساسياً تعبّر به الكنيسة عن سرّ المسيح وعن ميزاتها . « فالليتورجيا انما هي يسوع المسيح يمرّ وسط الذين افتداهم ليكمّل عمله الفدائي ، ولاسيما في ذبيحة الافخارستيا الالهية » التي يتمّ بها عمل فدائنا ، والتي تسهم في التعبير عن سرّ المسيح وخصائص الكنيسة ، التي هي ، في آن ، غيورة في العمل ، في التأمل (٥) .

اذاً ، الكنيسة هي امتداد للمسيح الاله — الانسان ؛ فهي الهية وانسانية معاً . فما هو بشري فيها يتّجه الى ما هو الهي وخاضع له ، وما يتعلّق بالعمل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتأمل ، وما هو حاضر في هذا العالم ، المدينة الآتية مطلبه وقبلته .

---

(٤) ابن سيراخ : ٣٨/٢٨ — ٣٦ .

(٥) الوثائق المجمعية : دستور في الليتورجيا المقدسة .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عن هذا عبّر البابا يوحنا بولس الثاني في خطاب له بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور عشرين سنة على اعلان دستور في الليتورجيا المقدسة الذي عقد في الفاتيكان ما بين ٢٣ و ٢٨ تشرين الأول ١٩٦٤ ، اذ قال « على الليتورجيا ان تتلاءم وحاجاتِ العصر ، وبالتالي الا تكون روحية فقط بل متجسّدة حسب متطلّبات كلّ عصر . فهي زراعية في مجتمع زراعي ، وتجارية حيث التجارة ، وصناعية وطلابية وهلمّ جرّاً »[٦] .

وقال البابا أيضاً : « بالليتورجيا المسيح هو ، بنوع خاص ، عمانوئيل الله معنا ، يصلّي بواسطتنا ، وبنا يكمّل عمله في العالم أجمع » .

وقال الأب تيّاردي شردان : « بهاتين اليدين غير المغلوبتين ... الجهد الأرضي الذي اقدّمه لك الآن بكلّيته ... وذلك العمل الكبير ... وقل عليه بواسطة فمي كلمتيك الفعّالتين . على كلّ حياة ستبرعم وتنمو وتزدهر وتنضج ردّد : هذا هو جسدي ... وعلى كل موت يتهيّأ ليضعف ويذبل قل « هذا هو دمي »[٧] .

ثانياً — حياتنا مجبولة بليتورجيتنا

الليتورجيا هي حياة قبل ان تكون علماً ، وهي ممارسة قبل ان تكون قوانين وارشادات . وهذا ما فقهته الكنيسة المارونية في ليتورجيتها ، بل قل في حياتها ، لأن المارونية لم تفصل بين احتفالها الطقسي في بيت الله ، وعيشها في مساكنها ، ولا بين طقسياتها وعملها في الحقول . فالكنيسة المارونية تحمل أعمالها معها الى الكنيسة ، وطقسياتها تنقلها الى البيت والحقل . تيّار واحد يربط بين حالاتها الثلاث . والرعية المارونية ، سواء كان على رأسها بطريرك أو أسقف أو كاهن ، هي جماعة مصلّية متأملة في البيت والكنيسة والحقل . ربّ العائلة في الحقل وفي البيت هو كاهنها ، والأمّ هي راهبتها . والبطريرك والأسقف والكاهن كلٌّ منهم هو على رأس شعبه في الكنيسة وفي الحقل ، يرفع يديه معه في الكنيسة لتقبّل البركات والنعم ، ويضرب

---

(٦) L'osservatore Romano, n° 45 (1821), 6 Nov., 1984, p. 6.

(٧) تيّار دي شردان ، نشيد الكون ، القداس على العالم ، منشورات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٨ ، ص . ٩ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بهما الأرض معه في الحقل ليفيض البركات والنعم . الرعية خليّة تعمل من الملكة الى آخر نحلة شغيلة . تنطلق مع انبلاج الصباح من البيت الى الكنيسة ، فالى الحقول ، وتعود منها مع مغيب الشمس الى الكنيسة ثم الى البيت وفي جعبة كلّ عائلة خيرات الأرض ، وفي قلبها خيرات السماء .

من هنا ، ما كانت الليتورجيا المارونية لتقتصر على صلوات في الكنيسة . وما كانت لتتسم بالروحانية فقط . بل أقيمت في الكنيسة لتتجسّد في البيت والحقل وفي كلّ مجالات العمل ، وكانت ، آنئذ ، ضيّقة . ما كانت الليتورجيا لتتوقّف عند رتاج الكنيسة ، « فهي يسوع المسيح يمرّ وسط الذين افتداهم ليكمّل عمله الفدائي ، ويسوع المسيح كان يرافق الماروني الى بيته والى عمله ، وكانت الليتورجيا « حياة شعب » .

وفي سنة ١٦٣١ ، زار Sylvestre de St. Aignau لبنان ، ووصف هذا الجبل المقدّس وعيشة سكّانه من الموارنة (٨) :

يقول في السيد البطريرك :

« ... انه مؤثّر للغاية ان نرى هذا الحبر الجليل ، الذي يحمل وراءه ٧٦ عاماً ، يحضر الفروض الدينية ليل نهار ، ويرتل التسابيح لله دون أن يقعد على كرسيه ، بل واقفاً متوكئاً فقط على عكّاز بشكل T ، نظير بقية الرهبان .

هذا العمل المقدس والتزامات مهمّته لا تمنعه من ان ينصرف أيضاً الى الأعمال اليدوية ليبني مرؤوسيه بمثله للهرب من البطالة ، ينبوع كلّ الرذائل ، وليدفع للاتراك الضرائب التي يهينونه بها ، بنوع ان حياته كلها هي موعظة مستمرّة ، ليس فقط لرهبانه بل لرؤساء الاساقفة والاساقفة العائشين بالقرب منه باستمرار ... » .

اذاً ، نستنتج ان حياة البطريرك تتوزّع بين الصلاة والعمل ؛ وهو اذا وعظ فبمثله أكثر منه بكلامه .

---

(٨) JEAN-BAPTISTE COIGNARD, *Description abrégée de la Sainte Montagne et des Maronites qui l'habitent*, Paris, 1671.

النصوص المعرّبة مأخوذة من مقال الأب اغناطيوس سعاده ، وصف مختصر للجبل المقدس ، لبنان ، وسكّانه الموارنة ، في مجلّة « المنارة » ، ٢٦ ، (العددان الأول والثاني ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٢٤٩ — ٢٦٢) .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ويقول الكاتب في الرهبان :

« لقد شدّد الآباء الأقدمون على الشغل اليدوي ، حسب تعليم الرسول الذي كان يفتخر بأنه يكتسب قوته وقوت معاونيه بعمل يديه . وهذا عينه ما يمارسه كل رهبان الشرق والأساقفة ؛ وحتى رؤساء الاساقفة أنفسهم لا يعفون ذواتهم من هذه الممارسات . والبطريرك يعطي المثل لجميع رهبانه ؛ فهو يشتغل بيديه الى جانب الذين يعملون السلال . وغايتهم من ذلك ليس الكسب المادي ، بل ليستطيعوا العيش دون أن يكونوا عالة على أحد ، وليتمكنوا من أن يدفعوا الخوّات التي يفرضها عليهم جور الاتراك في كل مناسبة وظرف .

ان حياة هؤلاء الرهبان هي مزيج من عمل مرتا وراحة المجدلية . ينهضون عند منتصف الليل ليذهبوا الى الكنيسة في صفوف أشبه بجيش صغير يرعب الابالسة ، ويقضون في تسابيح الله وتلاوة القداسات حتى الصباح ، حيث يذهب كلّ الى شغله المعيّن له حتى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ، ليعودوا الى الكنيسة ، ومنها الى تناول الغداء بعد الصلاة ، ثم يعودون الى الشغل من جديد ، حتى ما قبل غروب الشمس بحوالي ساعة ونصف ؛ وبعدها ، يعودون لتمضية ما تبقى من النهار في الكنيسة في تسبيح الله . وبعد ان يأخذوا عشاء خفيفاً ، ينصرفون الى النوم في مغاورهم التي هي أشبه بمقابر الأموات أوكهوف الحيوانات منها بخلايا نفوس قديسة مثلهم » .

ويقول في الراهبات المحصّنات :

« ... انهن يقضين حياتهن بالصلاة والصوم والشغل اليدوي ، ويلجأون الى المغاور والكهوف ، ويعملن في بعض زوايا الأرض بين هذه الصخور في تجميع الخضار لقوتهنّ » .

ويقول في الكهنة ، بعد أن يتكلّم على الكنائس التي نهبت وهدّمت ، وبعد التنديد بسائر مسيحييّ العالم الذين لم يعوّضوا هؤلاء المسيحيين الشهود ما خسروه :

« ... يعوّضون بقداستهم الباطنية ، عمّا نقص من الآنية الخارجية ، مؤدّين لله عبادة تليق به . لقد شاهدت مراراً وباعجاب هؤلا الكهنة الأجلاء الذين صارت وجوههم في شيخوختهم أكثر بياضاً من طائر الأوز ، بعد ان امضوا النهار كله في الشغل ينهضون عند منتصف الليل ، في عزّ قساوة الشتاء ، ليقدّموا الذبيحة الالهية ويقضوا بقية الليل في الصلاة بكثير من العبادة والحرارة » .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ويقول في العلمانيين :

« ... ويمارسون أيضاً في كنائسهم الاحتفالات التي تعلّموها عن آبائهم . فترون بينهم شيوخاً ببياض الأوزة يقومون بمائة سجدة متواصلة أمام القربان الأقدس باحترام مميّز . والرجل لا يجرؤ على الالتفات الى ورائه في الكنيسة حيث النساء مفصولات عن الرجال . وكلّهن متواضعات ومحتشمات عندما يتقدّمن من المناولة المقدسة بخفر واحترام كبيرين أثناء مرورهن في وسطهم ، كما لو أنهن يمررن بالنار . ان نساء الموارنة هنّ الأكثر فضيلة وحشمة وتقوى من كل نساء الشرق » .

وهكذا نرى أن حياة البطريرك ورؤساء الأساقفة والأساقفة والرهبان والراهبات والكهنة والشعب تتوزّع بين مثلّث البيت والكنيسة والحقل ، بين العمل والتأمل ، بين الصلاة والشغل . ونلاحظ ان الحياة الروحية لا تتوقف عند باب الكنيسة بل تتعداها الى الحياة في البيت والى الشغل في الحقل . ومن هنا كانت شهادة أحدهم في الأساقفة آنذاك فقال « اساقفة ، عصيهم من خشب ، أما هم فمن ذهب » .

في القرن الثامن عشر ، لم تختلف حياة الموارنة وطرق عيشهم عما كانت عليه في القرن السابع عشر . ففي القرن الثامن عشر ، زار لبنانَ الكاتبُ الفرنسي Volney [٩] . كتب حول الموارنة ووصف حياة الرهبان ، فقال : « لباس الرهبان خرقة من صُوف اسمه ... طعامهم لا يختلف عن طعام القرويين ، مع هذا الفارق أنهم لا يتناولون اللحم أبداً . لهم أصوامهم العديدة ، وصلواتهم الطويلة ليل نهار . أمّا باقي نهارهم ، فيستخدمونه في زراعة الأرض وتحطيم الصخور لبناء جدران تحضن غروس العنب والتوت . لكل دير ، الأخُ الاسكاف ، والأخُ الخيّاط ، والأخ الحائك ، والأخ الخبّاز... الذين « بدونهم لا تقوم المدينة » ، على ما جاء في ابن سيراخ .

ويكمّل فولني فيقول : « في غالب الأحيان يجاور ديراً للراهبات ديرُ للرهبان ، ولكن نادراً ما كان ليسمع بالشكوك . هؤلاء النسوة يعشن حياة عمل وهذا ما يجنّبهن الضجر والفوضى اللذين يصحبان البطالة » .

---

(٩) Volney (Constantin-François de Chasse bœuf: Voyage en Egypte et en Syrie. Jean Gaulmier, chez Monton, Paris, 1959 (Pentalogie, M. Moubarac 1984, pp. 855-863).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في ١٣ نيسان ١٨٣٣ ، كتب لامرتين[١٠] : « يقع دير قزحيا في قعر الوادي على شفا النهر . هناك أربعون أو خمسون راهباً موارنة يعملون ، بعضهم في الفلاحة ، وبعضهم في طباعة كتب معدّة لتعليم الشعب . انهم رائعون هؤلاء الرهبان أبناء هذا الشعب وأخوته الذين لا يعيشون عالة عليه ، بل بالعكس يعملون ليل نهار لترقّي اخوتهم . انهم رجال في غاية البساطة . لا همّ لهم ان يحصّلوا أي « غنى أو أية شهرة دنيوية » . ويخلص لامرتين بقوله : « العمل والصلاة ، والعيش بسلام ، والموت بحال النعمة والحياة المغمورة ، هذا جلّ ما يطمح اليه الرهبان الموارنة » .

في مكان آخر يقول لامرتين : « ... في هذا الوادي تقع عيناك على ... بعض النسّاك يتنقّلون في تلك الشعاب بين الصخور والأشجار عاملين قارئين أو مصلّين » .

« حياتهم (الرهبان) شبيهة بحياة فلاّح بسيط . يربّون المواشي أو دود القزّ ، يحطّمون الصخور ويبنون بأيديهم جدران حقولهم ، يقلّبون الأرض ويضربونها بمعاولهم ويحرثون ويحصدون » .

« وانك لترى هؤلاء الموارنة تعلو رؤوسَهم لبّاداتٌ سوداء يعودون من الحقول ، بعضهم يحملون الرفوش والمعاول على أكتافهم ، وبعضهم يسوقون القطعان أمامهم وبعضهم يكلز بقراته . بعض بيوت الصلاة والعمل هذه كانت معلّقة مع الكنائس والمناسك على رؤوس الجبال ... وبعضها محفورة في الصخور » .

« فلنتصوّر ستة آلاف وأحياناً عشرة آلاف ماروني ، شباباً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً ، يتقدّمون ، باحتفال ، عبر الأودية السحيقة والجبال المعلّقة يرتلون تراتيل يردّد الوادي صداها وتنتشر عبر الجبل ، يتقدّمون نحو غابة الأرز حيث ينتظرهم مذبح تزيّنه زهور الحقول وحيث سينزل ، بعد قليل ، الذبيحُ الالهي الحمل الذي لا عيب فيه ... واذا ما قال الكاهن الكلام الجوهري تشترك الطبيعة معه ومع المؤمنين الساجدين أرضاً الصالبين أيديهم بهيبة ووقار » .

لقد ورد في تاريخ الأزمنة للبطريرك اسطفانوس الدويهي[١١] ما يلي : كانت قرية الحدث وكل البلاد في عز ضمان . حتى ان في يوم خميس الأسرار ، لمّا اندقّ الناقوسُ

---

(١٠) A. de LAMARTINE. Notes d'un voyageur; Paris, 1845; Voyage en Orient.

(١١) البطريرك اسطفان الدويهي ، تاريخ الأزمنة ؛ ص . ٣٥٥ و ٣٦٠ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لسماع القداس الطاهر ومناولة الأسرار الالهية ، انضبطوا خمسماية مسّاس للفلاحة على باب هيكل مار دانيال من الذين كانوا يحرثون أرض الحدث » .

ويقال ان المطران جعجع ، مطران قبرس ، كان يضرب بالمهدّة ، وان الطابق الأول من المطرانية في قرنة شهوان هو من صنع يديه . وان البطريرك انطون عريضه كان يزرع الكرم بيديه في كرم سدّه . وكان يطهّر كلّ جورة بنار البلاّن قبل الزراعة .

في هذه النصوص ، يقترن العمل دوماً بالصلاة . والبيوت ، كما سمّاها لامرتين ، هي بيوت صلاة وعمل . وهذه التربة التي جبلها الموارنة بدمائهم وعرق جبينهم لا يتورّعون عن ان ينصبوا فيها ، كما في قلوبهم وفي كنائسهم ، مذابح لذبائحهم . فكيف اذا كانت الأرضُ أرضَ أرز الربّ ، جارة وادي القديسين ، والأيدي التي حملت جسد الربّ ، هي أيدي البطريرك والأسقف والكاهن لا تأنف من العمل كسائر أبناء الشعب التي تكرست لخدمته ، هذا العمل السامي والشريف الذي كان وراء انتشار المارونية في لبنان كلّه .

ثالثاً — ليتورجيتنا مجبولة بحياتنا

لما كانت حياة الماروني الدنيوية المعيشية لا تنفصم عن حياته الدينية الروحية ، ظهرت هذه الثنائية : العمل — التأمل ، في رتبنا الطقسية جميعها تقريباً . وكما كان للربّ حصّة في اتعاب البشر « فقبل قرابين هابيل في الحقل ، ونوح في السفينة ، وابراهيم على رأس الجبل ، وداود على بيدر ارونا اليبوسي ، وايليا على جبل الكرمل ، وتقدمة الأرملة في الخزانة » ، وهذه صلاة وردت في بداية رتبة القداس — صمدة الأسرار ، هكذا كان الماروني يقدّم له من أتعابه على يد الكاهن . حتى اذا ما تباركت أتعابه وقبلت قرابينه وتقدّست أخذ منها بركة الى بيته . فهي له قوة وعضد في الصحة ، وشفاء للمرض ، وزاد في الطريق ، حفظاً للأحياء ، وراحة للموتى ، وخصباً لغلاّته ، ونموّاً لماشيته . للدلالة على هذه الثنائية ، سأكتفي بايراد أمثلة من ذبيحة الافخارستيا وسرّ الزواج ، وبعض الرتب ، متوقفاً عند مخطوط يعود الى القرن الثامن عشر في رتبة الغطاس .

ففي **رتبة القداس الماروني** — « صمدة الأسرار » — يأخذ الكاهن الخبز بيده ويصلّي

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

قائلاً : « أيها الأله الذي قبل قرابين عبيده المؤمنين ونذورهم وبواكيرهم وعشورهم . اقبل قرابين عبيدك هؤلاء ، التي انتقوها وحملوها الى هيكلك ... احفظهم وأجزل عليهم بركاتك الروحية ، وفرّحهم بخيراتك الأبدية ... وأفض بركاتك على رزقهم ، وامنح أجسادهم العافية والعفة ، ونفوسهم الطهر والبرارة ، وأَرِح نفوس موتاهم ... وعوّضهم من تقدمتهم الزائلة الحياة والملكوت » (١٢) .

لقد ورد في كتاب الأناجيل القديم ، صفحة ١٩ ، ما يلي : « أوقف الخوري جرجس والخوري هلال القاطنين في دير صدقا ، أوقفوا من تعبهم وعرق جبينهم للدير المبارك سيدة قنوبين الدست الكبير ، وجعلوه تذكاراً صالحاً عن نفسهم في الدنيا والآخرة » (١٣) .

وفي قسم المناولة ، وقد تباركت التقادم وأصبحت جسد المسيح ودمه ، يصلّي الكاهن قائلاً : « بارك ، اللهم ، هذه الكسر ، وبارك الأرض التي أخذت منها ، وأرح وطهّر جميع من تقدّمت وتقدّست عنهم ومن أجلهم » (١٤) .

وبعد المناولة ، يبارك الكاهن الشعب باسم الصليب الظافر ويرتّل ، مناوبةً مع الشماس ، ترتيلة ، ويتبعها بأخرى حول « خبز الحياة » . واليكم هذا النص الذي ورد عند البطريرك الدويهي في كتابه « المنارة » وفيه شرح « لخبز الحياة » غني بالرموز المأخوذة كلّها من الطبيعة مركز عمل الانسان أو من عمل الانسان بالذات مع الربط بالروحيات الانجيلية . يقول الدويهي : وهو على التحقيق خبز الحياة ، وقد نزل من السماء ، لأن مخرجه الأول من المخزن السماوي الذي هو حضن الآب . فلما شاء النزول الى الأرض ، أرسل جبرائيل فزرعه بواسطة البشارة في اذني البتول ؛ ثم ، بواسطة ندى الروح ، نما في أرضها المخصبة ، ثم حصد من بطنها في خروجه العجيب الى العالم ، ثم درس هذا الزرع في هربه الى مصر وتردّده في اليهودية والجليل ، ثم طحن في مخامره الكتبة والفريسيين ، ثم في الآلام الكثيرة عرك وعجن ، ثم مدّ على دفّة الصليب ، ثم على النعش حملوه وخبزوه في أتون القبر ، ثم

---

(١٢) دليل المؤمن : الرابطة الكهنوتية ، الطبعة الحادية عشرة ، منشورات دار المشرق — بيروت ١٩٨٢ ، ص. ٢٨ و ٢٩ ، العامود الأول .

(١٣) الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصّل : المطران يوسف الدبس ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢ .

(١٤) دليل المؤمن : ص. ٨٥ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تُوعيه الكهنة في بيوت الكنائس ، ثم يصمدونه على مائدة المذبح . أخيراً ، ههنا ، يقدّم نفسه مأكولاً ويشبه الطائر المدعو غيبا Pélican يخرج دمه لفراخه اذ يدعوهم مع الحكيم : « كلوا ، أيها الأخلاء ، اشربوا واسكروا أيها الأحباء » (١٥) .

وفي الأخير ، يصرف الكاهن الشعب ويقول : « امضوا بسلام يا اخوتي وأحبائي ... مع الزاد والبركات التي نلتموها من مذبح الرب الغافر ، البعيدين والقريبين ، الاحياء والموتى ... » .

ويظهر أن أكبر بركة كان المؤمن يأخذها من المذبح والكنيسة هي جسد الرب . يبدو ان الماروني ، حتى القرن السابع عشر ، كان يأخذ القربان معه زوادة أيام يبتعد فيها عن الرعية . فيأخذه زاداً له في السفر الذي يرمز الى السفر الأبدي ، وعند الجوع ، يتناول منه ، بعد أن يبارك به عينيه ، التي اذا ما مُسَّت به تبصر رحمته .

سرّ الزواج (١٦)

من يأخذ رتبة الزواج ويقرأ بتأنٍ ، يتبيّن له مقدار تداخل حياتنا الطقسية بأعمالنا الدنيوية ولاسيما الزراعية منها . فمرتّب الطقسيات لهذا السرّ ، اذا أراد أن ينتقي مزموراً ، أخذ المزمور ١٢٨ الذي يحثّ العريس على العمل والذي يذكّره بأن امرأته هي جفنة كريمة في جوانب بيته ، وان بنيه هم مثل نصبة الزيتون محدقون بمائدتك .

واذا طلب للعروسين ودعا لهم ، فهو لا يغفل عن طلب الأموال والمقتنيات .

واذا ما صلّى على العروس ، يطلب الى الله ان يباركها كي تكون جفنة مباركة ، ولكنّ ثمارها هي ثمار روحية .

واذا ما صلّى على العريس ، يقول : « الله يباركك ويكثر جناك من تعب يديك .

---

(١٥) البطريرك اسطفان الدويهي : منارة الاقداس ، الجزء الثاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩٨ ، ص . ٥٥٤ .

(١٦) دليل المؤمن : ص . ١٨٩ — ٢٠٩ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وليكن بيتك حصيناً مثل مسكن داود ... ولتكن امرأتك كريمة في عينيك فتفرح بخيراتك جميع أيام حياتك ، وتفرّج كربة من يدنون منك (البعد الاجتماعي للعمل) وتتمتع بثمار أتعابك ، وينتصب بنوك أمامك كأرز لبنان الطيّب الشذا . وليوفّر الله غناك من المقتنيات ومن كلّ ما تنبته الأرض » .

كتاب الرتب [١٧]

وأما كتاب الرتب ، فهو يغزر بالصلوات التي ترفع حتى تفيض البركات على جماعة المؤمنين من أطفال وشبّان وشيوخ ، وعلى الكنائس والأديار ، والمنازل والأرزاق . سنكتفي برتبتين فقط : الشعانين والغطاس .

رتبة الشعانين

تقول الروبريكة : « يلزم أن تتفسّخ أغصان الزيتون في السكرستيا ليأخذ الشعب منها الى بيوتهم بركة » .

ثم في الصلاة ، يقول الكاهن : « أبسط أللهمّ يمينك وبارك ... الاغصان المنقطعة من أشجارها ، ومَن قطعها وقدّمها ، وبارك من يتّخذها الى بيته بركة » .

وأيضاً : « واجعل هذه الأغصان لتربية الطفولة ولتشديد الشبيبة ولاحتشام الشيخوخة ولتعظيم البيع والديورة ولتبريك المنازل والبيوت » ...

وأيضاً : « وبارك الاماكن التي توضع فيها ولننجُ بواسطتها من كلّ الضربات والآفات . وبارك المرضى الذين يؤمنون ببركتها وامنحهم برائحة بخورها شفاء كاملاً » .

ولقد آمن الشعب بذلك وعمل به ولا يزال . مَن منّا لا يتذكّر والدته وفي يدها الجمرة تعبق منها رائحة بخور أوراق الشعانين ، وهي تمرّرها فوق رؤوس أفراد العائلة ، بينما شفاهها

(١٧) كتب رتب وعبادات كنسية حسب عادة الطائفة المارونية ، طبعة ثالثة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠٩ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تردّد الصلوات والطلبات ، ورأسها مغطى بأي ثوب كان وكأنها كاهن البيت يكهّن في رتبة . مَن منّا لا يذكر جدّه وجدّته الوالد والوالدة ، اذ لم يكن هو الذي كلّف شخصياً أن يقوم بالمهمة — مهرولين الى الحقول والرزقات وأقبية المونة وأقبية الحيوانات لايداعها بعض أوراق البركة ، أوراق الشعانين . فهي تشدّد ، وتعطي الحشمة وتعظّم وتبارك وتمنع الضربات عن الانسان والحيوان والنبات ، وبها تحلّ البركة في البيوت والارزاق وبها تفيض الخيرات .

في القرن السابع عشر ، كانت هناك عادة في القرى اللبنانية وهي اقتلاع زيتونة من شروشها وحملها الى الكنيسة يوم عيد الشعانين . وبعد أن يباركها الكاهن ، كانت تباع بالمزاد العلني . وابن الرعية الذي كان الزاد يقع عليه ، يقدّم ثمن الزيتونة للكنيسة ، ثم يضع الزيتونة على باب الكنيسة ، ويتقدّم ابنه أو أحد أقربائه ويتسلّق الشجرة ويقطف من أغصانها ويوزّعه بركة على الحاضرين [١٨] .

رتبة الغطاس

وفي مخطوط يرجع الى القرن الثامن عشر[١٩] ، حول رتبة الغطاس ، نجد أمراً يلفت الانتباه وهو ان قسماً من رتبة تبريك المياه يوم الغطاس كان يقام في الطبيعة ، والقسم الآخر في الكنيسة . فالمخطوط يصف لنا الرتبة كالتالي :

تبدأ بصلاة الفتح : « لقد ظهر فيض مواهبك الالهية وغنى موائحك يا رب على سيول الأردن لكي تتبارك بذلك المياهُ في كلّ موضع . ولأجل كافة أفعالك وانعامك علينا ، نصعد لك المجد » .

بعدها ، تقول الروبريكة : « حينئذ يخرجون بزياح الى نبع الماء بالشمع والمباخر والمراوح ، ومعهم الانجيل والصليب ووعاء ليجيبوا فيه من النبع . وان لم يكن وعاء يجيبوا

(١٨) لحد خاطر : عادات وتقاليد لبنانية .

(١٩) ثبت منطقي للمخطوطات في بكركي : خليفه والبيسري — بيروت ١٩٧٣ ، القسم الأول ، عدد ٦٩ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

جرّة الماء من الكنيسة ، واذا مضوا يقولون في الطريق أبيات السيده . واذا قربوا من النبع يقولون هذا اللحن :

« تعالوا يا اخوة نذهب ونرَ تلك الشجرة التي نصبت على وجه المياه والتي لا تتناثر أوراقها ... » .

انه لمنظر رائع ، وزياح رومنطيقي عبر الطبيعة . الصليب في المقدّمة يتبعه الشمامسة يرتلون ، ثم الكاهن على صدره الانجيل والمباخر تبخّر الصليب والانجيل ، والشعب وراء الكاهن يشارك في التراتيل . وكلّ امرأة تحمل جرّتها بيدها فارغة ، والأولاد يحملون الشموع وكأنهم في زياح الشعانين .

ولما يصلوا الى النبع ، يقولون بالسريانية ، لحن : « على فم البئر » ... الذي نحتفظ به في رتبة اليوم .

ثم يصلّي الكاهن على الماء . البسملة ، ثم « الرب الاله خالق كلّ شيء من لا شيء الذي خلقت المياه ... نسألك أن تبارك وتقدّس هذه المياه ... ولتكن لمن أخذ منها أو رشّها في حقوله وأرزاقه ... لشفاء أوجاعه وخصب غلاّته ، وجبر ضرباته ولزيادة الخير والبركات من تعب أياديه .

ثم يرمي الكاهن ثلاث جمرات نار في مَعين الماء : باسم الآب تتنقّى ... ويضع صليباً في النبع ويملأ الوعي من تحته ... ويرفع الصليب ويرتلون بالسريانية ما مبدأه : نزل القدّوس الى النهر ... وفي مخطوطة [٢٠] ترجع أيضاً الى القرن الثامن عشر ١٧١٠ ، تقول الروبريكة : ويغسلون أيديهم وأوجههم ، ثم يرجعون الى الكنيسة .

وتكمل المخطوطة الأولى : واذا ما عادوا الى الكنيسة أكملوا الرتبة وأخذ الرأس من المياه التي في الوعاء ورشّ على الشعب قائلاً : رشّ اللهمّ خيراتك وبركاتك وفيض مواهبك على شعبك المؤمن .

(٢٠) مخطوطات بكركي — القسم الأول : عدد ٣٤ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وفي هذه المخطوطة عينها ، فصل يذكر لوازم خوري الرعية ويقصد بها ما يطلب منه . في هذا الفصل ، نقرأ هذا الطلب : « لا يجوز للخوري المتاجر ولا الارباح النجسه ولا الربا ، ولكن عليه أن يزرع ، وليتعب في حقوله لاجل أَوْدِهِ ومعاشه واقامة بيته » .

خاتمة

من هذه المعالجة السريعة ، يمكننا أن نستنتج ما يلي :

* كنيستنا كنيسة مصلية — عاملة .
* كنيستنا عائلة واحدة ، رهبانية ، من رئيسها الأعلى الى أساقفتها الى كهنتها الى العلمانيين ، يعيشون من تعب أيديهم وعرق جبينهم . يصومون معاً ويصلّون ، ولا فضل فيها لشخص على آخر الاّ بقدر ما يتنسّك وبقدر ما يُنتج .
* منذ يومين في اجتماع في المدرسة الاكليريكية البطريركية — غزير حول الخماسية الانطاكية — ابعاد مارونية ، تمنّى الأب العلاّمة يواكيم مبارك لو أن باب التراث الماروني يفتح واسعاً . أضمّ صوتي الوضيع الى صوته لكي نهبّ في « عونة » مارونية لنبش هذا التراث — الكنز .
* في بيوتنا ، بدل الصيدلية ، كانت هناك أشياء ثلاثة أتت من الطبيعة الى الكنيسة ثم الى الطبيعة فالبيت لتحتلّ أحسن مكان في البيت ؛ صيدلية طقسية تضم : شمعة شمعون (رتبة تبريك الشمع) . وأغصان زيتون الشعنينة ، ومياه الغطاس والعنصرة .
* وأخيراً إذ أشكر القيّمين على الجامعة وعلى هذا المعهد وعلى رأسهم صديقي الأب يوحنّا تابت والأب عمانوئيل خوري ، أتمنّى عليهم أن يرئسوا ورشة نبش التراث الكنز الماروني ، التي بدأوها وفيها يشغّلونا عندهم .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الليتورجيا والمُعاق

الخوري ايلي ضو

من مواليد تحويطة النهر سنة ١٩٥٣ . ارتسم كاهناً سنة ١٩٧٨ .
درس اللاهوت في معهد سان سولبيس من سنة ١٩٧٣ حتى ١٩٧٨ ونال الماجستير فيه .
له خبرة عميقة وغنية في الرعية . وهو ، حالياً ، كاهن رعية سيدة المعونات — الذوق . هو الأب الغيور والمنتظَر بشوق في رعيته .

كان يسوع يعلن البشرى ويشفي الناس من كلّ علّة (متى ٩/٣٥) .
فأجابهم يسوع : « اذهبوا فأخبروا يوحنا بما تسمعون وترون : ان العمي يُبصرون ، والكُسحان يمشون ، والبرص يبرأون ، والصمّ يسمعون ، والموتى يقومون ، والفقراء يبشَّرون ؛ وطوبى لمن لا يشكّ فيّ » (متى ١١/٤ — ٥) .

أستهلّ كلمتي بتوجيه شكري العميق الى حضرة مدير معهد الليتورجيا ، الأب عمانوئيل خوري ، لدعوتي الى مشاركتكم من خلال عرض ما أعيشه في رعيّتي مع الأطفال المتخلّفين عقلياً أو جسدياً ، وذلك أكثر من خمس سنوات . وانها لَبادرة تشكر عليها جامعة الروح القدس — الكسليك ، لأنها تفتح أبوابها وتفتح معاهدها لمثل هذه الحقائق التي قد تغفل عنها الأعين ، وقد تضيع بين جدران مبانٍ خصّصت للفلسفة واللاهوت والعلوم الانسانية . ولذلك شكري مزدوج ، اذ اني أشكر باسم من أتكلّم باسمهم هذه الليلة ، وأشكر باسمي الخاص لعمق صداقتي ومحبّتي وتقديري لهذه الجامعة ولمن يعمل فيها من الآباء الافاضل ، أصحاب العلم والمعرفة .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هناك أسئلة يجب أن نطرحها كلّنا على أنفسنا قبل أن نبدأ بأي بحث في موضوع شائك وصعب مثل موضوعنا : مَن هو المعاق ؟ أيّ دور له في مجتمعنا ؟ أي مكان يترك له المجتمع ؟ وهل هناك احترام فعلي لهؤلاء الأشخاص ؟ ما هي الإعاقة ؟ البعض يقول : المجتمع كلّه مُعاق ؛ فهل ، حقيقةً ، نحن معاقون ؟

من هم الأشخاص المعاقون أو المتخلّفون الذين نعرفهم نحن المجتمعين هنا الليلة ؟ أين نلتقيهم : في المنزل ، في الشارع ، في المعمل ، في المخزن ، في الكنيسة ، في الجامعة ؟ هل نعرفهم باسمهم أم بمرضهم ؟ ها قد أتى المتخلّف . ها قد مرّ المشلول . ها قد رأينا الأعمى . (يسوع التقى الأعمى على باب أريحا ...) .

انطلاقاً من المكان الذي يحتلّه المعاق في مجتمعنا ، نستطيع أن نطرح ، كمرحلة ثانية ، السؤال حول مكان المعاق والطفل المعاق في كنيستنا وفي عيشه الليتورجيا والاسرار .

أولا : أين نرى المعاق في مجتمعنا ؟

اذا مرّ أحدهم مع ابن أو ابنة له في شوارعنا ، ما هي ردّة فعل الآخرين ؟ ألا نرى الأولاد يتحلّقون حول الولد المتخلّف عقلياً كي يضحكوا من تصرّفاته ومن طريقة كلامه ومن طريقة سَيره ؟ (« أَخْوَت الضيعة ... ») .

اذا دخلت الأم مع طفلها المعاق الى حديقة عامّة ، نرى المكان يفرغ سريعاً من الروّاد ، لأنهم لا يريدون أن يرى أولادهم هذه « البشاعات » . هل لاحظتم انّ دور السينما أو المسارح أو قاعات المحاضرات لا تعدّ ، بين روّادها ، أيَّ طفل أو شاب أو رجل معاق جسديّا أو عقلياً . كلّ شخص يولد على هذه الأرض هو على صورة الله ومثاله ؛ وحتى المعاق ، فهو أيضاً على صورة الله : صورة الله المصلوب : جسمه ملتوٍ من الألم ، عيناه شاخصتان ، يداه ورجلاه متشنّجة من المسامير . وهل المسامير فقط من الحديد الصلب ؟ ألا يؤدّي المرض الى تشنّج فعله أقوى من فعل المسامير ؟ أجل ! صورة ابن الله المصلوب الحامل خطايا العالم والذي لا عيب فيه هو الذي يتألّم كفّارة عن كثيرين وهو الذي يموت ليعطي الحياة .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المعاق هو كل شخص يشكو بالنسبة الى الآخرين من تخلّف في جسده أو عقله . هل المجتمع مستعدّ لأَنْ يتحمل بصبر مَن يتأخّر في سيره ، في كلامه ، في تفكيره ، في مقدرته على تناول الطعام لوحده أو بمساعدة شخص آخر . ومن قال انّ الوقت هو « نكرة » نستطيع أن نتحكّم بها كما يحلو لنا ؟ وهل السرعة التي نعيشها اليوم لا تؤدي بنا الى جنون محتوم والى ضياع أكيد ؟ هل نحن مستعدّون لكي نعيد النظر في طريقة تفكيرنا ، في طريقة حياتنا ، في سرعة تنقّلاتنا وفي إمكانية إعاقتنا الجسدية (أو العقلية) التي هي قريبة جداً منّا في هذه الأيام ؛ سقوطنا في سلّم البناية يوصلنا الى شلل محتوم . زلّة قدم في احدى الغابات تؤدي بنا الى شلل في بعض الأحيان . السقوط على الرأس يؤدّي أحياناً الى بكم أو صمم أو عمى أكيد . حادث سيارة ، ونرى الشاب النشيط التوّاق الى معرفة الكون وسبر أغواره مقعداً في كرسي ، بحاجة الى من يدفعه . رصاصة طائشة في عمودنا الفقري ، وحسب الموضع الذي تدخله ، تؤدّي الى شلل نصفي (الرجلين فقط) أو الى شلل كلّي (اليدين والرجلين) . قفزة في البحر على الصخور توصلنا الى النتيجة عينها . فهل رأينا أنفسنا من المعصومين عن هذه كلّها ، أم أنها من الأمور المحتملة والقريبة جدّاً . فعندها نعيد النظر بشكل الطريق وبهيكلية البناء ، في المدرسة ، في البيت ، في الشارع في الكنيسة . فهل فكّرنا لحظة واحدة كم يلزم من العناء لمقعد على كرسيه ليصل الى احدى كنائسنا ؟

(في رعيتي ، هذا الامر شبه مستحيل ، لان السلالم تحتلّ الجزء الأكبر من مدخل الكنيسة) .

ثانيا : كنيسة تهتمّ بالمعاقين

هل الكنيسة ، رائدة المجتمع والأُمّ والمعلّمة ، تعي مسؤوليتها اليوم تجاه هؤلاء الأشخاص ولاسيما الأطفال منهم . هل رأيتم ، في أديرتنا ، في جامعاتنا ، في كنائس رعايانا ، عدداً كبيراً من المعاقين أو المتخلّفين عقلياً أو جسدياً ؟ اذا كانت الكنيسة هي الجماعة المؤمنة ، فمن هو الراعي للاجتماع ومن هو المجتمع وأي أعضاء من جسد المسيح السرّي نريد أن نجمع ، وهل لنا الحقّ ، وباسم مَن ، في أن نضع خارج جماعتنا المصلّية بعضَ أعضاء جسد المسيح

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المتألّمة أو المشوّهة عقلياً أو جسدياً . ألم يأتِ المسيح لهم خصيصاً قائلاً : « ليس الاصمّاء بحاجة الى طبيب بل المرضى » (متى ١٢/٩) .

واذا كنّا لا نراهم في كنيسة الرعية ، فهذا يعود أولاً الى تجاهلنا لوجودهم ، وثانياً لانّ الأهل يخافون عليهم من المجتمع غير المستعدّ لاستقبالهم ، ولانّ بعض الكهنة يقولون للأهل — هؤلاء الذين يحملون الصليب الثقيل اذا كان واحد أو أثنان أو ثلاثة من أبنائهم يحملون في جسدهم آثار الإعاقة — : «ولماذا تريدون أن يتناول هذا الولد انه لا يفهم ! هل الكاهن الذي قال ذلك ، يفهم حقيقة ما يجري بين يديه على المذبح ، وهل كلّ الابعاد لهذا العمل الخلاصي ظاهرة وواضحة أمام عينيه هو المبصر . (تذكير بنكتة من عرض المناولة للبقر والماعز أيضاً... وما تتضمنه مثل هذه النكات من قلّة احترام ازاء اخوتنا المتخلّفين ، بالرغم من ان الكنيسة لم تَكُفَّ يوماً عن إعلان حقوق هؤلاء وعن رغبتها في محبّتهم والاعتناء بهم وتنشيط المؤسسات الانسانية التي ترعاهم وتهتمّ على صعيد الثقافة والروح وتقبل الاسرار (بيان قداسة البابا) ،

في بداية عهدي في الرعية ، اكتشفتُ ، صدفةً ، بعضَ من الأولاد المتخلّفين عقلياً أو جسدياً . حدث هذا لدى مباركة المنازل بمناسبة عيد الغطاس ، اذ كانت بعض الغرف تبقى مغلقة ، وكانت تقول لي الأمّ إنها غير مرتبة . وكيف تريدون أن أعرف انّ في تلك الغرفة ولداً أو أكثر أَقْعَدَتْهُم الإعاقة . غير اني تبيّنتُ بالحشرية والصدفة ، انّ تلك الغرف تضمّ ، بين جدرانها ، ملائكةً يهصرهم الألم .

عند زيارة العائلة الأولى التي تضمّ ثلاثة أولاد متخلّفين جسدياً ، وجدتُ نفسي فقيراً وفقيراً جدّا ، لانني لم أعرف ، بادئ الأمر ، من أين أبدأ ولا ما أقوله لهؤلاء الشبّان الثلاثة الجالسين قبالتي . بعد السؤال عن الصحة ، استعنت بالأبانا وبترتيلة صغيرة . ساعدتني الأُمُّ كثيراً اذ مهّدت الطريق بيني وبين أبنائها . ان هذه الأم الحنون تحمل مع أولادها عبءَ الإعاقة منذ ١٨ سنة بالنسبة الى الأول ، و ١٦ للثاني ، و ١٢ سنة للثالث . عرفتُ ، فيما بعد ، انّ جارتها كانت ، كلّما رأتها تذهب لشراء حاجيات من السوق لأولادها تعترضها قائلة : لِمَ شراء الحاجيات لهم ؟ انكِ تبذرين أموالك سُدًى ؟ « هؤلاء هم ثمرة القلب والحشا ، ثمرة الحبّ والتضحية والآلام المبرّحة على مرّ السنين » . من خلال عائلة واحدة في

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

البداية ، أخذنا (أقول هنا أخذنا : لاني استعنتُ بمؤسسة خاصة هي « الخدمة الاجتماعية لسلامة الطفولة في لبنان » وهي مختصّة للاهتمام بالأولاد والمعاقين وأهلهم . وهي الآن تخدم أكثر من ٣٨٠ عيلة تضمّ كلّ منها ولداً أو أكثر من عمر ٤ الى ١٤ سنة . ولضيق المكان في رعيتي ، انتقلت هذه المؤسسة الى دير الزيارة عينطورة ، وقد أخذت مكاناً في دير مار جرجس للروم الكاثوليك في بكفيا) ، نتعرّف الى العائلات الأخرى ، وكانوا يعتقدون ان ولدهم يستحقّ زيارة الكاهن ، كما لا يسمح له بالدخول الى الكنيسة . حضور هؤلاء الأولاد ، فيما بعد ، الى الكنيسة ، جعل الصيحات تعلو : « يا ربّ تنجينا » ! « ليش اجوا هودي عالكنيسة » ! « يا حرام ، يا عدرا » ... فكم كان حزن الأهل عميقاً وحزن الأولاد وحزن الكاهن ...

في الاستقبال النهاري في بيت الرعية ، كنّا نصلّي مع أولادنا ونروي لهم أخبار الأنبياء والرسل ، وكنتُ أشدّد في كلمتي على محبة الله لنا وهو يعطينا ما نريد اذا ما طلبنا بايمان صادق . أليس هو القائل : « أُطلبوا تجدوا . إقرعوا يفتح لكم ... » ؟ وكم كانت دهشتي عندما قال لي أحد الأولاد : « أبونا ايلي ، الله كذّاب » . أجبت : « ولماذا ؟ » فقال : لاني أصلّي كلّ يوم وأطلب منه أن أشفى أو أتحسّن ولكنّ مرضي يشتدّ يوماً بعد يوم . ان هذا الشاب مريض جسدياً ، لكنه سليم عقلياً ، وبالتالي يستطيع فهم حالته تماماً .

ثالثاً : الليتورجيا والمعاقون

المناولة : بالنسبة الى هؤلاء الأولاد ، كانت المناولة أمراً مهماً جدّا . كذلك بالنسبة الى الأهل ، اذ كانت تعني لهم مجدّداً ، هم الذين يعانون ما يعانيه أولادهم ، انّ هؤلاء الأولاد هم أبناء الله وهم جديرون بالاهتمام والاعتناء وبالاعتراف بهم كجزء لا يتجزأ من جسد المسيح السرّي . ولكن يجب أن نقتنع بهذه الأشياء ، نحن المعاقين أولاً ، ومن ثم أن نساعد الأهل على تخطّي الحواجز الاجتماعية والعلمية ، لاننا في مستوى الطبّ ، نرتكب الأخطاءَ الجسام بحقّ هؤلاء الاعزاء : إن بعض الأهل يشكون أمرهم قائلين : « عندما ولد ابني الأول قال لي الطبيب « كبّيه » وروحي جيبي واحد ثاني ؛ طلع الثاني مثل الأول . ليش ما قلّي الحكيم اني مش لازم جيب بقى ولاد ... » . نعم ! خطيئة المجتمع وخطيئة الكنيسة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كبيرة بالنسبة الى هذا الموضوع ، ولا يسعنا أن نبحث بموضوع المعاق والليتورجيا قبل أن ندرس ماهية المُعاق وأهمية المُعاق في المجتمع والكنيسة . هو العضو الصغير ؛ وهل نترك المكان للصغار فيما بيننا ؟ مناولة الطفل المتخلّف هي نوع من اعادة اعتبار بالنسبة الى الأهل ، لأنهم بحاجة ، في أوقات الضعف ، الى من يقول لهم إنَّ ابنهم ما زال مهمّاً ، وما زال جديراً بمحبتهم وعطفهم . وكم هي هذه الحاجة ملحّة بالنسبة الى المتخلّفين الكبار . وهنا يتحوّل — مع الوقت وكثير من الايمان والرجاء والمحبة — يتحوّل هذا الصليبُ الى مجد أكيد . ان بعض الأهل ، في نهاية العام الأول من النشاط في رعيتنا ، قالوا : « اننا لا نستحي الآن بولدنا ، بل نأتي به الى القداس ، ونتكلّم عليه كسائر أولادنا ، وهو موضوع فخر بالنسبة الينا ؛ ان الله أظهر لنا محبته من خلال إعاقة ابننا » .

الاهتمام بهم يجعلهم يدخلون أكثر في الطقوس والقداس ، اذا كان لديهم أصحاب ورفاق يعيشون معهم يأخذون بيدهم ، يرتّلون على مهل تراتيل بسيطة وحلوة .

الليتورجيا هي شيء صعب للمُعافين فكيف للمُعاقين . ولكن ، مع المحبة ، يصبح هذا الأمر ممكناً اذا وجد المتخلّف من يحبّه ، من يحمل معه هذا العبء الثقيل ، من يكون بالنسبة اليه سمعان القيرواني الذي أعان يسوع في حمل صليبه الثقيل . أجل ! اننا بحاجة الى أشخاص يجسدون لنا هذا الدور الهام في آلام المسيح وفي مجده ، عندما يأتي بمجد عظيم .

أنسنة الحياة مع المتخلّف تجعل صورة هذا العالم تزول ، لكي يأتي العالم الحقّ الذي فيه لا أهمية للوقت ولا للعمل ولا للربح .

لذلك ، علينا أن نحترم هذه الحياة المختلفة والمتخلّفة ، لكي نعيد النظر بأمورنا الحياتية ونتعلّم من الذين لا يستطيعون الى العلم سبيلاً أن نكون من أصحاب القلوب الطاهرة النقية ومن فقراء الله الحقيقيين . كم كان جميلاً لقاء نبيل (متخلّف عقلي وجسدي) بسيادة المطران راعي الابرشية ، ونبيل يحبّ اللحى الطويلة ويحبّ اللعب بها . وبطريقة عفوية ، يجلس سيادة راعي الابرشية ليكلّم الأولاد بضع دقائق ، بالقرب من نبيل الذي أخذ يدنو من سيادته ، ويمدّ يده البريئة مداعباً لحيةَ المطران الجليل .

أمور كهذه تجري في غاية من البساطة . فلا كدر ولا انزعاج ، بل انها تشيع الفرح والغبطة بين الجميع .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

رابعاً : اقتراحات

١ — تكوين جماعات صغيرة لاكتشاف هؤلاء الأولاد والاهتمام بهم على كل الصعد : الطبية — الاجتماعية — العلمية — الثقافية — النفسية — المادية — والدينية .

٢ — السعي لخلق مؤسسات تحترم الإعاقة وتنمّي ، عند الولد المعاق ، الاستقلاليةَ الذاتية ، لأن أهله لن يدوموا الى الأبد ، وهو لن يبقى طفلاً الى الأبد .

٣ — ارشاد الكهنة بالتعاون مع الاخصائيين الطبيين وعلماء النفس الى الطريقة الفضلى لتوعية المتخلّفين عقلياً ، واعادة الاعتبار للمتخلّفين جسدياً . انشاء مجلات وتصوير أفلام تعنى بتوضيح حاجاتهم . ومن هنا ، الانطلاقُ الى دراسة شاملة تضمّ مسؤولين عن الكنيسة وعن الادارات العامة للبحث في الوسائل الضرورية لتسهيل وصول المتخلّف عقلياً والمتخلّف جسدياً الى المشاركة في الليتورجيا . وهذا يتطلّب ليتورجيا مناسبة لوضع كلّ من هؤلاء المتخلّفين . لِمَ لا نصل الى بعض ما وصلت اليه جميعاً في الغرب مثل L'ARCHE صلاة وتعليم مسيحي وذبيحة مبسّطة تتأقلم وحالةَ المتخلّف . وهنا عمل كبير ينتظر أصحاب الكفاءة والخبرة .

٤ — تعيين مرشد أو أكثر في كلّ أبرشية وفي كلّ منطقة يهتمّ باحصاء وارشاد الأهل والمؤسسات الموجودة والاتصال بها .

٥ — لفت المؤسسات الانسانية الموجودة ، مثل الصليب الأحمر وكاريتاس وغيرها الى أهمية العمل على التوعية في المدارس والجامعات والمعامل لضرورة بناء عائلات سليمة والحدّ من تكاثر عدد المعاقين وتفادي تزايد حالتهم الخطرة .

٦ — تنشيط المؤسسات الموجودة حالياً في خدمة المعاق وجعلها تحترم فيه المسيح المتألّم ، قبل أن يصبح رقماً ملازماً سريره وغرفته . مما يريح الأهل والمؤسسة على السواء .

* * *

عسى ما عرضتُه أمامكم الآن يجعل هذا الصغير في كنيسة المسيح وهذا الفقير في عالم البذخ ، وهذا الخروف الضالّ الذي لا يستطيع السير ، فيضعه الراعي على كتفه فرِحاً ، عسى هؤلاء جميعاً يجدون ، في كنيستنا وفي كلّ منا ، ما يستحقّونه من احترام ومحبّة ، فيساهمون ، قدر ما يستطيعون ، في بناء كنيسة الربّ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع التاسع

الليتورجيا والجامعة

الأب سمعان عطاالله
و
الأب لويس الخوند

*

٧ كانون الثاني ١٩٨٥

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الليتورجيا والجامعة : حقائق نظرية

الأب سمعان عطاالله

من مواليد ادونيس — جبيل سنة ١٩٣٧ . ارتسم كاهناً سنة ١٩٦٣ . من الرهبانية الانطونية . درس اللاهوت في جامعة القديس انسلموس في روما ونال الاجازة فيها . ونال اجازة في الاختصاص الليتورجي من المعهد الشرقي في روما . يُعدّ اطروحة حول الشرطونية المارونية .
انتخب وكيلاً للرهبنة في روما ، ومسؤولاً عن الرهبان الدارسين .
علّم في معهد الليتورجيا في الكسليك ، وعُيّن معلّماً للمبتدئين ثم رئيساً لدير الابتداء في دير مار اشعيا .
وهو اليوم استاذ في المعهد العالي للعلوم الدينية في جامعة القديس يوسف ومرشد عام للرعية الجامعية . يكتب في مجلة نور وحياة وفي نشرة الرعية الجامعية .

أعتقد بأن الذين تفضّلوا وطلبوا اليّ التحدث عن هذا الموضوع أرادوا أن أعرض أمام المستمعين بعض المبادىء اللاهوتية والأفكار الروحية والابعاد الرعوية التي نركّز عليها في عيشنا الليتورجيا مع الجامعيين ، وفي الوسط الجامعي .

يقودني هذا الطلب الكريم الى التوقف عند حقيقتين أساسيتين ، توّجهان عملنا الرعوي في الوسط الجامعي ، وبالتالي تفرضان علينا هوية الابعاد الرعوية التي نضعها أمام أعيننا في عيش الليتورجيا مع أخوتنا الجامعيين ضمن جدران جامعاتهم .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الحقيقة الأولى : الليتورجيا هي تعبيرٌ عن ايماننا ، وفي الوقت عينه غذاءٌ له .

يمكننا أن نقول بكلام آخر إن الليتورجيا هي ترجمة الواقع المرتبط بإيماننا ، هي صورة عن المستوى الذي بلغناه وما نطمح اليه . لذلك ، تُلقي الليتورجيا أضواء على ايماننا ، على حقيقته وواقعه ومستواه عندنا ، وتشكّل لنا حافزاً لكي نتعمّق به فنكتشف أبعاده الغنيّة ونعيش منه . وهذا ما يساعدنا ويدفعنا الى أن نكون شهوداً لهذا الايمان الذي نعرفه ونجسّده في حياتنا ، ونعطي ، هكذا ، في حياتنا اليومية ، صورةً صادقة عن المستوى الذي بلغناه في خبرتنا اليومية .

قديماً ، عندما كان يقرّر أحد الوثنيين أن يتجاوب مع النعمة الالهية ويكتتب في عداد الذين يطلبون العماد ، كان يدور بينه وبين المسؤولين في الكنيسة الحوار التالي :

س : ماذا تطلب من بيعة الله ؟

ج : الايمان .

س : وماذا يعطيك الايمان ؟

ج : الحياة الابدية .

يبان في هذا الحوار ، الذي نجد شيئاً شبيهاً به في حفلة تلبيس الاسكيم الرهباني ، عطش الانسان الى الحقيقة . ينتظر طالب العماد من الكنيسة أن تفتح عيون ضميره وقلبه على أبعاد الايمان المسيحي الذي يعطيه الحياة الابدية . وينتظر ذلك ، بنوع خاص ، الطالبُ الجامعي لكي تأتي ثقافته متكاملة .

وواجب الكنيسة هذا ما يزال قائماً وما يزال يكوّن مهمّتها الأولى الاساسية ، وانها مدعوّة الى أن تكرّس نشاطها كله في سبيل القيام بهذا الواجب التربوي لايمان أبنائها وجميع الذين يأتمنها الله عليهم ، فهي ، بهذا المعنى ، مدرسة ايمان .

طبعا ، تستعمل الكنيسة طرقاً متنوعة لكي تحقّق مهمتها هذه فتحكي لغة الجميع ، كما انها تتكيّف مع ظروف الزمان والمكان لكي تتكلّم لغة البشر على مثال معلّمها الالهي الذي تنازل وتشبّه بالانسان حتى يرفعه ويوصله الى أن يحكي بدوره لغة الاله ويتخلّق بأخلاقه .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

من هنا ، الحاجةُ الملحّة الى أن يبلغ المسيحي مستوى محترماً من الفكر المسيحي ، من اللاهوت المسيحي ، من الفكر الالهي ، فيبلغ في معرفة هذا السرّ الطولَ والعرض والعلوّ والعمق ...

على المسيحي أن يكون نور العالم . فكيف يتمكّن من بلوغ هذا الهدف اذا توقّف فكره المسيحي ، وبالتالي اذا لم تتغذَّ روحه لكي يُغذّي تلك الشعلة التي أضيئت في العماد في أعماقه ويستقي من الينبوع الالهي ، من الحقيقة الالهية ؟

إن أولى النتائج لهذا الجمود ، أي لعدم تغذية روحه من الفكر الالهي ، هي الممارسة بلا روح ، بلا حياة . انها لممارسة كئيبة ، لانها فارغة من الحياة الالهية . وعدم التغذية هذه تقود صاحبَها الى خطر كبير ، أي الى عدم النموّ وعدم الاشعاع فيتحجّر الايمان . على هذا ، تذبل الحقيقة المسيحية وتجفّ وتتحجّر ، ونصل ، هكذا ، الى جماعة مسيحية رديئة ، « مرتّة » ، منطفئة الشعلة ؛ وهل يُوقد سراج ويوضع تحت مكيال ؟

والانتهاء الى مستوى من هذا النوع عند المسيحيين هو خيانة لعمادنا ، وبالتالي لالهنا الذي اعترفنا به والتزمنا به بين البشر . وهذه الخيانة لا تكون فقط بالنسبة الى الذين يتطلعّون الينا نحن المسيحيين من الخارج ، وكلّهم رجاء ، وهم ينظرون الينا على اننا موضوع رجائهم ، بل تتعداهم الى الكنيسة بالذات ، الى الكنيسة التي هي نحن . وهكذا نحون نفوسنا ودعوتنا وهوّيتنا . بالنتيجة ، تكون هذه الخيانة خيانة للمسيح ، الذي من جنبه المطعون بحربة ، تولد الكنيسة . أجل ، اننا بذلك نحون المسيح ، هذا النور النازل من فوق من عند أب الأنوار ، هذا النور الذي جاء الى العالم لينير كل انسان (يوحنا ١) .

والمسيحيون الواعون يشعرون بهذا الواجب . ولذلك فاننا نرى أكثر من شخص وأكثر من مؤسّسة مسيحية يقومون بمحاولات عديدة ، لا بل يقدّمون تضحيات سخيّة من أجل تنشيط الفكر المسيحي وتقويته عند المؤمنين . نرى مساعيَ حميدة في هذا الحقل لكي تقوم الكنيسة بهذه المهمة المقدسة على أكثر من صعيد . والعمل الرعوي الجامعي هو احدى هذه المحاولات الكبرى المباركة .

ولا تكتفي هذه المساعي الحميدة ، النابعة من مهمّة الكنيسة التعليمية ، بأن تطمح لكسب بعض الأوساط المهيّأة فحسب ، بل انها تصبو وتعمل دائبة على تعميم الفكر الالهي

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في جميع الأوساط ، وبخاصة في الوسط الجامعي ، المتعطّش الى بلوغ هذا الهدف . ولذلك لا تسعى هذه « المؤسسات » المسيحية الى التعمّق فقط بما تقدّمه الكتب المقدسة حول الوحي ، ودرس اللاهوت الذي يشرح هذا الوحي ، واتقان العلوم التطبيقية التي تساعد على فهم هذا الوحي من خلال المقارنات وتفسير ردّات الفعل الانسانية والنفسانية والاجتماعية ، بل تتعدّاها وتسعى ، بكل جدّية ، الى عيش الايمان واعلانه في الليتورجيا ، أي في عيش الصلوات الطقسية والأسرار ، وعلى رأسها الافخارستيا والتوبة .

اننا حريصون كل الحرص ، في العمل الرعوي الجامعي ، على هذه الناحية ، أي على الاهتمام بالناحية الفكرية التي تلازم الايمان . اننا حريصون على تقوية هذا البعد الفكري ، لأننا نعي ونعرف ان هذا البعد يطال نفس المؤمن المثقّف وضميره ويوجّهه في حياته ليأتي سلوكه اليومي في الحياة مطابقاً لقناعاته الايمانية . ولذلك تحتلّ الليتورجيا — وعيشها — مكاناً رئيسياً في عملنا مع اخوتنا الجامعيين . وهذا العيش يعمل من المؤمن ، وبالتالي من الجامعي المؤمن ، شاهداً أميناً للبشارة السماوية الجديدة ، ويجعله تربة صالحة للنعمة الالهية ، لكي لا تكون هذه النعمة عقيمة .

واستمرارية عيش هذه النعمة بحاجة الى « صيانة دائمة » Entretien permanent، وأكبر الوسائل التي تؤمّن هذه الصيانة هي الصورة المتواضعة والليتورجيا الحية في جميع فصولها . ان هذه الوسائل التي استعملها المسيحيون وعاشوها ، منذ القرون الأولى للكنيسة ، قد أوصلتهم وتوصلهم الى مضايقات شديدة من قبل حكّام الأرض وشعوبها غير المؤمنة ، ولكم بلغت ، مرّات ، حدّ سفك الدماء في سبيل الايمان . نحن نعرف ذلك . غير أننا نعرف أيضاً ان سفك الدماء لم يُخِفْ ، مرة ، المسيحيين المتعلّقين بايمانهم والذين جاهروا أمام المضطهدين ، على جميع الصُعُد ، قائلين : « لا يمكننا أن نعيش دون الاجتماع للصلاة وتمجيد ربنا والاحتفال بيومه المقدّس » .

في هذه الايام بالذات ، وعندنا في لبنان ، وفي مناطق لا يحلم مسيحي بأنه يجد صعوبة أو يعترضه أحد أو يمنعه عن ممارسة واجباته وعن الاجتماع بأخيه للصلاة وتمجيد الرب والتفتيش عن اكتشاف ارادته تعالى ، نجد بأننا توصّلنا الى وقت فيه نردّد ونجاهر بما كان يقوله المسيحيون أيام الاضطهادات في القرون الأولى ، يوم كانوا يسفكون دماءهم في سبيل

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ايمانهم . فهنالك اليوم ، وعندنا في لبنان ، أوساط مختلفة تعمل ، بطرق متنوعة ، على منع المسيحيين من الاجتماع للاحتفالات الدينية واقامة الصلوات ، وذلك ، على سبيل المثل ، عن طريق القصف أو التعدّيات على الكنائس والأديار ودور العبادة ، أو المضايقات المباشرة وغير المباشرة أو حتى « الأوامر » المغتصبة والوقحة ، في غالب الاحيان ...

غير ان الكنيسة ، التي من علاماتها المميّزة أنها مضّطهدة ، لا تيأس ، بقوة نعمة مؤسسها وحضور روحه القدّوس معها ، وتسعى دائماً ، بالمحبة ، الى تنظيم الاجتماعات المصلّية لابنائها المؤمنين ، حتى تؤمّن لهم الغذاء الروحي والقوّة ، وتساعدهم على تنمية حياتهم المسيحية ، ولا سيما عن طريق كسر الكلمة وكسر الخبز معهم ، اذ لا يمكن أن تلد الكنيسة أبناء روحيين وتتركهم دون تربية وتغذية ، وإلاّ فانها تقترف جرماً بحقّهم .

والمسيحيون ، وبخاصة الشباب الجامعي ، يقصدون دور العبادة ويبحثون عن مناسبات تساعدهم على التأمل والصلاة والتفتيش عن المطلق الذي وحده يسدّ فراغ قلوبهم وينير طريقهم . انهم يفتشون عن هذه الفرص لأنهم يشعرون بحاجة ماسّة الى الحقيقة الأزلية ، الى الامتلأ منها والاستنارة بكلمة الله الهادية والتسلّح بالقوة والحياة الفائضتين من جسده ودمه الاقدسين .

من أجل هذا ، دخلت الكنيسةُ الجامعةَ . انها تريد أن تكون مع أبنائها — وهذا حقّ الأم — لتؤمّن لهم النور والقوّة والحياة . وأراها مستعدّة لان تتصدّى لكلّ الحواجز ، عن طريق المحبة والصبر والتمسّك بالحقّ ، لكي تلحق بأبنائها ، حيث يكونون ، فتساعدهم على أن يعبدوا الله بالروح والحق . هذا هو واجبها وتلك هي مهمّتها . تحنو الكنيسة على أبنائها الجامعيين لأنهم مستقبل الكنيسة والانسانية . أنها ترى فيهم النواة الصحيحة من أجل ايصال الرسالة الالهية ، هذه البشارة الجديدة ، الى جميع الناس .

وفي اجتماعات الصلاة وكسر الخبز وسائر الأعمال الليتورجية وحضورها من خلال كهنتها ومؤسساتها ، تضع الكنيسة كلَّ آمالها وأقدس اهتماماتها لكي تصون الفكر المسيحي ، الفكر الالهي ، عند أبنائها ، من الضياع والافتقار ، فلا يشحّ نور الانجيل ولا ينطفىء السراج الذي أضاءه الربّ يسوع يوم ظهوره — يوم دخله — على الأرض ، ويشعله في قلب كل انسان يؤمن بالمسيح ويعلن ايمانه هذا بقبوله العماد المقدس .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فالصلاة والليتورجيا هما الكتاب الكبير الذي تفتحه الكنيسة أمام أبنائها لكي يغذّوا ايمانهم ويحملوا فكر المسيح ويشهدوا له في حياتهم . هنالك من يقول للكنيسة : « أعبدي الهك في هيكل أورشليم أو على جبل جرزيم » . غير ان الكنيسة لا يمكن أن تطيع الاّ معلمها وفاديها الالهي الذي قال : « ستأتي ساعة ، بل أتت الآن ، يعبد فيه العابدون الصادقون الآب في كل مكان بالروح والحق » (يوحنا ١٩/٤ — ٢٤) .

فضلاً عن ذلك ، هنالك طرق ، تخضع للزمان والمكان ، تتبعها الكنيسة لكي تساعد أبناءها على عبادة الله ، من جهة ، ولكي تصون وتحمي وتغذّي ، من جهة أخرى ، ايمانَ أبنائها ، هذا الايمان الذي تعيشه معهم في الصلاة والليتورجيا ، أي في عيش الاسرار .

من بين هذه الطرق ، تلك التي نجدها في القسم الأول من كل ليتورجيا ، هذا القسم الذي يُدعى القسم التعليمي والذي يُقام في اجواء الصلاة والتأمل والتهليل والتسبيح والتفتيش عن ارادة الله عن طريق المشاركة وتبادل الأنوار الالهية وإلهامات الروح القدس . وهذه الطريقة التي تفتح عقولنا وأفكارنا وقلوبنا على حقيقة الله « وترفعها الى ما فوق » وتجعلنا نتّحد بالله ، هي موضوع الحقيقة الثانية التي علينا أن نتوقّف عندها ، ولو قليلاً .

الحقيقة الثانية : تكلّم اللهُ لغةَ البشر حتى يتكلّم الانسانُ لغةَ الله

هذا هو هدف التجسّد . وكلّ عمل المسيح وكنيسته يهدف الى مساعدة الانسان كي يتعلّم لغة الله وينطق بها ، فيمجّده ويساهم في بنيان خلاص الانسان . والليتورجيا هي الوسيلة للوصول الى هذا الهدف .

أمّا المسيح ، مخلّص العالم ، فهو واحد ، وأنجيله واحد ، ولو تعدّد « الانجيليون » ؛ وليتورجيا الكنيسة هي واحدة ، لأن الكنيسة واحدة ، ولو تنوّعت شكلاً ولهجة . لقد تكلّم الله كلمة واحدة ، ولجميع الناس ، وهي ابنه ومخلصنا يسوع المسيح . ولهذه الكلمة سرّ يفهمه جميع الناس ، أو بوسعهم أن يفهموه اذا تنشّأوا عليه ، بمساعدة وقوّة الروح القدس الذي يرشدنا الى كل شيء حول هذه الكلمة ...

لذلك فان ليتورجياتنا « الرسولية » ، أي التي ترجع الى عهد الرسل ، لم تعرف ما يمكن

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أن نسمّيه « الاختصاص » « وتعدّد الجنسيات » . هنالك ليتورجيا واحدة ، ولو لبست عدة أثواب ، تدعى « كنزاً » ، يجد فيه كل مؤمن حاجته ويتقن قراءته كل معمّد ، اذا كان معدّاً ومؤهّلاً لسبر أغوار هذا الكنز فيملأ جرّته من ماء ينبوعه العذب لتتفجّر في داخله أنهار ماء حيّ (يوحنا ٣٨/٧) .

في هذه الليتورجيا الجامعة والواحدة والموحّدة ، يجد كلّ مؤمن ذاته ، لان هذه الليتورجيا تنطوي على غنى واسع وليونة مرنة وحالية تلائم تطلّعات كل انسان ، ونستقيها من حالية الانجيل .

غير أن هذه الليتورجيا تتطلّب من المؤمن مستوى من التربية الايمانية والعيش المسيحي ، أعني من الليتورجيات « المتخصّصة » ، اذا صحّ التعبير . بذلك فان الليتورجيا « المتخصّصة » والتي تحمل عدّة هويات ، أي عدّة جنسيات ، تدلّ على تدنّ في المستوى الايماني يتطلّب تبشيراً (évangélisation) مكثفاً وملحّاً وتنشئة مسيحية كافية لمعالجة الأمور في الأوساط المسيحية المفتقرة الى المستوى المطلوب .

وحده هذا التبشير المطلوب — أي التنشئة الضرورية — يقوّي عند المؤمن الحسّ المسيحي للقيم الانسانية والانجيلية ، مثل : الاخوّة الشاملة ، والالتزام المسيحي في بنيان عالم جديد وَضَعَ أساساته السيّدُ المسيح ، ووعي حضور الله فينا ، والتحرّر من قيود الخطيئة والشرّ للعيش في حرية أبناء الله وممارسة العدل والحقّ والمحبّة ، التي لا تعرف الحدود ، ومعالجة جميع المشاكل التي يطرحها عالم اليوم على ضوء تعاليم الرب يسوع وارشادات الروح القدس .

ان الانفتاح على هذه القيم يتيح لنا مواجهة الحياة برؤية مسيحية واضحة ، نابعة من انفتاحنا على فكر الله ومن اتقاننا لغة الله ، ويجعل من ليتورجياتنا ليتورجيات حيّة ، تحدّث كلّ انسان وتؤثّر فيه . فمتى تعلّمنا لغة الله ، تعلّمنا لغة جميع الناس ، وخرجنا من آفاقنا القصيرة وحدودنا الضيقة ، وأصبحنا أولئك المؤمنين ، أصحاب القلوب الواسعة ، القريبة من قلب الله ، الذي يحفظ مكاناً فيه لكلّ انسان . وهكذا تتسّع صلاتنا لحاجة كل انسان وتتجاوب ليتورجيتنا مع آمال جميع البشر وتطلعاتهم ومعاناتهم وآلامهم وأفراحهم ، الشيوخ منهم والشباب ، الكبار والصغار ، العلماء المثقّفين وغير المثقّفين ، الأغنياء والفقراء ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الاصّحاء والمرضى ، الخ... أوَ لسنا جميعاً أبناءَ الله وأخوة بعضنا لبعض ؟ !

من هنا ، فان البعد الرعوي لليتورجيتنا ، لصلاتنا وللقاءاتنا باسم المسيح ، ولحياتنا كلّها ، يعرف اتجاهين ، اتجاها نحو العالم ، نحو الانسان ، واتجاها نحو الله . وهذا ما يدفعنا الى أن نتكلّم ، من جهة ، **لغة الانسان** ، وبالضبط انسان اليوم ، ونفهم حاجاته كلّها ، وهذا ما يفرض أن تكون ليتورجيتنا مجسّدة ، ومن جهة أخرى،**لغة الله** ، لان التربية المسيحية تهدف ، في النهاية ، الى أن نتوصّل الى النطق بلغة الله ، وندخل معه في منطقه وفي مشروعه الخلاصي ، الذي يريد أن يحقّقه مع جميع الناس . لذلك ، فالناحية الرعوية التي يجب أن تعرفها صلاتنا وليتورجيتنا ، لا تتوقّف عند تعلّم لغة الانسان ، وبالتالي لغة جميع البشر ، بل تتعدّاها الى تعلّم لغة الله .

وهذا ما نودّ أن نتطرّق اليه من خلال عرض سريع **للبعد الرسولي** ، الذي تعرفه ليتورجيتنا ، وندعو المستمعين الكرام ، لضيق الوقت ، الى أن يكمّلوا هذا العرض بالاطلاع الكافي على **البعد الفصحي** الذي تدور في فلكه ليتورجيتنا ، وعلى **البعد السرّي** ومعناه الذي يلازم ليتورجيتنا الأرضية وحياتنا الايمانية ، مع العلم بأننا ندخل عالم السرّ ، عالم الروح ، بفضل الرموز والعلامات المسيحية التي تحتوي على حقيقة روحية ، حلّت وتحلّ فينا لكي تدخلنا الى عالم الله وتعطينا القوة اللازمة للقيام بثورة النور على الظلمة والحقّ على الباطل والقداسة على الشرّ والنجاسة من أجل تحرير الانسان وتقديسه « وتأليهه » : بذلك يكون المسيح حيّاً فينا .

الحقيقة الثالثة : « رسولية » ليتورجيتنا

أن أوّل ميزة لليتورجيتنا تكوّن مطلباً لعملنا الرعوي مع اخوتنا الجامعيين ، الذين عليهم يتوقّف ازدهار مستقبل الانسانية أو فشله ، وبالتالي نجاح رسالة الكنيسة ، هي « **رسوليتها** » ، أي علاقتها ، وبالتالي علاقتنا نحن ، مع الذي « أرسله » الله لخلاص البشر ، ومع الذين « **أرسلهم** » مخلّصُ العالم لكي يُعلنوا بشارة الخلاص الجديدة في أربعة أقطار الدنيا . فالسرّ ، كلُّ السرّ ، هو في الابقاء على هذه العلاقة المباشرة من خلال « الخيط » الذي يربط بيننا وبين الرسل ، وعلى رأسهم السيد المسيح .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أقول ان الرسولية هي أولى ميزات ليتورجياتنا الشرقية ، وبالتالي ليتورجيتنا المارونية ، لكي أكون منطقياً مع لاهوتنا الشرقي الذي ينطلق من الله ومع الله ليطلّ على الانسان ، خلافاً للاهوت الغربي الذي ينطلق من الانسان لكي يصل الى الله .

غير أن هذا المنطق الشرقي هو ، في النهاية ، منطق أنتروبولوجي ، لأنه ينطلق من المسيح الذي ، بالاضافة الى انه ابن الله ، هو ، في الوقت عينه ، ابن الانسان ، كما كان يحلو له أن يعرّف عن نفسه . ولو لم يتجسّد ابن الله ويظهر فيما بيننا ويسكن معنا ، حتى انقضاء الدهر ، لكانت طريقتنا ومنطقنا الشرقي ، على الصعيد اللاهوتي ، مستحيلين .

فما هي هذه الرسولية ؟ الرسولية هي حياة الرسل ، كما نعرفها في أعمال الرسل بنوع خاص (٢/٤٣ — ٤٧ ؛ ٤/٣٢ — ٣٥) **والاقتداء بها** ونقلها ، على مدى التاريخ ، من جماعة الى جماعة ومن شخص الى شخص ، حتى تصبح حياة المؤمنين ، على مدى الأجيال ، امتداداً لهذه الحياة الرسولية التي تعلّمها الرسل والتلاميذ الأولون ، على أيدي المعلّم الالهي . وهذا ما نوّد أن نبنيه داخل جدران الجامعات : أن نبني هناك « كنيسة » ، أي « جماعة رسولية » ؛ والليتورجيا هي التي تغذّي هذه الجماعة الرسولية وتفتح أمامها المجال لتشهد كجماعة رسولية .

واذا كانت الليتورجيا هي حياة الكنيسة ، هذه الكنيسة التي هي رسولية ، أصبح على الليتورجيا أن تكون ، بدورها ، رسولية ، والاّ فقدت معناها وحقيقتها وفاعليتها ، ولا يمكن ، بعد ذلك ، للمسيح ، معلّم هذه المدرسة الرسولية ، أن يكون حيا فينا ...

تطال هذه « الرسولية » ، التي نحن بصددها ، جميع نواحي حياة المؤمنين ، الروحية منها والاجتماعية ، المهنية والفكرية ، الخ ... ، اذ على المسيحي أن يعمل كل شيء تمجيداً لله حتى في الأكل أو الشرب (اكور ١٠/٣١) . وهكذا ، يأخذ تكرّسنا في العماد كلّ مداه وكلّ حقيقته .

لا تسألوني عن كيفية هذه الحياة الرسولية عمليا في جميع نواحي حياتنا ، وفي أيامنا هذه . انها تخضع لشروط الزمان والمكان على مدى الأجيال . فالذي يعنينا نحن في العمل الرعوي الجامعي هو خلق جماعات رسولية ، تعيش متطلّبات الجماعة ، على قدر ما قسم الرب لكل واحدة منها (اكور ٧ / ١٧) . يهمّنا كثيراً أن نتابع تعليم الرسل ونصلّي معا ونسبح الله

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ونشهد لقيامته المجيدة ونكسر الخبز ونتقاسم كل شيء ، اذا أمكن ، ونحمل صليبنا وراء معلّمنا الالهي بالروح الذي حمل فيه هو صليبه . اننا نطمح الى تحقيق هذا الهدف ونبلغ فيه ، على الأقلّ نسبة محترمة ، لكي نكون أمينين على دعوتنا ومواثيق عمادنا .

ربما يخالج ضمائر البعض الاعتراض التالي : هل تريد أن تكوّن من الجامعيين رهبانية ؟ وَلِمَ لا ؟ فالجديد الذي جاء به الرب يسوع هو النسق الرهباني . والنسق الرهباني ليس الا النسق المسيحي في العيش : انه يسعى الى عيش جذرية الأنجيل . فكل مسيحي هو راهب . بهذا المعنى ، كما أن كل راهب هو مسيحي . ويعيش المؤمن ، راهباً كان أم متزوجاً ، هذه الجذرية على حسب ما قسم الرب له . ولهذا فاننا نؤكد ، في هذه المناسبة ، على التكاملية (complémentarité) بين الحياة الزوجية والحياة الرهبانية .

وفي العودة الى رسولية ليتورجيتنا ، وبالتالي الى عملنا الرعوي مع الجامعيين ، نسأل : كيف يمكن أن يبقى المسيح والرسل احياء فينا ؟ نجيب ، على سبيل المثل ، بما يلي :

* بالاستماع الى صوتهم (؟...)
* باستعمال لغتهم وتعابيرهم .
* بالتخلّق بأخلاقهم والاقتداء بهم والاتحاد معهم .
* بالتأمّل بصورهم ، بأيقوناتهم ، حتى يصبح كلّ منا أيقونة عنهم ، وبالنهاية عن المسيح .
* بالتأمّل بكلماتهم وأفكارهم وتبنّي مشاريعهم وصنع ما صنعوا : إصنعوا هذا لذكري ...

لقد وعى آباؤنا أهمية هذه الحقائق ، وعملوا على عيشها . لذلك ، كنا نرّدد ، مثلا ، في مطالعتنا المقدّسة بعض تعابير ، استعملوها — مثل : « ربّوني » ، « طليتا قومي » ، « لمّا شَبقتاني » ، الخ... لا نجدها في الترجمات أو الطبعات الجديدة للكتب المقدسة ؟

من جهة اخرى ، اهتمّ المسيحيون بأن يَتَسَمَّوا باسم يسوع المسيح وأسماء الرسل والقديسين . أما اليوم ، فيتجنّب المسيحيون ، ولا سيما اللبنانيون منهم ، هذه الاسماء المباركة ويفضّلون عليها اسماء نجوم السينما والزعماء المدنيين وما أشبه .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اهتم آباؤنا ايضاً بوضع نوافيرهم وأناشيدهم ، وحتى ألحانهم ، تحت اسم الرسل والآباء القديّسين ، مثلاً : نافور مار يوحنا فم الذهب ، وكيرلّس ، ويوحنا مارون ، وبطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، ومرقس ، والاثني عشر ؛ ولحن مار افرام ومار يعقوب ، الخ ...

طبعاً ان نسب هذه النوافير ، وتلك الالحان ، الى الرسل والآباء القديسين ، ليس حقيقة علمية بل مجرّد نسبة ؛ انما إن دل على شيء ، فانه يدّل على مدى اهتمام آباء كنائسنا الشرقية بربط أعمالهم وأقوالهم وصلواتهم وحياتهم كلها بالتقاليد الرسولية ، بالهمّ الرسولي وبالمشروع الالهي الخلاصي .

في هذا الخط ، نرى أيضاً قضية اللحن واللغة . وعلى هذا الصعيد فهنالك اختيارات ، يجب أن نقوم بها اليوم ، دون التخلي طبعاً ، عن دورنا ، بالنسبة الى مجتمع اليوم ومتطلبات هذا الدور وهذا المجتمع . المهمّ الا تنقطع الصلة التي تربط ما بين المسيح والرسل والقديسين وبيننا ، وعلى مدى الاجيال . المهمّ أن يبقى الاتصال ، في النهاية ، بالمسيح ، قائماً ومؤمّناً لئلا « نفبرك » مسحاء ، وبالتالي آلهة على مقياسنا وحسب أهوائنا . المطلوب هو أن نبلغ ، نحن ، ملءَ قامة المسيح ، هذا المسيح الذي بلغ ، بدوره ، ملء قامة الانسان ، وما يزال يعمل وينزل الى مستوى كل انسان ، دون أن يتخلى عن ألوهيته ، ويدخل الى بيت كل واحد من البشر لكي يسكن فيه ويقيم عنده ويجعل من كل انسان هيكلاً لروحه القدّوس .

ان الاهتمام الذي كان عند آبائنا في البقاء على علاقة عميقة بالرسل وبالمسيح ، بنوع خاص ، هو حدث بالغ الأهمية وقضية تستحقّ كل انتباه . انه لمن الاهمية بمكان ، أن نشعر بحضور الرسل ، وخاصة بحضور المسيح فيما بيننا ، لا بل فينا ، نحن الذين تسلّمنا بشارته الخلاصية .

والرموز ، في هذا الحقل ، واللغة (langage) واللحن والصورة ، الى ما هنالك من وسائل مماثلة ، استعملها المسيح والآباء الأطهار ، وصارت « رسولية » ، لها أهمية كبرى في حياة الكنيسة وفي حياة المؤمنين ، الذين عليهم أن يعرفوا مَن هم ، مِن أين أتوا والى أين هم ذاهبون (يوحنا ٨/١٤) .

كان الرسل أولَّ من كسر الخبز في الجماعات المسيحية . وقد استعاض المسيحيون ، فيما بعد ، عن حضور هؤلاء الرسل بقراءة كتاباتهم ورسائلهم . فكانوا ، هكذا ، حاضرين

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

معهم ، في اجتماعاتهم المصليّة وفي لقاءاتهم حول المذبح .

فاذا كان المسيح حاضراً في كلمته (من سمع كلامي وعمل بها ، كانت له الحياة الابدية ..) ، أو في الصلاة المشتركة التي يقيمها الاخوة المؤمنون (متى اجتمع اثنان باسمي أكون الثالث فيما بينهما ...) ، أو تحت أعراض الخبز والخمر (أنا هو خبز الحي النازل من السماء ، من أكل هذا الخبز يحيا الى الأبد ، والخبز الذي أعطيه هو جسدي ، أبذله من أجل حياة العالم . فجسدي هو القوت الحقيقي ودمي هو الشراب الحقيقي ...) ؛ اذا كان المسيح حاضراً بهذه الصورة ، فانه أرسل لنا رسوله — رسله — لكي يقودنا على دربه الى أن يأتي . صحيح بأن الروح القدس هو باقٍ معنا وهو يرشدنا ويهدينا ويقدّسنا ، لكن المسيح ترك لنا ايضا رسلا ، منا وفينا ، من جبلتنا وطينتنا ، ليبقى معنا أيضاً بنوع خاص ، منظور وملموس ، وليس فقط بنوع غير منظور وروحي (من خلال روحه القدوس) أو بنوع غير منظور من خلال الرموز والعلامات الحسية . انه اراد أن يبقى معنا من خلال الرسل وخلفائهم « الكهنة » ، أي الاساقفة . لقد ذهب المسيح لكي يعود فيما بعد ، بشكل آخر في آخر الأزمنة . غير ان الرسول وخليفته الاسقف ، الذي يبقى معنا ويمنحنا روح الرب ، يبقى حاضراً في الليتورجيا بواسطة الكلمة ، كلمة الرب التي تلقى على مسامعنا وتفسر لنا على لسان الاسقف . ولذلك ففي تقليدنا الماروني ، وبالتالي في ليتورجيتنا المارونية ، يعود للكاهن ، أي للأسقف وحده ، أن يقرأ الانجيل أي كلام الرب يسوع ويشرحه لنا . « فحيث الأسقف هناك الكنيسة » . لذلك ، أوصى اغناطيوس الانطاكي ويوحنا فم الذهب ألاّ نعمل شيئاً في غياب الأسقف .

على هذا النحو ، اننا متّصلون بالمسيح كنسيا (ecclésialement) بواسطة الرسل وخلفائهم . والكنيسة ، المؤسسة على الرسل ، هؤلاء الشهود الذين نبني عليهم ايماننا ، تُسمعنا صوتهم عندما تعلّمنا وتردّد على مسامعنا البشارة الجديدة ، التي حملها الرسل الى جميع أقطار الدنيا : « إذهبوا وتلمذوا وعمّدوا جميع الأمم » (متى ١٩/٢٨ — ٢٠) ، وتحتفل معنا بالاسرار ، ولا سيما بالافخارستيا .

أضف الى ذلك ان كتب الرسائل تدعى في ليتورجياتنا الشرقية « الرسول » . بدون أية زيادة . وليس استماعنا وقوفاً الى قراءة الأنجيل الا لاعتبارها محل المسيح نفسه ، هذا المسيح

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الذي يُبشّرنا الرسول بعودته ، المنتظرة بالصبر والرجاء والشوق (لاحظوا البعد المَعادِيَّ في هذا الانتظار) .

هنالك ظاهرة أخرى تستحق الذكر في ليتورجياتنا الشرقية ، وخاصة في ليتورجياتنا المارونية ، وهي أن أية قراءة من العهد القديم لم تحلّ مرة محلّ قراءة الرسول . نعلم بأن ليتورجياتنا تقرأ من العهد القديم — وعدة قراءات ، وربما هذه العادة باقية من ليتورجيا المجمع (synagogue) — غير ان « الرسول » ، أي قراءة الرسول ، باقية دائماً ؛ الاّ أنه في هذه الأيام الاخيرة ، حيث لم يَعُد للمقاييس من منزلة ، هناك بعض الليتورجيات ، الغربية بنوع خاص ، تستعيض عن قراءة الرسول بقراءة من العهد القديم ، غير أن آباءنا الموارنة لم يتبّنوا ابداً هذه العادة ، وذلك عن وعي وعن تمسّك بالعلاقة مع الرسول ، واقتداء به كما أقتدى هو بالرب يسوع ، نظراً لأهمية هذه العلاقة الحياتية على الصعيد المسيحي .

ان هذه الميزة ، رسولية ليتورجيتنا ، وبالتالي رسولية كنيستنا ، في هذا الشرق ، تؤكد على ضرورة وجودنا في هذه المنطقة بالذات ، خدمةً للانسان ، كلّ انسان ، مهما كلّفنا هذا الوجود والتواجد من تضحيات ومضايقات واضطهادات . وأننا لحريصون كلّ الحرص في العمل الرعوي الجامعي على التأكيد لاخوتنا الجامعيين ولغيرهم بأنه لا يحقّ لنا ان نُقتلع من هنا . فجذورنا راسخة هنا ، خدمةً للانسان وتمجيداً للخالق الذي أحبّنا الى درجة انه أرسل وحيده لكي يخلّصنا ...

الخلاصة

أيها الاخوة !

لا تكون الأبعاد الرعوية على جهة واحدة وعلى خط واحد . فلكي تكون الناحية الرعوية كاملة ، يجب أن يكون لها عينان ، عين على الماضي ، للبقاء على العلاقة بالمسيح ، مخلّصنا وفادينا ، وعين على المستقبل ، أي على الحاضر ؛ يعني على الانسان اليوم ، لكي ينطق الانسان بلغة الله ، كما تكلّم الله بواسطة لغة الانسان ابنه يسوع المسيح ، الذي هو كلّ شيء لنا ، وهو أمس واليوم والى الأبد .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هذا هو همّنا في العمل الرعوي الجامعي . واننا نسعى حتى تكون ليتورجيتنا مع الجامعيين على هذا المستوى ويحصل التجاوب بين شهادتنا المسيحية وشهادتهم على الحاجة الروحية والانسانية الملحّة اليوم بالذات وغدا ، ان شاء الله .

فاذا كنّا نهتمّ بالعلوم الانسانية وبتطبيقها ، لا يغيب عن بالنا الاهتمام بالعلوم الالهية وعيشها . واذا كنّا ننبش الأرض لرفع حجر قديم من بين مطامير التراب وابرازه وتكريمه ، وننزع الكلس والطين عن جدراننا ، لأننا هكذا نجد ذواتنا ، فكم أحرى بنا أن نفتّش عن أصالتنا وأصلنا ، فنعي هذه العلاقة بالله ورسوله ، وبالتالي بالرسل وبمعلّمهم الالهي ، ونُعنى بابرازها والمحافظة عليها وتقويتها لكي نكون نحن ، أي لكي نجد هويتنا ونقوم بدورنا ، ويكون لنا هكذا دور في بنيان العالم الجديد ، فنبني « مدينتنا على الجبال المقدّسة » ، ويكون شبابنا الجامعي المثقّف ، الذي هو أمل الكنيسة والمجتمع ، فاعلاً في مجتمعنا ، مزوّداً بتلك الفاعلية المخلّصة والمحرّرة التي دشّنها ، في ملء الزمن ، ذلك الذي به كان كلّ شيء ، ومن دونه لم يكن شيء ممّا كُوّن .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الليتورجيا والجامعة : معطيات واقعية

الأب لويس الخوند

من مواليد صيدون سنة ١٩٣٩ . ارتسم كاهناً سنة ١٩٦٥ . من الرهبانية اللبنانية المارونية . حامل اجازة في اللاهوت من جامعة الروح القدس — الكسليك سنة ١٩٦٧ ، ودكتورا في اللاهوت الادبي في معهد الالفونسيانوم في روما سنة ١٩٧١ .
تسلّم ادارة طالبية الرهبانية ، وهو ، اليوم ، مدير الدروس في كلية اللاهوت الحبرية في الكسليك واستاذ اللاهوت الأدبي فيها .
مرشد روحي للراهبات اللبنانيات المارونيات في دير مار الياس ، ومسؤول عن الرعية الجامعية في جامعة الروح القدس — الكسليك ، ومرشد لجنة الويكندات الروحية .

أولا : الجامعيون جماعة كنسية

« حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي ، أكون فيما بينهم » .

الجامعة مجتمع كنسي من طراز مختلف عن مجتمع الرعية المألوف ، كما انه مختلف عن المجتمع الديري الرهباني . الجامعة كنيسة من نوع جديد . يجب ان تطالها الرعائيات ، وبالتالي ، يجب ان تصلها الليتورجيا بأسرارها وأشباه أسرارها وتعدّديتها وروحانيتها . في الجامعة تجوز ، بل تجب الصلاة ، الشخصية والجماعية ، الطقسية وشبه الطقسية . لان الرعية الجامعية هي ، ويجب أن تكون ، جماعة كنسية في حوار مع الله .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الصلاة هي لغة الحوار مع الرب . والجامعة هي رعية جديدة من حقّها ومن واجبها أن تحاور الربّ . فالصلاة في الكنيسة الجامعية يمكن أن تكون خاصة بهذه الكنيسة الجديدة ، كما ان لكل كنيسة محلية صلاتَها الخاصة وليتورجيتها الخاصة . ومن الصلوات الخاصة ، قد تتوفّر « صيغ كثيرة متنوّعة »[١] . كما ان الواجب ادخال الليتورجيا الى الجامعة عن طريق « الويك اندات » والخلوات واللقاءات الجامعية .

الغاية الاولى من الصلاة في الكنيسة الجامعية ادخال الجامعيين « بطريقة طبيعية في الصلاة الكنسية التي تمارسها الكنيسة جمعاء ، ليألفوها حتى تشمل محيط حياتهم الشخصية والعائلية والاجتماعية » .

لهذا ، حقّق مجلس الاساقفة الكاثوليك في لبنان ما يسمّى بـ « العمل الرعوي الجامعي » . ومنذ سنة ١٩٧٩ ، والمحاولات متعدّدة ، وان غير صارخة ، في وسائل الاعلام الاجتماعية ، وهي لا تزال وكأنها بادرة متطوّعين من الكهنة والرهبان والراهبات والاساتذة والطلاّب والمعاونين .

نحاول أن نجمع الطلاّب في خلوات روحية وويك اندات تثقيفية واجتماعات مصغّرة لاحياء ندوات روحية تثقيفية وصلوات شخصية وجماعية ، فيها الكثير من الليتورجيا القانونية ومن العفويات والمبادرات الشخصية بوحي من الروح القدس الذي يهبّ حيث يشاء ، ويعطي كلّ واحد المواهب الخاصة للمشاركة في اللقاءات مع الرب .

نحن المرشدين الجامعيين ، نشدّد كثيرا ، في لقاءاتنا مع الطلاّب الجامعيين ، على أهمية وضرورة وفعاليّة المشاركة الفعلية المنتظمة ، أيام الآحاد والأعياد ، في الأسرار والطقوس التي تقام في الرعية . لأن العمل الرعوي الجامعي لا يبغي مطلقا فصل الجامعيين عن رعاياهم ، بل ، بالعكس تماما ، نحاول أن نعطيهم وعيا وثقافة والتزاما ليكونوا أكثر فعالية في كنائسهم ورعاياهم الخاصّة .

نُعلن ، اذا ، مجدّدا ، ايماننا « بكنيسة جامعة مقدّسة رسولية » . كما نؤمن بتعدّدية الكنائس التي قد تولد بفعل التغيّرات والتبديلات الاجتماعية المعاصرة ، ومنها الجامعة .

---

(١) البابا يوحنا بولس الثاني ، **ارشاد رسولي في وظائف العائلة المسيحية في عالم اليوم** ، ١٩٨١/١١/٢٢ ، العدد ١/٦١ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ثانيا : بعض الايحاءات الكنسية

بغية أقلمة الليتورجيا على الجامعيين أو تقريب الجامعيين من الليتورجيا ، لا بدّ ، بادئ الأمر ، من استيحاء التاريخ الكنسي لالتقاط بعض المعطيات الليتورجية التي تفيد موضوعنا « الليتورجيا والجامعة » .

المسيح ابن الله الذي « صار انسانا » (يو ١ / ١٤) تكلّم بلغة البشر المعاصرة له ، الآرامية ، لغة الشعب ، ولم يأخذ أيّا من اللغات الرسمية ، اليونانية واللاتينية والعبرية .

الكنيسة ، وكيلة أسرار الله ، المتعلّمة من رأسها المسيح والمدبَّرة من روحه الكلي قدسه ، كانت ولا تزال أمينة لمنهجية المعلم .

لقد مرّت الكنيسة ، عبر الأجيال ، بأوضاع حياتية متنوّعة ، استعملت فيها مرافق الثقافات المختلفة ، لتنقل بشارة المسيح وتعاليمها ، وهي الأُمّ والمعلّمة ، « الى جميع الشعوب في جميع الأزمنة وفي جميع الأماكن ، بدون أن تتقيّد بحضارة دون غيرها ، لتعبّر عن بشارة المسيح « بطريقة أكمل في الاحتفالات الطقسية »[٢] . للدلالة على ذلك ، يكفي الإلفات الى آباء الكنيسة الذين أخذوا الممكن من الحضارات المعاصرة ، وتبنّوا اللغات المعاصرة وبعض الرموز الموروثة ، وهذا يستند الى منهجية المعلّم الربّ يسوع المسيح .

في القرنَين الخامس والسادس ، غصّت تلال انطاكية وآفاميا والرُها بالاديرة[٣] ، « فبات لكل دير أو لمجموع أديار مجموعة من الطقوس أُطلق عليها اسم تيبيكون . وبعد ان كانت اليونانية لغة الطقس في المدن ، انتشر الرهبان في الجبال والارياف يبشرون الوثنيين والقبائل العربية المتاخمة ويعمّمون ليتورجيا يعقوب أخي الربّ باللغة السريانية أو أحيانا باللغتين معا ، ولربما نقلت أيضا الى العربية »[٤] .

---

(٢) المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، **الكنيسة في عالم اليوم** ، العدد ٥٨/١ .

(٣) أسد رستم ، **كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى** ، الجزء الاول ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص ٤٠٩ .

(٤) بطرس الطياح ، « الرهبانية في سوريا في القرنَين الخامس والسادس وتأثيرها في الطقوس » ، **في المجلة الكهنوتية** ، العدد ٨٤/٥ ، ص ١٥٣ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وأتى المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، الناطق باسم الكنيسة في عالم اليوم ، وقرّر « الوفاق بين الثقافة والدين المسيحي »[٥] ، وَضِمْنا ، الوفاقَ بين الثقافة والليتورجيا المسيحية . هذا ما يُسمّيه قداسة البابا يوحنا بولس الثاني « عمليةَ زرع الايمان في الثقافة »[٦] .

هذه العملية تتمّ ، الى حدّ ما ، من خلال التثقيف العلمي والتأهيل الايماني والممارسة الليتورجية وغير الليتورجية .

* * *

برنامجنا لهذه السنة الجامعية ١٩٨٤ — ١٩٨٥ يتناول الاسرار . ونتعاون مع أصحاب الاختصاص من الكهنة والاساتذة العلمانيين . نحاول أن نشرح للجامعيين الفرقَ بين مفهوم الاسرار الوثنية والاسرار المسيحية ، بين الاعياد الوثنية والاعياد المسيحية ، بين عيد « الشمس » مثلا وميلاد « شمس العدل » (ملاخي ٣/٢٠) ، بين مراسيم الاحتفال الوثني والمفاهيم المسيحية الجديدة التي تُضَمِّنُها الكنيسةُ مراسيمَ احتفالاتها حتى تستقطب المؤمنين . نحاول أن نبيّن أن فضيلة الديانة تتجسّد في صلوات وتقادم وتضحيات وتعاليم . وهذا ما يُسمَّى بالطقوس والممارسات . وما الطقوس الاّ تحويل الحياة الطبيعية بجميع حركاتها الى وجود ديني .

بالطقوس الدينية عبّر البدائي عن ايمانه ، وبالطقوس والاسرار يُعبّر المسيحي عن ايمانه الحيّ الفعّال النامي . تلميذ المسيح يتقدّس في الاسرار[٧] ، وسائلِ اللقاء الكامل والحقيقيّ بالمسيح الفادي . فالأسرار تُحقّق اللقاءَ الشخصيَّ مع المسيح الاله . هذا اللقاء الشخصي هو

---

(٥) **الكنيسة في عالم اليوم** ، العدد ٦٢ .

(٦) Le terme d'inculturation «exprime fort bien l'une des composantes du grand mystère de l'incarnation» (JEAN-PAUL II). Aux évêques du Zaïre, il disait de même: «L'un des aspects de cette évangélisation est l'inculturation de l'Evangile» (3 mai, 1980). Plus récemment encore, il affirmait devant les intellectuels de Corée: «Nous avons, devant nous, un long et important processus d'inculturation pour que l'Evangile puisse pénétrer au fond de l'âme des cultures» (5 mai 1984). Le fondement doctrinal de l'inculturation est le mystère du Christ lui-même: son incarnation, sa vie, sa mort et sa résurrection.

(٧) **دستور عقائدي في الليتورجيا** ، العدد ٥٩ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أيضا جماعي ، لأَنَّ للأسرار طابَعاً جماعيا ، كما لكل عمل ليتورجي . فالاسرار هي أسرار كنسية : للكنيسة ، في الكنيسة ومع الكنيسة ، الجماعة المنظورة . وغاية العمل الرعوي الجامعي خلق جماعة جامعية محورها المسيح . فالاسرار تُقدّس الحياة الأرضية ، كما نعلم ونتعلّم ونعلّم . وهي يجب أن تقدّس الحياة الجامعية ، أو الأرضية الجامعية .

ثالثا : بعض القضايا الليتورجية الملحّة

الليتورجيا توحيدية ، والجامعة تعدّدية . الاولى تتناول نصوصا ثابتة إجمالا ، لا تتغيّر ، تتناقل من أجيال الى أجيال ، والثانية متبدّلة تكتشف كل يوم جديدا . الليتورجيا رهبانية عامّة ، كالليتورجيا المارونية ، ورعوية عمليا . البيئة الجامعية تتميّز عن البيئة الديرية وعن البيئة الرعوية في الصيغة ، فكيف العمل ؟

الليتورجيا ، بالعموم ، مجهولة . يجهلها الجامعيون ، يجهلون معنى كلمة « ليتورجيا » ، وكلمة « طقوس » . يجهلون ماهية الاسرار وعددها وكيفية الاشتراك فيها . يجهلون حقيقة القداس وأقسامه وطقوسه ورموزه وأهمية الاشتراك بالمناولة والفرق بينه وبين صلاة الخورس .

يعيش الجامعيون الزمن الطقسي وهم يمرّون في فصول طقسية دون أن يشعروا بها أو أن يدخلوا في روحانيتها . وذلك كمن يمرّ عليه فصل الشتاء دون أن يشعر به . وكلا الامران لا يُعقلان .

وكذلك القول بالنسبة الى الجناز أو صلاة الموتى ، فالجامعيون يأتون اليه مثل عامّة الناس ، لا يفهمون شيئا من ليتورجيته وصلواته وقلما يشترك البعض منهم في الجوقة ، إذا وُجدت .

في بداية سنة ١٩٨٤ — ١٩٨٥ ، ظهرت حاجّة ملحّة عند الشبيبة للصلاة . ولوحظ أن الشبيبة الجامعية تتحمّس كثيرا للدخول في حركات مسيحية متجرّدة ، مثل حركة التجديد بالروح القدس وغيرها ، حيث يجدون حياة صلاة (حياة ليتورجية خاصة) جذّابة ، أكثر بكثير مما يجدونه في الاحتفالات التقليدية ، في الرعايا ، حيث لا تتوفّر الاجواء الملائمة والمستويات الطقسية الجذّابة .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الجامعيون معاقون مسيحيا لأنهم معاقون ليتورجيا . وإنَّ في شخصيتهم المسيحية انفصاما . هناك علوم رياضية وطبيعية وانسانية على أعلى المستويات والاختصاصات ، وعلم ديني مسيحي بدائي بمستوى أول قربانة . الجامعيون لم يولدوا كذلك ، وليس الذنب ذنبهم ، ولا يستحقّون أية « بهدلة » في المواعظ وغيرها . المهمّ ان الإعاقة المسيحية في الجامعة هي واقع . ولا يجوز أن نكتفي بملاحظة ذلك . المسيح جاء لأجل « المعاقين » . فما هو موقف تلاميذ المسيح ورسله ؟

المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني يقول ، في مطلع الدستور الرعوي حول الكنيسة في عالم اليوم : « ان آمال البشر وأفراحهم ، في زمننا هذا ، ان أحزانهم وضيقاتهم ، ولا سيما الفقراء منهم والمعذّبين جميعا ، لهي أفراح تلاميذ المسيح وآمالهم ، هي أحزانهم وضيقاتهم »[٨] . هذه الآمال والآلام ، والأحزان والأفراح تحمل على الساحة البشرية وأيضا أمام مذبح الفادي . والجامعيون اليوم في لبنان من طغمة « الفقراء والمعذّبين » الذين يتحدّث عنهم المجمع ضمنا ، لاننا نحن تلاميذ الرب ورسله نحيا ونعمل ، وكأنَّ أمر الجامعيين لا يعنينا .

رابعا : بعض التوصيات الليتورجية — الجامعية

١ — الى الجامعيين

* ان حقَّكم كامل في التربية المسيحية ، خاصة من خلال التثقيف الليتورجي والحياة الليتورجية .
* يوما فيوما ، كَثِّفوا ثقافتكم الليتورجية وعزّزوا معرفتكم للقداس الالهي وللاسرار في ماضيها وحاضرها ، لتشتركوا فيها اشتراكا فعليا وواعيا وعميقا ، على مستوى يليق بكم كشباب جامعيين . تثقّفوا ولا تبقوا شحّاذين في هذا المضمار .
* وفي ظروف حياة وأنماط حياة وذهنيات وعلاقات وتبدّلات جذرية في العالم المعاصر ، وفي جوّ تيارات وتفاعلات مختلفة ، أدعو الشبيبة ، بإلحاح ، الى الاندماج المتواصل

(٨) **الكنيسة في عالم اليوم** ، العدد ١ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المتكامل في الرعية الاصلية القانونية ، « مع العيلة بكاملها في العبادة الطقسية للكنيسة »[٩] .

* ان الجامعيين الذين « يطمحون لان يمثّلوا دورهم في الحياة الاجتماعية والثقافية »[١٠] ، والروحية والرسولية ، « اذ يغذّيهم اشتراكهم النشيط في حياة جماعاتهم الليتورجية ، يهتمّون ، بصورة ايجابية ، بأعمالها الرسولية فيقودون الى الكنيسة أُناسا ربما كانوا بعيدين عنها ، ويشتركون ، بحرارة ، في نشر كلمة الله ، وخاصة بالتعليم المسيحي »[١١] . وَلِمَ لا يُصبحون هم معلّمي التعليم المسيحي ؟

* ومع الميل الفطري عند الشباب — الجامعيين الى كل ما هو جديد ، « مطلوبٌ منهم أن يقدّروا التقاليد الموروثة والجديرة بالثناء حقّ قدرها »[١٢] .

* وأن يحاولوا تفهّم النصوص والتراتيل والحركات الليتورجية في مختلف الطقوس والاسرار ، كالعماد والزواج والكهنوت والتوبة وغيرها أيضا من أشباه الاسرار ، لأن مظاهر وميادين نشاط حياة المسيحية هي في المواظبة على الليتورجيا الجماعية ، وهذا ما يُعطي ، في الوقت ذاته ، أهمية لحياة الفرد كعضو في جماعة المؤمنين .

٢ — الى المسؤولين مباشرة عن العناية الطقسية بالجامعيين

قال « الراعي الصالح » : « لي خراف ليست من هذه الحظيرة ، عليّ أن أذهب اليها وآتي بها لتدخل وتجد مرعى » .

لهذا ، يذكّر المجمعُ رعاة النفوس ، الاساقفة والكهنة ، بواجبهم الخطير الآّ يألوا جهدا في العمل ، وبالتركيز في العمل الطقسي ، الذي ، من خلاله ، يمكنهم أن يقوموا بمهمتهم التعليمية والتدبيرية والتقديسية ، كي يفيد جميع المؤمنين من التربية المسيحية ، التي توفّرها

---

(٩) **قرار في رسالة العلمانيين** ، العدد ١١/٤ .

(١٠) المرجع نفسه ، العدد ١٢/١ .

(١١) المرجع نفسه ، العدد ١٠ .

(١٢) المرجع نفسه ، العدد ١٢/٣ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ويجب أن توفّرها الليتورجيا . ومن الملحّ جدا أن يفيد من هذا الجامعيون الذين سيصبحون مسؤولين في قطاعات المجتمع والكنيسة ، خلال سنوات قليلة .

وانه لمن اختصاص الكهنة أن يعضدوا دعوة الجامعيين في حياتهم الشخصية والجامعية والاجتماعية « بمختلف الوسائل الرعوية ، بالتبشير بكلام الله ، وبالعبادة الطقسية أو بسائر المعونات الروحية »[١٣] .

تنبّه الكنيسة الرعاة الى أن يؤمّنوا مراكز تستقبل الشبيبة قرب الجامعات . ومن المفروض ضمنا ، أن تؤمّن في هذه المراكز الحياة الليتورجية .

وعلى الرهبان والراهبات أن يستقطبوا الجامعيين بواسطة حياتهم الليتورجية ويفتحوا لهم أبواب كنائسهم للمشاركة الفعّالة .

٣ — توصيات عامّة الى جميع المسيحيين

لأن الجامعيين هم مستقبل الوطن والكنيسة ،

ولأن الفترة الجامعية قصيرة (أربع سنوات) ويصبحون بعدها مسؤولين ، في مختلف القطاعات الاجتماعية ، العائلية والثقافية والاقتصادية والسياسية والروحية ،

ولأن للجامعيين ، أسوة بكل الفئات الكنسية ، الحق بتدبير المسيح الخلاصي الذي يصل الينا من خلال الليتورجيا بشكل خاص ،

ولأن المسيح يجب أن يرافق تلميذه الجامعي الى أي صرح جامعي ، والمسيح الحيّ يتجسّد فداؤه خاصة في الليتورجيا ، وبالأخصّ في القربان المقدس ،

ولأن الليتورجيا شأن حيّ للاحياء ، ومن يفيض بالحياة والحيوية أكثر من الشباب الجامعي ؟

وبما ان الكنيسة تحيط الجامعات بعنايتها[١٤] ،

---

(١٣) **الكنيسة في عالم اليوم** ، العدد ٢/٥٢ .

(١٤) **بيان في التربية المسيحية** ، الاعداد ١٠ — ١٢ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بناء على هذا وغيره من الدوافع ، تظهر بعض التوصيات الليتورجية ضرورية ، وعلى المدى القريب :

* ضرورة تأمين التثقيف الديني من خلال الخدمات الليتورجية لمختلف الفئات الجامعية : اداريين وأساتذة ، طلابا وموظّفين وخرّيجين .

* تعزيز الحياة الطقسية في الرعايا بتوزيعها على ساعات النهار ، فيسهل على الجميع اختيار الزمن والمكان المناسبَين . ولَم تسهل الاستفادة وتعمّ الفائدة بتكريس قاعة في الرعية وتجهيزها بالوسائل السمعية — البصرية تساعد على الخلوة والصلاة .

* برامج تنشئة وممارسة ليتورجية ، علمية ، تتوزّع على أربع سنوات .

* الاسراع الى زرع العقائد الايمانية والمبادئ الخلقية ، التي يمكن تأمينها من خلال الممارسات الليتورجية المتنوّعة ، والاّ جرفت الجامعيين تياراتٌ من كلّ صوب .

* وكما ان مختلف العلوم اللاهوتية يجب أن تصب أخيرا في الصلاة الخاصة والجماعية ، هكذا يجب أن نوفّر المجال رحباً لمختلف العلوم الجامعية فنطعّمها ونصهرها في الحياة الليتورجية ، في الرعية ، قانونية كانت أم جامعية .

* ضرورة استعمال لغة يفهمها المؤمنون الجامعيون جميعهم ويتداولونها ، فلا تبقى لغة الليتورجيا لغة عتيقة أو وقفا على أقليّة . أعني قبول الليتورجيا بتعابير جديدة تتوافق والمجالات الجامعية الفكرية . فهموم الجامعيين ودروسهم وكلماتهم وشؤونهم وتطلّعاتهم يجب أن تتعمّد وتدخل اطار ليتورجيا شعب الله الذين هم منه . فلا بأس بطقوس خاصة بالجامعيين ، انما يبقى اعتمادها ، رسميّا ، منوطا بالسلطات الكنسية الرسمية المختصّة ، كما ينص الدستورُ في الليتورجيا المقدسة .

* المطلوب حضور كهنة ورهبان ، في مختلف الأطر والكليات ومجالات الاختصاص الجامعية ، حضور رسولي ، روحي وليتورجي .

* واجب كل كاهن ، خاصة الكاهن الجامعي ، الدارس المتخرّج والاستاذ والاداري ، أن يكون ، الى جانب مهمته الجامعية الاختصاصية ، في خدمة الجامعيين على تنوّع الحاجات .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* إتقان الليتورجيا الجامعية لجعل الجامعة رعية حيّة ناشطة . هذا الاتقان يوقظ الدعوات الكهنوتية والرهبانية ، لان الليتورجيا روح الحياة الكهنوتية والرهبانية . وبالفعل ، لقد أعطت المخيمات الجامعية والويك اندات واللقاءات دعوات جيدة ، كما انها ساعدت الشباب الجامعي على عيش حياة مسيحية روحية راسخة .

* هويّة المسيحي الجامعي معرّضة للتشويه والتعطيل والجوفائية ، وأفضل وسيلة للحفاظ على أصالتها عندهم هي توفير المناسبات الليتورجية .

* الجامعيون هم أيضا مدعوون « الى وليمة عرس الحمل » ؛ هم لم يعتذروا عن تلبية الدعوة ، ولكنَّ الداعين اليها لم يوجّهوا الدعوة ، الى الآن ، حيث للجامعيين « شبه مسكن » ، في الجامعة . وهذا تقصير كبير ، قد يكون « بمعرفة أو بغير معرفة » . ولكنّ خطيئة الجهل هي « خطيئة » حسب نصوص الليتورجيا .

* الليتورجيا مدرسة للايمان . فهل يجوز أن يبقى الطالب الجامعي خارج هذه المدرسة ؟

خلاصة

المسؤولية والكنيسة « واحدة جامعة مقدسة رسولية » . قدّرنا الربّ على تحمّل المسؤولية . أنقذوا الطالب الجامعي تنقذوا الكنيسة !

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع العاشر

الليتورجيا والشبيبة المسيحية

الأخت باتريسيا عجان
و
الأخ مروان تابت

*

١٤ كانون الثاني ١٩٨٥

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

شهادة حياة

الأخت باتريسيا عجان

من مواليد حلب سنة ١٩٤٤ .
من جمعية راهبات القلبين الأقدسين . تحمل اجازة في الفلسفة من جامعة الروح القدس — الكسليك ، ودبلوماً رعائياً من مدرسة سيدة العطايا .
غيورة في رسالتها ، تحمل البشرى بقناعتها وتواضعها وتعيش نشيد المحبّة المجانية . اختارتها جمعيتها للتفرّغ والسهر على تأمين التعليم الديني في مدارس بيروت الرسمية .

المقدمة

طُلب اليّ أن اؤدّي شهادة عن خبرتي في تأمين الرياضة الروحية لطلاّب المدارس ، وعن دور الليتورجيا في ممارسة هذه الرياضات . لذا أعرض عليكم نشوء الفكرة ، وتحسّس الحاجيات ، وأسلوب تنفيذها في المكان والزمان .

نشأت فكرة الرياضات الروحية انطلاقاً من حاجة أساسية ، لمستُها في حياة الطلاّب . كان ذلك سنة ١٩٧٧ ، في عين الرمانة ، وكلّ يعلم ما كانت عليه حالة المدارس آنذاك : الاساتذة يُضْرَبُون ويُهانون ، والطلاّب ، بالرغم من نضارة سنّهم ، كانوا كأنهم شيوخ مُسنّون جالسون وراء المتاريس لا أمام طاولات الدراسة .

أول سيارة دخلت عين الرمانة بعد دخول الـ : SKS هي سيارتي الحقيرة التي طغت على حيوية الشباب . وقد تبيّن لي ، بعد تعرّفي اليهم ، أنَّ المشكلةَ مشكلةٌ ضميرية ، مشكلة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مسامحة الغير والشكّ بامكانية الغفران ، وطلبه من الله ؛ وأنَّ في هذا الحاجز الاساسي ، كان يكمن عدم التفاهم وامكانية التعايش معه .

ضيق الوقت : في سنّي الحرب ، لم يتجاوز الوقت المقرّر للتعليم الديني ١٥ ساعة . ولمّا طلبتُ مساعدة الاحزاب ، كان الجواب : « إننّا لا نستطيع ان نفرض أكثَر لحاجتنا الى الطلاب » .

عندئذ ، قرّرتُ الخروج عن الحياة العادية اليومية والقيام بتجربة جديدة في الحياة : في جو مسيحيّ حارّ وهادىء . ومن هذه التجربة ، وُلدت الرياضة الروحية للطلاب . فكان عليّ ايجاد المكان المناسب ، والوقت المناسب ، والكاهن المساعد ، والمال الضروريّ لتأمين النفقات .

وبعد عرض الأمر على السلطات الكنسية المختصّة رأيت تجاوباً وحصلت على الضوء الأخضر من قبل أصحاب السيادة الاساقفة ، فعملتُ على تأمين المكان والطعام ، وأخذت على ذاتي مسؤولية هذا النوع من الرسالة الروحية .

أولاً : في أيّ جو لاهوتيّ حاولنا أن نحيا الرياضة ؟

بعد خبرة ١٣ سنة في التعليم المسيحي عامة وفي المدارس الرسمية خاصّة ، لمستُ ان كلّ اهتمام المسيحيين يقتصر على حضور القداس ؛ واهتمام الاساتذة ينحصر في تحضير حفلة أول قربانة للأطفال . كما تبيّن لي ، من خلال هذه الحقيقة الواقعية ، جهل مخيف للحقيقة المسيحية بكاملها . ولقد طال هذا الجهل ثلاث حقائق رئيسية :

١ — جهل حقيقة الله كثالوث ؛

٢ — جهل حقيقة الايمان المبنّي على القيامة ؛

٣ — جهل حقيقة الليتورجيا ودورها الهام في نمو الحياة المسيحية .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

١) جهل حقيقة الله كثالوث

أليست الحياة المسيحية هي العلاقة بالله ؟ وأساس هذه العلاقة ، أليس هو العلاقة الثالوثية ؟ مع الآب والأبن والروح القدس ، الآب الذي أرسل ابنه ليُعلّمنا كيف نعيش حقيقتنا كابناء الله .

مع المسيح الأبن ، السرّ الأعظم الذي يكشف لنا الآب ، فالآب يعطينا دائماً الحياة ، والابنُ هو الذي يعيد الينا الحياة بموته وقيامته ، بعد أن خسرناها بالخطيئة ؟

وبدون هذا الاقتناع ، يبقى اللهُ بعيداً جدّاً عنّا ، وبينه وبيننا هوّة عميقة . وغالبا ما نظنّ انه صاحب « سوبر ماركت » ، لديه كلّ أنواع العطايا والنعم ، او نظنّ ان الصلاة تلفون ، بواسطته نطلب ما نبتغي ؛ وعندما لا نحصل على طلباتنا ، نحرد على الله ونتمرّد .

والروح القدس هو الذي يكشف لنا سرّ المسيح ويحققّه فينا ويبني شركتنا مع الله والناس . وهو الذي يوضح لنا ، بأنواره ، انّه ، اذا كان الآب معطي الحياة وأنا الخاطىء ، فضّلت الموتَ على الحياة . فالوعد بالمخلص والخلاص تحقّق بانتصار المسيح النهائي على الموت بقيامته . والروح القدس يعلّمنا ايضاً أنَّ سرّ المحبة في الحياة الثالوثية هي هي التي نعيشها في الكنيسة مع بعضنا البعض وفي علاقتنا بالله .

٢) الشهادة للقيامة

* **اذن ، ما هي حقيقتي كمسيحي ؟ او بالأحرى ، ما هو دوري كمسيحي حقيق ؟**

إنّ القدّيس بطرس عرفّنا الى هذا الدور او هذه المهمة في أول عظة وجهّها الى الشعب اليهودي بعد العنصرة ، كشاهد لقيامة المسيح : « يسوع هذا أقامه الله ، ونحن كلّنا شهود بذلك » (أعمال الرسل ٢/٣٢) .

* **كيف أعيش هذه الشهادة ؟ وماذا تعني كلمة « شاهد » ؟**

الشاهد هو الذي رأى واختبر حقيقة المسيح في حياته وامتلأ منها لينشرها من خلال حياته اليومية : « الذي رأيناه بعيوننا وسمعناه باذنينا ولمسته أيدينا من كلمة الحياة ، به نبشّر ... » (١ يوحنا ١/٢ — ٣) .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الشهود هم الذين تكلّموا عمّا رأوا ، الذين امتلأوا من المسيح ليتمكّنوا من أن يتكلّموا بفيض قلبهم ، وإلاّ أصبحوا شهود زور . الشهداء هم الذين يفضّلون الموت على التخلّي عن هذه الحقيقة التي ملأت وجودهم بالتضحية ، بسعادة مباشرة ، والتعلّق بالأهم ، الا وهو الحياة مع المسيح .

* **كيف تعيش هذه الحقيقة ؟**

يُجيب القديس بطرس : بالتوبة ، بالرجوع الى الله والتغيير في العقلية ، في القيم والمراجع . وهكذا تتغيّر التصرّفات ، فننال موهبة الروح القدس ، ونعيشها يومياً في ممارسة الاسرار ، والاحتفال بذبيحة القداس والعيش بروح التطويبات الانجيلية .

٣) معنى الليتورجيا

إذاً ، ما معنى الليتورجيا ؟ وما دورها في حياتنا المسيحية ؟

بما أنّ سرّ محبة الله للبشر يصل الينا ويتواصل بالأسرار التي أسسها المسيح لتكون القناة التي تجري فيها هذه الحياة ، وهذه الحياة الاسرارية تكوّن الليتورجيا المنبع والمحور ، منها ننهل الشركة بحياة الآب ، لنعود نحن نحياها وننشرها من خلال أعمالنا اليومية ، فتعود وتتلخّص وتتجمّع مجدداً في ذبيحة القداس ، فنقدّمها لله ليطّهرها وُيقدّسها ،

كيف يتمّ هذا التبادل الديناميكي بين فعاليّة الأسرار وحياتنا ؟

بما أن السرّ هو ، بحدّ ذاته ، علامة حسّية لاعطاء او لزيادة النعمة فينا ، فلا بد ، اذاً ، من أن تكون العلاماتُ والرموز الليتورجية شفّافة ، بسيطة ، ليتّم مرور النور من خلالها ، فتنيرنا وتحيي الإيمان فينا ، فيتحقق فينا هذا السرّ . وهكذا يتمّ اللقاء بين الله والانسان ، بين الله المُعطي الحياة وبين الانسان الذي يقبلها . لقاء بين حريّتين : حرية الانسان الذي يؤمن ، وحرية الروح الذي يعمل في الاسرار ويكشف لنا المسيح . لكن ، للأسف ، غالباً ما غطّى هذه الرموز وهذه الفاعليات غشاءٌ أو هالة من الغموض والكثافة التي تُرافق الاحتفالَ بالليتورجيا ، فتمنع الانسان الدخول في السرّ الذي يحتفل به . فعلى الطقوس أن تعود الى طبيعتها لتكون على مستوى الجميع وتعبّر عن الحقيقة التي تمّر فيها وبواسطتها ، وأن تكون فعّالة . لهذا ، يرافق العمل الليتورجي «كلمة الله» التي تكشف الرمز وتعطيه معناه

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وتوصل الايمان الى الانسان . وحينئذ ، لا يمكن اتّباع التيار القائل : « أنا اؤمن بدون ان أمارس » . فالايمان ، ما دمتُ أحتفل به ، لا يفقد حقيقته التي هي : إحياء حدث موت المسيح وقيامته ، ومجيء الملكوت ؛ والا انقلب الى عمل سحريّ فارغ لا فائدة منه .

فالاحتفال بالليتورجيا هو المشاركة في الليتورجيا السماوية . ولذلك نذكر فيها الملائكة والقدّيسين ، الاحياء والاموات ، وكلّ البلاط السماوي . واحتفالنا بالليتورجيا هو بمثابة علامة لوحدة الكنيسة في جسد المسيح السريّ . وبدون هذا الاحتفال الحسّي ، يتدنّى ايماننا الى الايمان بآله ، أو قوّة تدير العالم ، وينفصل الرجاء عن مرساته ، وتقتصر المحبة على العطف على البشر ، او الاحسان اليهم ، وتصبح المحبة محض انسانية وتتحوّل الكنيسة الى جسد اجتماعي ، مع بعض بقايا ومظاهر رسوبية للمسيح .

أكرّر : أن كلمة الله لا تتّضح ، والمشاركة في المحبة المثالية تبقى متعذرة ، وعمل المسيح لا يغيّرنا الا عن طريق إحياء الليتورجيا ، وبمشاركتنا الفّعالة فيها . وهكذا نبني جسد الرب .

ثانياً : أجواء الرياضة الروحية

أحسنُ جو للتعمّق في ما سبق من حقائق ، هو الهدوء والصمت ، البعد عن الخوف والذعر ، الحصول على الراحة (ساعتين من النوم في بدء الرياضة)، النتائج التي لمستها من هذه الرياضات :

* لقد كان الاقتناع فعّالاً بقدر ما كان الجو ملائماً والليتورجيا مهيأة .

* اقتصرت الرياضات في البدء على شرح معنى الخطيئة ومفهومية التوبة والاعتراف ، ثم شرح القداس الالهي .

* انطباعات الطلاب : « ما كنا نعيش لأننا نجهل » ؛ العدد الأكبر لم يكن مارس الدين منذ المناولة الأولى .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* رغبة وتمنّي : كمشاركة أكبر في التعليم الديني ، لأنه حسب قول الطلاّب ، غيّر مجرى حياتهم .

اذا لم تكن الليتورجيا شفّافة في حياتهم ، خلقت هوّة في هذه الحياة .

أليست هي المعلّمة الأولى والمدرسة الناجحة للحقيقة المسيحية في بدء الكنيسة ؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أيّة ليتورجيا لحركات الشبيبة المسيحية ؟

الأخ مروان تابت

من مواليد قتالة سنة ١٩٦١ .
من جمعية المرسلين اللبنانيين أو الرهبنة الكريمية . هو طالب في السنة الرابعة في كلية اللاهوت الحبرية في الكسليك ، مندوب الطلاب في مجلس الكلية ، ومندوب أيضاً في لجنة معاهد اللاهوت للوحدة المسكونية . اشترك في عدّة مؤتمرات للشبيبة في لبنان وخارجه ، وهو مرشد في الحركة الرسولية .

نحن هنا لنتحدّث ببساطة الرفاق والزملاء الخائفين على المصير والباحثين عن المستقبل الأفضل ولأطلعكم على اختبار أعيشه وربما عشتموه او تعيشونه بطريقة أخرى ، أو قد تعيشونه .

عندما قرأتُ عنوان المحاضرة ، أخذتني الحيرة للوهلة الأولى ، لانه :

بالعربية : السؤال المطروح علينا هو : أية ليتورجيا لحركات الشبيبة المسيحية ؟

أما بالفرنسية ، فهناك جملة اسمية La Liturgie des mouvements des jeunes وكأن تراثنا مليء بالرتب الليتورجية المعدّة للشبيبة ، وما عليَّ الا أن اتحدّث عنها .

أمام هذه « المعضلة الايجابية » ، آثرت أن لا أترك ايًّا من هذه المعطيات تضيع ، وحاولت أن أعالج الموضوع وفق التصميم التالي :

١ — عرض للمشكلة يكون بمثابة جواب مبدئي للسؤال .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢ — ليتورجيتهم وليتورجيتنا .

٣ — بعض الاقتراحات .

٤ — خاتمة .

١ — عرض المشكلة : ما هي شبيبتنا اليوم ؟

قد تكمن المشكلة في النهج التربوي المتبع في مدارسنا وكنائسنا .

وقد تكمن ايضاً في ضعف الثقافة الروحية العائلية الناتجة عن اهمال أكيد .

وفي كلا الحالتين ، ليس من مسؤوليتي تحديد مصدرها .

في هذه الحالة ، أرى من الأفضل الذهاب مباشرة الى حياة الشبيبة ، عارضاً أهمّ الأمور التي يجب ان نتنبّه لها :

أحبُ أولاً أن أبعد مصدر إشكال : وهو الاعتقاد بأن عمر المراهقة والطفولة هما فقط في حالة تبدّل وتغيّر . ففي هذا الموقف ، يتشابه الأهل والمربّون . ومن المؤسف ان هذه الحالة لا تطابق فقط الواقع ، بل تؤلّف أحدَ العوائق في طريق التجديد العميق . حتى في الكنيسة الكاثوليكية ، ظهر التجديد وكأنه يلحق فقط العالم البعيد ، أو مجال نشاطاتنا ، والايمانُ يضع المسيحيين خارج تأثير هذه التفاعلات ، ويضعنا في منطقة يصبح فيها العمل خطيراً في أخذ مبادرة للتغيير الخارجي .

الانسان يتغيّر ويتأثّر بمحيطه الذي يساهم هو نفسه في تغييره ، فتنشأ بينهما **جدلية** تتألفّ من ثلاث محطّات :

أ — وقت يعمل خلاله الانسان على تغيير المحيط الذي يعيش فيه .

ب — مرحلة تصبح فيها المخلوقات وابتكارات الانسان مستقلّة .

ج — مرحلة ثالثة تؤثّر خلالها هذه المبتكرات — وقد أصبحت مستقلّة — على طبيعة هذا الانسان .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فجميع المقوّمات تسمح اليوم بالتفكير أنّ مجتمعنا يجتاز المرحلة الثالثة ، ممّا دفع الأب Babin الى القول : « ماذا يتغيّر ؟ بناء المدن ، تصميم البيوت ، طريقة البناء ؟ نعم ، بالتأكيد . لكن ، قبل كلّ هذه ، الانسان هو الذي يتغيّر ، لا بل هناك انسانٌ جديد يولد » .

ان توجيه أنظارنا فقط الى « صعوبات الشبيبة » قد يكون **هرباً من الواقع** . فالحقيقة هي أننا جميعنا : رجالاً ونساء ، أساتذة وتلامذة ، كهنة ورهبانا وراهبات وعلمانيين ، مغموسون في « واقع نهرب منه » écho-système . وهذا الواقع هو أننا موجودون تحت نتائج تأثيرات التغييرات الحالية . فالمطلوب هو تثقيف ذواتنا روحياً قبل أن ننطلق للتعليم الديني وتثقيف الشبيبة .

ولهذا ، فان الاجيال الطالعة هي « علبة صدى » حيث يتماوج ، بشكل ظاهر ، ما نعاني منه بشكل خفيّ . هذا لا يعني أنّ الشبيبة ليس لها مشاكلها ، بل في مجمل التغييرات ، مشاكلها تضمحلّ أمام مشاكل مجموعة البشرية كلّها .

ولعلّ أهم ما يميّز عصرنا ويجعل التغييرات التي تناله هزيلةً بالنسبة الى تغييرات الأجيال الاخيرة ، هو واقع انتقال الانسان من حالة امتلاك مدلول « الفترة الوقتية » . conscience de la durée الى حالة امتلاك مدلول « الهنيهات » conscience de l'instant.

هذا الواقع جعل الشباب يتأثر بمعطيات الآلات لا بمعطيات النضوج البشري (لم نعد نفهم النمو على مثال نمو الشجرة ، أو أن المرأة تحتاج الى تسعة أشهر لتضع طفلاً) . من هنا واجب فهم شبيبة اليوم ، وما نسميّه « طيشاً » هو لديهم عيش عادي لواقع حياتهم .

وهذا مردّه الى أربعة أمور :

* طول الحياة (من معدّل ثلاثين سنة الى سبعين سنة) ، مما يدفع الى عدم الخوف من الموت والى تأجيل الامور الروحية .

* سرعة التغيير ، وقد أصبح مألوفاً أمام أنظار شبابنا الذين يشهدونه كل يوم (السيارات ، الآلات ، الاختراعات) .

* التلفزيون الذي ينقل الحدث الى الشاشة مباشرة .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* الكمبيوتر الذي يختزل الوقت .

نتائج هذه العوامل : هذه العوامل تؤدي الى أربع نتائج :

النتيجة الأولى

شباب اليوم يعيشون الحاضر فحسب ، متغافلين عن أبعاد الماضي والمستقبل ، مما شكل تقلقلا وضعفا في التراث وفي ادراك البعد التاريخي للأحداث ، وأصبح هؤلاء الشباب غرباء في أرضهم .

هذا ما حدا بالبعض الى التساؤل حول امكانية بناء حضارة أو ثقافة ؟ جوابي الى هؤلاء : علينا أن ننفذ الى دخيلة هؤلاء الشباب من خلال رؤيتهم ، ونخرج على ضوء رؤيتنا . ان ما اعتبرناه خطأ في حياتهم وحاولنا تحقيقه بالقوة ، قد نحصل عليه تدريجياً بالتثقيف . فضلاً عن أن هؤلاء الشباب قد يستطيعون اكتشاف الله ، ليس من خلال ما نقدّمه لهم فحسب ، بل من خلال معطيات أخرى يملكونها . اليكم مثالا على ذلك : كان زمن اعتقد فيه المسيحيون أن ايمانهم لا ينمو الا في عالم يحكمه ملك أو امبراطور ، أو في عالم البابا ... وفي سبيل هذه العقيدة ضحّوا واستشهدوا . أما اليوم فقد زال هذا الاعتقاد .

وأخيراً يبقى هذا السؤال : من يؤكد لنا أن ما نتمسّك به من قيم ونعتبره مثالاً هو الذي يؤلف مقومات الايمان المسيحي الحقيقي ؟

النتيجة الثانية

عدم استقرار المجتمع : الكنيسة نفسها اليوم غير مستقرّة ، فكيف تكون ، اذاً ، حال الشبيبة ؟

اذا كانت المراهقة هي الفترة التي تحضّر مرحلة الرشد ، فان مجتمع اليوم يجعلها باهتة : اذ نستطيع أن نقول انه لم يعد هناك مراهقون . ولعلّ سبب افتقاد المراهقين ، هوكون المجتمع بأجمعه أصبح مراهقاً . فنحن نشاطر اليوم شبيبتنا جميع مشاكلها الحياتية وشكوكها . مثلاً : العدالة ، السؤال عن الله ، مستقبل العالم ، الخ ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

النتيجة الثالثة

هرب الشباب من العمل (كما كان في القرن التاسع عشر) واندفاعهم في التفتيش عن السعادة الآنية .

العمل : مدلوله فترة طويلة .

هنا نفهم ضجر الأولاد من المدرسة ، ذاك ان نتيجتها مستقبلية ، تأتي بعد زمن طويل .

النتيجة الرابعة

عدم الاخلاص والالتزام بعمل ما . فالانتقال المتناغم من الماضي الى الحاضر يتمّ بواسطة الامانة ، وهذه هي احدى أهمّ القيم المطروحة للجدل اليوم .

مع عرض هذه المعطيات والمشاكل ، قد نستطيع أن ننطلق في تحديد مقوّمات لحياة ونصوص ليتورجية ينسجم معها شبان اليوم ، والا سنبقى بعيدين عمّا ننشد .

٢ — ليتورجيتهم وليتورجيّتنا

اليك ما حدث خلال الصيف الماضي وفي أحد محيّمات التنشئة لمسؤولي فرق الشبيبة في الحركة الرسولية :

آثرتُ مع بعض المسؤولين (بحكم مسؤوليتي الليتورجيّة والاداريّة في المخيّم) القيامَ باختبار وهو ادخال صلاة الفرض الليتورجية بالاضافة الى القداس ضمن النظام اليومي . فكنّا نصلّي في كتاب الشحيمة صلاة الصبح والمساء كاملة مع الالحان (الترجمة العربية) . في بادىء الأمر ، كانت حالة من الاشمئزاز ومحاولة الهرب ؛ ولكن بعد أن شرحنا لهم أهميّة هذا الاحتفال ومعناه ، قبلوه على مضض ، ولم يلبثوا أن رغبوا به واحبّوه .

بعد العودة من المخيّم ، أكملنا المسيرة وأخذنا نجتمع في الأحد الثالث من كلّ شهر للقيام بعمل ليتورجي او شبه ليتورجي ، ونستنتج أنّه محبّذ .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مبرّرات هذا الاقبال

سؤال : ما هي حاجات اجيال فقدت معنى الابعاد والحدود ، بعد أن غرقت في الاهتمامات الآنية ؟

انهم لا يستطيعون ان يرتكزوا على أي نظام ، على أي مرجع ، على أي تأكيد ، بل يكشفون حاجاتهم للاجتماع بالآخرين ، وليحصلوا ، ولو لوقت قصير ، على نقاط ارتكاز . من هنا مبرّر الجماعات والتجمّعات للشبان .

فالجماعة المصليّة لا تقدر الا ان تكون وقتية ، ولكنّ الشباب يجد فيها مكانا للراحة قبل الانطلاق نحو اكتشافات واختبارات جديدة . ومن هنا يجب ان نستفيد من هذه المعطيات لتثقيف شبيبتنا ووضع برنامج ليتورجي واضح لها ؛ لأنه ، في مثل هذه الأوقات ، يكونون في أحسن موقع ، يستطيعون ان يستوعبوا فيه ما نقول ويجدّدوا حياتهم ، ونستطيع ان نقول ما نريد . ان هذا لأفضل من ان تكون الليتورجيا طعما في المؤسسات المدرسية والثقافية التي ، بطبيعتها ، لا تحمل ابعاد اللقاء .

* ليتورجيا الشبيبة حركة ، بينما ليتورجيتنا جمود لانها لا تُفهم .

* ليتورجيا الشبيبة رموز ، بينما ليتورجيتنا رموز مبهمة .

* ليتورجيا الشبيبة كلمات صادرة عن اختباراتهم .

* ليتورجيا الشبيبة علاقة مع اله قريب من اختباراتهم ، لأنهم يرفضون الها بعيداً عن اختباراتهم . هنا لا أتطرّق الى ذكر ما يحدث في الدفن والعماد والزواج والتثبيت ، وحتى القداس احياناً ؛ انه الفولكلور بطقوس دينية .

٣ — بعض الاقتراحات

* اقترح على السلطات انشاء دائرة للشبيبة تساهم في وضع برنامج تنشئة عام يكون بمثابة اعادة تأهيل (من خلال مخيمات صيفية او غير ذلك) .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* أطلب من الجمعيات الرهبانية والنسائية فرز كهنة وراهبات للتخصص في حقل : « رعائيات الشبيبة » كي يكونوا في المستقبل الى جانب شبيبتنا .

* اقترح انشاء نشرة دورية مخصّصة للبحوث ، يُعنى بها معهد الليتورجيا ، وتتألفّ من لاهوتيين وليتورجيين ، علماء نفس واجتماع ، وتعمل على خلق نهج جديد تربوي وليتورجي .

٤ ــ خاتمة

أمام ما يطالعنا كل مساء من مشاهد الجائعين في بنغلادش ، والعطشى في أفريقيا وضحايا الارهاب على أرضنا ، لا بدّ من ان نتأثر فنتساءل : ماذا باستطاعتنا أن نفعل ؟

لفتة حولنا وندرك ان جميع القوى لها من المقدرة أكثر من التي يملكها اي فرد منّا لتلبية متطلّبات هذه الوقائع .

على هذا ، من غير الجائز لنا ان نقبع في « اللامبالاة » ، كما ان المطلوب من المسؤولين التحرّك ، ومن القادرين العمل .

ولا بد في النهاية من هذا النداء الحار الملّح : « أنقذوا الشباب ، وأعيدوهم الى حضن الكنيسة » .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع الحادي عشر

الاحتفال الليتورجي بالمناولة الأولى

الأب حنّون اندراوس
و
السيدة ألسن حريقة ــ الزغبي

*

٢١ كانون الثاني ١٩٨٥

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ليتورجيا المناولة الاولى

الأب حنّون اندراوس

من مواليد محمرش سنة ١٩٤٩ . ارتسم كاهناً سنة ١٩٧٥ . من جمعية المرسلين اللبنانيين أو الرهبنة الكريمية . درس الفلسفة واللاهوت في جامعة فريبورغ السويسرية من سنة ١٩٦٩ حتى سنة ١٩٨٠ ونال اجازة في هذا الحقل . تابع دراسات موسيقية في كونسرفاتوار فريبورغ ونال شهادة في التعليم الموسيقي وخصوصاً في ادارة الجوقات . يعدّ اطروحة دكتورا حول التربية الدينية في المدارس .
هو ، حالياً ، بالاضافة الى نشاطاته الموسيقية والتعليمية ، مسؤول عن مركز الرسالات ، ومدير اذاعة « صوت المحبة » .

في كل احتفال للمناولة الاولى ، عيد وفرحة ولقاء .
هو عيد اللقاء مع الله .
هو عيد اللقاء مع الاخوة حول مائدة الرب .
هو عيد الدخول في شركة روحية .
ولكي يُعاش جو العيد واللقاء كما يجب ، لا بدّ من بعض المقوّمات الاساسية .
يقال بأن الوليمة لا تعاش الاّ اذا توفّرت فيها الشروط الآتية :
أن نحبّ مَن يدعونا فنشتاق للقائه ؛
وأن يكون حضور الآخرين ذا معنى بالنسبة الينا .

وفي كل احتفال من هذا النوع ، لا بدّ من أن تبقى ، نصب عيوننا ، أهدافُه الرئيسية التي ، لولاها ، لما تمّ الاحتفال أو لما كان من الضروري أن يكون :

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هناك المسيح ،
هناك الأشخاص ،
وهناك الرموز .

١ — المسيح

الحضور الفعلي : أي حضور فعّال بقدر ما نقبله .
* لا يتعّلق حضوره بايماننا ، بل هو حضور قائم بذاته .
* حضور لا للإكرام بالدرجة الاولى ، بل لنحيا فلا نموت ، أي للمشاركة في الحياة .
* حضور يتحوّل فيه الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه ، فيحوّل الحاضرين الى جماعة المسيح .
(بعض الامثلة والتشابيه : الهدية ، العلم ، الصورة ...)
* المسيح يصنع عهد محبّة وصداقة معنا .

نصبح هياكل للمسيح .
المسيح الحاضر يبدّل كلّ تصرفاتي في بيته : زيارة القربان .
الجوع والعطش في حياة الانسان .
الدم ودوره في الحياة : أن أُعطي دما لكي يحيا آخر ...

٢ — الأشخاص

الكاهن — الاطفال — العائلة — أبناء المدرسة أو الرعية .

أ — علاقة الكاهن بالاطفال :
* لا يُعقل أن يحتفل الكاهن بالمناولة الاولى ، وهو لا يعرف الاطفال ، كما ان الاطفال لا يعرفونه .
* ضرورة التحضير والمتابعة : تحضير مسبق وتحضير مباشر .
* صلواته في الاحتفال : تجديد وتقليد . انه بدء لسلسلة الاحتفالات رعائية .
* انه يمثّل المسيح بين الاولاد ، ومن ثمَّ يُعطي المسيح : إذاً ، الصورة التي يتركها في قلب الاطفال تدمج شخصيته بشخصية المسيح .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ب — الاطفال : هم محور العيد ، طبعا بعد المسيح . فالاهتمام الاول للاحتفال يقوم بتهيئة الاجواء لكي يعيشوا هذا العيد .

* سرّ المصالحة والسلام : رتبة السلام .
* سرّ المشاركة : التناول .

وبعد ذلك ، يأتي الاهتمام بالثوب الابيض ، أي المظهر الخارجي .

ج — الاهل : فرحة في العائلة ولكل أبناء العائلة . لذلك :

* ضرورة المصالحة باطنا وظاهرا .
* ضرورة المشاركة بالقربان .
* ضرورة الحضور والاهتمام .

د — المسؤولون مباشرة عن التحضير الروحي : معلّمات أو راهبات في المدرسة أو في الرعية . عيش الاحتفال روحيا مع الاطفال . مَن كان غير مقتنع ، فالافضل الا يدرب غيره من الخارج فقط . الولد يعتقد أنّ يسوع يكلمه بواسطة المعلّمين . جوّ المحبة الصادقة ، الصبورة ، العطوفة .

هـ — الحاضرون من أبناء المدرسة أو أبناء الرعية .

وهنا يطرح السؤال :

* ما علاقة الرعية — كرعية — باحتفال المناولة الاولى ؟
* ما علاقة المدرسة — كمدرسة — باحتفال المناولة الاولى ؟

وهل هناك تكامل ؟

مهما يكن ، فالجماعة الرعائية من حقّها أن تعرف ، ومن الضروري أن تساهم في تحضير الاطفال للاحتفال ، وربما في تنظيم لقاءات للافواج بعد سنة أو سنين . سابقاً ، كانوا يحتفلون بالوعد في الخامسة عشرة من العمر ، والآن ؟ وبعد عرض الاشخاص المشاركين في الاحتفال ، نتوقّف عند النقاط الآتية : ليتورجيّا ، ما دور كل واحد ؟

٣ — الرموز

وحين نقول ليتورجيا نعني مشاركة الحواس كلّها في الاحتفال ، مشاركة الجسد بكامله .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وهل تستطيع كل الحواس المشاركة ؟

نظر وسمع : تنظيم وترتيب وتراتيل وقراءات وصلوات ...
الشمّ : زهور ، بخور ...
الذوق : التناول : خبز وخمر = جسد المسيح ودمه .
اللمس : السلام .
الحركة : كلّ الجسم ، التطواف ، رفع اليدين ، القرابين .
الكلمة : مشاركة في التراتيل والصلاة ، والنيّات .
الصمت : ضروري حتى في أكبر الاحتفالات .

الخلاصة : ملاحظة أخيرة

كلّ موقف في وقته مقبول ، ولكن في غير وقته يُفقد الاحتفال عمقاً وغنى . كل هذه النواحي ضرورية للتعبير عن حقيقة ما نعيش ، واذا عشنا هذه الحقيقة مع الآخرين ، فهذا يُساعدنا ويساعدهم . ولكن ، اذا كانت هناك حركات وتحرّكات كثيرة دون معنى ، فما الفائدة ؟ لذا ، لا بدّ من أن يكون الاطفال قد تعرّفوا الى الرموز والى الاواني المقدسة . (أسماء الاواني وطريقة استعمالها ، شرح الكلمات الضرورية حتى السريانية أو اليونانية ... تفسير وتعليل كلّ عمل أو حركة ، وإلا يتحوّل كلّ الاحتفال الى مهرجان أو تمثيلية ...) .

المهمّ أنّ قربانا مقبولا بكل وعي واهلية ، يحوّل الحياة الى ليتورجيا دائمة .
ومن قَبِلَ جسد الرب ودمه صار مسؤولا عنه ، وصار رسولا .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأطر الليتورجية للمناولة الاولى

السيدة إلسن حريقة — الزغبي

من مواليد وادي العرايش سنة ١٩٥٢ .
تقوم بنشاط رسولي مميّز اذ تهتم بالتعليم الديني في الصفوف الابتدائية والتكميلية في مدرسة اخوة المدارس المسيحية — الجميزة ، وتشارك في نشاطات رعية مار الياس انطلياس للرهبان الانطونيين ، وهذه السنة تعطي بعض امثولات حول الليتورجيا والأطفال في حركة النهضة المسيحية — طريق المحبة .
استعدّت لهذا النشاط الرسولي بمتابعة دروس دينية في مدرسة سيدة العطايا حيث نالت منها ديبلوماً ، وتابعت الاختصاص الليتورجي في معهد الليتورجيا في الكسليك حيث نالت الاجازة في الليتورجيا سنة ١٩٨٤ .

مقدّمة

عندما اطّلعنا على سلسلة المحاضرات الليتورجية التي نظّمتها ادارة معهد الليتورجيا في جامعة الروح القدس — الكسليك ، استبشرنا خيرا ، اذ اننا تحسّسنا انفتاحا ليتورجيا لا بدّ من ان يطمح الى الاصلاح .

ان موضوع « القربانة الاولى » يحمل ابعادا لاهوتية واسعة : نذكر مثلا : لاهوت الافخارستيا ، ولاهوت التوبة . ويحمل أيضا ابعاداً تربوية ، من حيث اننا على علاقة مباشرة بالاطفال . ولكنني لن أعالج الموضوع من الناحية اللاهوتية ولا من الناحية التربوية . سأحاول تقييم احتفال القربانة الاولى والنظر في ممارسته ، اذا ما كان أصيلا أم دخيلا ، اذا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كان ما يزال يتجاوب مع تراثنا الليتورجي الشرقي أم أصبح فولكلورا ، اذا كان هذا الاحتفال حياة وحقيقة أم أصبح عملاً روتينياً سطحياً .

أولاً : لمحة تاريخية

* يقول القديس يوستينوس الشهيد : « ان المسيحيين المُعمَّدين وحدهم يستطيعون المشاركة بالاسرار المقدسة » .
* في قسم كبير من الكنيسة ، كانت المناولة تعطى للطفل مباشرة بعد عماده ، وما زالت بعض الكنائس الشرقية ، تمارس هذا التقليد .
* كتاب « عهد الرب » (مخطوط من سنة ٦٨٧ . اكتشفه البطريرك اغناطيوس الرحماني سنة ١٨٩٩ ، ونقله الى اللغة العربية الاب يوحنا تابت ، سنة ١٩٧٥) يذكر ، في القسم الثاني : عن العماد ، ما يلي : « لا يجلب المُعَدُّون للعماد معهم شيئا سوى خبزة واحدة للافخارستيا ... ويأتون الى المياه ، الاطفال أولا ، ثم الرجال ، ثم النساء ... وتتمّ حفلة العماد ... وبعد ذلك ، الافخارستيا : يقرِّب الشماس القربان ... ويتناولون من الافخارستيا التي تُقرَّب » .
* في الكنيسة اللاتينية ، توقفت مناولة المعمّدين الاطفال حوالي القرن الثالث عشر : « انه ممنوع قطعا ، في الكنيسة اللاتينية ، مناولة الاطفال قبل بلوغ سنّ التمييز ، أي قبل معرفة وتذوق الافخارستيا » (كتاب الرتب عدد ١١) .

ولكن ما هو سنّ التمييز هنا ؟

يجيب القديس توما بقوله : « عندما يبدأ الولد يشعر بعبادة للقربان ، ويعرف أن يُميِّز الخبز الطبيعي من خبز القربان » .

* في بلجيكا وفرنسا ، الاحتفال بالقربانة الاولى هو تتويج احتفالي لفترة التعليم المسيحي .

ثانياً : استمارات ونتائج

بغية توضيح موضوعي وتوفير معطيات حياتية من مختلف الخبرات ، طرحت الاسئلة التالية على أشخاص متميّزين بالعمر والحالة :

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

١ — استمارة اولى : متى وكيف احتفلتَ بالقربانة الاولى ؟

*** شهادة رجل له من العمر أكثر من ٩٠ سنة**

قد اكون نسيت كل شيء عن أيام الطفولة ما عدا يوم القربانة . لقد أتى المطران ليزور الرعية ودامت زيارته أسبوعا كاملا .

في اليوم الاول ، ثبّت الاولاد الذين بلغوا السابعة من عمرهم .

وخلال هذا الاسبوع ، كان شغل القرية الشاغل : المطران ، الرعية ، الكنيسة ... ولقد تمّت حفلة القربانة الأُولى خلال قداس يوم الاحد .

— هل تذكر حركة ما ، غير عادية ، تمّت ممارستها خلال هذا القداس ؟

أجاب :

بعد تلاوة الانجيل ، طلب الينا المطران أن نوجه نظرنا نحو المدخل الغربي للكنيسة وأن نكفر بالشيطان وبأباطيله . فقلنا كلنا بصوت عالٍ :

« نحن نكفر بالشيطان وبأباطيله » .

ثم طلب الينا أن ننظر الى المذبح ونجيب :

المطران : هل تؤمنون بالله ؟

الاطفال : نعم نؤمن بالآب ونؤمن بالابن ونؤمن بالروح القدس .

المطران : هل تؤمنون بالكنيسة ؟

الاطفال : نعم نؤمن بالكنيسة وبكلّ تعاليمها .

المطران : قولوا جميعا قانون الايمان ...

*** شهادة كاهن بعمر ٤٠ سنة**

لم أعد أذكر كم كان عمري ، لما قالت لي أمي : « ستتناول القربان هذه السنة ، يوم عيد القيامة » . أعلنت هذا الحدث وكأنه أهمّ حدث . ولقد كنّا ، كل مساء ، نجتمع كلنا أمام مذبح العذراء لنصلّي . فكان والدي يقرأ لنا الكتاب المقدس ، ووالدتي تخبرنا قصص المسيح وأعاجيبه . ولقد كلّف أخي الاكبر أن يعلّمني الافعال والصلوات الاساسية وأن يشرح

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لي القداس . وفي قداس نصف الليل ، يوم عيد القيامة ، تناولتُ للمرة الاولى ، مع كل العائلة . واذكر اني لم أعترف الا عندما كبرت .

* **شهادة فتاة عمرها ١٨ سنة**

قالت : «كنت أتعلم في مدرسة علمانيّة . لا وجودَ للتعليم المسيحي فيها . لكنّ مديرة المدرسة كانت تقيّة ممارسة . وبمبادرة شخصية ، جمعتنا وعلّمتنا الصلوات الاساسية ، والافعال ، وعلّمتنا كيفية الاعتراف والتناول » .

٢ — استمارة ثانية : مع الاهل

في هذه الاستمارة ، أنقل اليكم أجوبة الاهل على الاسئلة التالية التي طرحتها عليهم حول المناولة الاولى لاولادهم :

* ابنك (أو ابنتك) سيتقدّم للمناولة الاولى ؟
* ما هو دورك كأب (أو كأم) ؟
* هل للمدرسة دور ؟
* ما هو بنظرك دور الرعية ؟

أ — جواب أب له ثلاثة أولاد

« ان الاحتفال بالقربانة الاولى هو عيد . ولكن ، قبل أن يكون عيدا علمانيا ، فهو عيد ليتورجي .

ان دور الاهل في تهيئة أولادهم لهذا العيد يبدأ باكرا ، أي عندما يبدأ الطفل بادراك بعض الاشياء وبالتلفظ ببعض الكلمات . في هذا الوقت ، مثلما يجتهد الاب في تلقين ولده الالفاظ والحركات ، هكذا عليه أن يجتهد أيضا في أن يجعل ابنه يتذوّق المسيح ، ويحسّ بوجوده .

* للمدرسة أيضا دور خطير ، وهذا ما جعلني أختار لاولادي مدرسة تهتمّ بهم دينيا ، ولكنّ دور المدرسة ليس أساسيا ، فهو تكملة لدور الاهل .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* أما الدور الاساسي والاول فهو للرعية ، لانها لا تجمع الاطفال وحدهم كما تفعل المدرسة ، ولكنها تجمع الاهل والاولاد معا ؛ ولكن مع الاسف ، في رعيتي ، قد أهملوا الاطفال » .

ب — جواب أب له ابنتان : أستاذ في الصفوف الابتدائية

* « لقد وعيت متأخّراً لتربية بناتي مسيحياً ، أي ، لمّا أجبرتنا ادارة المدرسة ، التي أعلّم فيها ، على أن نعلّم التعليم المسيحي ، كل أستاذ في صفّه . أجبرتنا ، ووضعت بتصرّفنا شخصاً متخصّصاً ، يساعدنا ويهتمّ بالاحتفالات الدينية . واني لأستطيع القول انني ابتدأت أولا بتثقيف نفسي روحياً ، ولم يكن ذلك بواسطة المجلات والكتب الدينية ، لأننا غالباً ما نقرأ دون تأمل ، انما تثقفت بواسطة الاحتفالات الليتورجية التي كانت المنشّطة الليتورجية تحييها في المدرسة : احتفالات الميلاد والغطاس والفصح ... والقربانة الأولى أيضاً . لقد أعجبت بهذا التجديد ، وأحسست أن الليتورجيا ليست فقط كلمة غريبة يعرفها المتخصّصون فقط ، ولكنها حياة وحركة وفنّ وصمت ... ومنذ ذلك الوقت ، أخذ اهتمامي بالأمور الدينية يزداد . فلما كانت المسؤولة تشرح للطلاب معاني الاحتفال ، وتطلب اليهم تحضير أشياء معيّنة للاحتفال ، كنت في الوقت نفسه أحضر ذلك أيضاً فأسمعها تتكلّم مثلاً على الماء للغطاس ، والشمع لعيد دخول المسيح الى الهيكل ؛ وهكذا ، أصبحت أنقل هذه الاحتفالات الى بيتي أشرحها لعائلتي ؛ أصبحت أحبّ الصلاة الجماعية والترتيل والحركات الجسدية خلال الصلاة . ولقد أصبحت الصلاة في البيت عادةً مسائيةً لا يمكن التخلي عنها . وأعتقد أن هذا الجو الروحي يضع أولادي في أجواء المسيح ، وعندئذ ، ستأتي المناولة الأولى في ظرف طبيعي ، فلن تكون بداية لهم ، ولا نهاية ، ستكون علامة مسيحية جديدة ، أو وسام استحقاق مسيحي جديد ، ويكمّلون الطريق .

* بما أنني فهمت اننا كلّنا أطفال أمام الله ، ووحدها البساطة تفتح لنا باب السماء ، انتميت مع عائلتي الى رعية واعية ليتورجياً ، تكرّس وقتاً خاصاً للطفل .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٣ ــ تقويم هذه الشهادات والأجوبة

يظهر من هذه الشهادات والأجوبة أهمية دور الأهل ، وقد أكّد على ذلك قداسة البابا بيوس الثاني عشر أمام مجموعة من الأهل بقوله : « ان الوالدين هم كهنة أولادهم ... خاصة في البيت ، ضمن العائلة المسيحية الممتلئة من نعمة سرّ الزواج ، حيث يتعلّم الطفل اكتشافَ الله ومحبة القريب » .

نتساءل امام هذه الحقيقة عن مقدار وعي الأهل لكهنوتهم . وهذا نتبيّنه خلال دعوتهم الى الاجتماع الاعدادي لحفلة القربانة الأولى . يأتون جميعاً ، نبدأ الاجتماع بصلاة وإرشاد تربوي مسيحي ؛ وعند إفساح المجال للأسئلة ، تتوقّف الأسئلة حول الأمور التالية :

- شو لازم يلبس ابني ؟ حذاء أبيض أم أسود ؟
* أي ساعة لازم يكون حاضر ؟
* بيقدر ياكل ؟
* أي ساعة بتنتهي الحفلة ؟
* بترجاكم تأجّلولي قربانة ابني لاني حادّي .

قليلون جدّا الذين يسألون :

* كيف بدّي علّم ابني محبة الله ؟
* كيف بدنا نعيش مع إبنّا هالقربانة ؟ ... » .

ثالثاً ــ القربانة الأولى في الاطار المدرسي

منذ ثماني سنوات ، وأنا أهتمّ مباشرة بتحضير الأولاد للمناولة الأولى . وكلّ سنة يكون عددهم حوالي ٣٠٠ ، مع العلم اني أخاف من الاعداد الكبيرة وخصوصاً في القطاع التربوي . والآن ، سأعرض منهجيتي الخاصة في تحضير الأولاد التي توصّلت اليها بعد خبرة طويلة ومحاولات متعددة . وقد لا تكون هذه المنهجية هي الأفضل في المدارس . فبعد التحضير الغير المباشر الذي يتمّ في التعليم المسيحي وفي القداس الاسبوعي ، هناك التحضير المباشر الذي يتمّ وفق المراحل التالية :

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أ — أسأل كل ولد بمفرده : ما هي القربانة الأولى ؟ وكثيراً ما يكون جوابهم مئة بالمئة ، « القربانة الأولى تعني أن يسوع لأول مرة سيدخل الى قلبي » . هذا الجواب هو بدائي اذا لم نقل انه مغلوط ؛ لذا أضيف لكل بمفرده : لا ، يا (فلان) ! يسوع في قلبك من يوم تعمّدت . وقد يستغرب ما أقوله له .

ب — يجتمع كل أستاذ مع طلاب صفّه ؛ يعرض عليهم شريطاً عن العماد ويشرح لهم أهمّ حركات المعمودية : التغطيس أو الرشّ ، الميرون ، والماء ، الايمان الذي أعلنه العرّاب والعرّابة ، والنص الأساسي الذي يقوله الكاهن : « أنا أعمدك (يا فلان) باسم الآب والابن والروح القدس » .

ويشرح لهم أيضاً كيف كانوا قديماً ، بعد العماد مباشرة ، يناولون الطفلَ القربانةَ المقدسة ، قبل أن يبلغ سن الادراك . أما اليوم ، فينتظرون ان يصبح الطفل بعمركم ويصبح قادراً على أن يقول ليسوع : نعم ، ويلبّي دعوته الى المناولة . (وفي هذه المناسبة ، ترتفع بعض الأصابع ، من أبناء طائفة الروم الارثوذكس مثلاً ، ليقولوا أنهم هم تناولوا بعد العماد ، انما يريدون أن يحتفلوا بالمناولة في هذا النهار حتى لا يعودوا ينسون هذا الحدث) .

ج — يشرح لهم أيضاً قصّة العشاء السرّي بواسطة شريط ، ويؤكّد لهم كيف ان المسيحيين ، من تاريخ ذاك العشاء ، يجتمعون كباراً وصغاراً ويحقّقون ما أمر به يسوع بقوله : اصنعوا هذا لذكري حتى مجيئي . وبعد أن يساعدهم على حفظ كلام التقديس ، يقول لهم ان هذا هو القداس .

د — ويشرح لهم ، بعد ذلك ، قصة تلميذي عماوس ، في مرافقتهما للمسيح في الطريق ، قلقين ، وفي حديثه معهما وكيف عرفاه بعد ان كسر الخبز أمامهما . فتغيّرا وانطلقا وهذا هو قداس أيضاً ، وهكذا تفعل بنا أيضاً القربانة .

هـ — وبعد ذلك ، لا بدّ من الكلام عن الاعتراف . والانجيل مليء بالقصص عن التوبة : زكا العشار ، الابن الشاطر ... انما قصة مار بطرس وعلاقته مع المسيح هي قصة كل واحد منّا . الحب الكبير يجعل كل واحد يحسّ انه لا يمكن ان يتغيّر . عند أول صدمة ، نسي بطرس الحب الكبير ، فأنكر المسيح ، انما محبته للمسيح حملته على التوبة ومحبة المسيح له منحته المغفرة .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

و — تحضير ليتورجيا — الكلمة ، لقداس القربانة الأولى . هذا التحضير يتمّ بقراءة وشرح نص الرسالة والانجيل مسبقاً ، وبمساعدة الأولاد على صياغة النيّات والطلبات وصلاة الشكر مع الأطفال .

ز — القيام برياضة روحية خارج المدرسة ، طوال النهار الذي تتمّ فيه حفلة الاعتراف الأول .

ملاحظة : يرافق الكاهن الذي سيحتفل بقداس المناولة الأولى ، قدر المستطاع ، تنفيذ هذا البرنامج .

* **تقويم عناصر التحضير**

هذا التحضير هو ، دون شك ، عمل تربوي ، والمطلوب أن يلاقي صدى وتجاوباً في حياة الولد خارج المدرسة .

ان قداس المناولة ينجح غالباً وفي كل مكان ، من حيث الجوقة والزينة والترتيب . انما اتساءل اذا كان قداساً ليتورجياً ، فالفيديو ، والمصورون ، والأهل ، الا يشكّلون غالباً خطراً على قدسية القداس ؟ هناك بعض المخرجين المسرحيين يبعدون المصورين كي لا يعطلوا مناخ المسرحية .

صحيح أن هناك محاولات لاشراك الأطفال فعلياً في القداس ، انها لمحاولات جيدة ، انما وسائل هذا الاشراك تُشوّه أحياناً أجواءَ القداس الليتورجية ، وتجعل منه أحياناً مدرسةَ هُواة .

* **اقتراح** :

اذا كان لا بدّ من الاحتفال بالمناولة الأولى في المدرسة ، فاني لأتمنّى أن يتمّ هذا الاحتفال ضمن اطار القداس الاسبوعي ، لانّ الأولاد أَلِفُوه فأصبحوا يفهمون كلّ حركاته ويعرفون كل تراتيله ، وبالتالي هو قداسهم .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

رابعاً : المناولة الاولى في الاطار الرعاوي

لا شكّ ان من أولى اهتمامات الرعية الاحتفال بالاسرار وتوزيعها على من يطلبها . والرعية الواعية والحية هي التي تجمع حولها كل أبنائها على مختلف أعمارهم . والمجمع الفاتيكاني يوصي بنوع خاص بالاطفال والشبّان . لذلك يوجد في رعية مار الياس انطلياس ، التي كنت اشارك في قسم من نشاطاتها ، قداس الاطفال . وقد احتلّ مكانه في الساعة العاشرة من كل أحد ، وذلك منذ عشر سنوات . هذا القداس هو أيضا قداس الرعية . يأتي اليه أبناء الرعية من مختلف الاعمار وبنوع خاص الاطفال مع والديهم . وان الاحتفال بالمناولة الاولى يتمّ كل سنة خلال هذا القداس بالذات .

برنامج التحضير هو نفسه برنامج السنة الطقسية . وان الطفل يتدرّج في معرفة هذا البرنامج مع أهله ، وقد ابتدأ يمارسه برغبة ، بدءاً من السنة الثالثة أو الخامسة من عمره . على هذا يكون الاطفال في سن السابعة أو الثامنة مؤالفين على هذا المناخ ، وهذا الاطار الطبيعي لمناولتهم الاولى . فهؤلاء لن يكونوا بحاجة الى برنامج اضافي للمناولة الاولى . فالطفل يعرف انه استحقّ في قداسه أن يتناول القربانة الى جانب أهله ورفاقه .

* تقويم

قد يمكن أن تكون هذه الحفلة ناقصة من حيث المظاهر الخارجية ، اذ يمكن اهمال بعض العناصر الفولكلورية أو التزينية ، لانهم ينصرفون الى الجوهر .

انما ، منذ أجيال بعيدة أو من بدء الكنيسة ، كان الايمان ينبع من الجماعة المسيحية التي هي الرعية ، وذلك بواسطة المشاركة في الاحتفال بالاسرار ، وضمن هذه الرعية تكون هذه الكنيسة المحلية على علاقة وثيقة بالكنيسة الجامعة ، المقدسة الرسولية .

* تمنيات

* أحيانا كثيرة تتمسّك المدرسة بحقّها بالاحتفال بالمناولة الاولى ، مع العلم أن معظم تلامذتها ، في بعض الاحيان ، هم من أبناء رعية واحدة . في هذا الحال ، يمكن

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ويجب التنسيق بين المدرسة والرعية ، اذ تكمّل احداهما الاخرى وتصبح المدرسة في خدمة الرعية .

* أتمنى ألا تصبح المناولة الاولى موسما اقتصاديا لبعض التجّار بل ترجع الى جوهرها وأصالتها ، فتكون موسما روحيا يجمع العيلة حول الولد الذي يقبل هذا السرّ .
* أتمنى أن يكون هذا الاحتفال — أتمَّ في المدرسة أو في الرعية — محافظا على الأصالة الليتورجية من حيث الحركات والتراتيل ...
* اتمنّى على هذه الجامعة أن تؤلّف لجنة تدرس بصراحة وتقيّم الاحتفال بالمناولة الاولى في الشكل الذي يتمّ فيه ، فتضع النقاط على الحروف ، وتخرج بقرارات تجديد تعود بنا الى الينابيع .

خاتمة

أيًّا يكن الحكم على القربانة الاولى ، فانها تبقى ، ولا شكّ ، من أجمل ذكريات الطفولة ، وليمة مشتركة وذبيحة شكر ، وعيد قيامة وعنصرة ، وانتظار عودة ، اليها دعانا السيّد المسيح ليقدّم لنا جسده حياة ودمه غفرانا . والاطفال ، أكثر من غيرهم ، قادرون على عيش فرح القيامة وديناميّة الرجاء .

هذه الوليمة المشتركة عاشها المسيحيون الاولون ، وكانت علامة اتحاد وفرح ومحبّة ، وتعبيراً عن الاشتراك مع الربّ واشتراك البعض مع البعض الآخر .

فهلاّ نستقي الماءَ الحيَّ من ينبوع الحياة ؟!...
وهلاّ نتجدّد بفرح القيامة وبنعمة الرّوح القدس في وليمة الافخارستيا ؟!...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموضوع الثاني عشر والأخير

الاصلاح الليتورجي

الأب يوحنا تابت

*

٢٨ كانون الثاني ١٩٨٥
عيد مار افرام السرياني

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأصلاح الليتورجي

الأب يوحنا تابت

من مواليد عشقوت سنة ١٩٣٧ . ارتسم كاهناً سنة ١٩٦٤ .
من الرهبانية اللبنانية المارونية .
يحمل اجازة في اللاهوت من جامعة الروح القدس — الكسليك ، ودكتورا في الليتورجيا من المعهد الشرقي في روما سنة ١٩٦٨ .
مؤسس المعهد الليتورجي العالي في جامعة الروح القدس — الكسليك ، سنة ١٩٦٩ .
أمين سرّ لجنة الشؤون الليتورجية في البطريركية المارونية .
مستشار في الطقوس الشرقية لدى المجمع الشرقي .
أصلح — بمساهمة نخبة من الرهبان اللبنانيين الاخصائيين — صلوات الفرض الماروني والمتعيّد وبعض الرتب الرعائية .
له مؤلّفات ومقالات عديدة ، في اللغتين العربية والفرنسية ، عن الليتورجيا المارونية عامة ، وعن الفرض الماروني خاصة .
هو ، حالياً ، رئيس جامعة الروح القدس — الكسليك واستاذ في معهدها الليتورجي .

الكلام على الاصلاح الليتورجي مجاذفة كبرى في أيامنا هذه وفي لبنان بالذات ، لأنَّ ما يجري عندنا ، وعند غيرنا ، من محاولات تجديد ، رسمية وغير رسمية ، يخضع لعناصر عدّة تحتاج كلّها الى درس وبحث وتدقيق ، ولأن المسافةَ التاريخية والزمنية التي تفصلنا عن الانجازات التي تمّت بالفعل قصيرة ؛ فيصعب ، بالتالي ، بل يستحيل اصدارُ الأحكام يميناً ويساراً ، دون التركيز على الأسس التي تجعل أي إصلاح ممكناً وصالحاً ومضمونَ الديمومة .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لذلك ، نحصر كلامنا في ثلاثة :

أولاً : مبادئ الاصلاح الطقسي .

ثانياً : اختبار التجديد في الكسليك .

ثالثاً : ومن خلال هذا التفكير النظري والواقعي ، طَرحُ مشروع عمل متكامل قد يُسهم في الخروج من بعض الفوضى الطقسية التي نعيشها اليوم .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القسم الأول : مبادئ الاصلاح الطقسي

١ — الوضع قبل المجمع

ما من أحد يجهل اهتمام **الغرب** منذ مئات السنين بطقوسه من حيث اتقانُ النصوص والحركات والموسيقى ، ومن حيث السهر الدقيق على الاحتفال والعناية بالأمكنة والأزمنة المقدسة . بيد أنّ هذا الاهتمام المفرط أدّى الى تحجّر الليتورجيا . فبدل السعي الى خلاص « الانسان الليتورجي » ، هُدرت طاقاتٌ كبيرة في سبيل انقاذ الليتورجيا ، محصوراً بها نفسِها . فاختلَّ ميزانُ القُوى ، وفُضِّلتْ « الروبريكة » ، أحياناً ، على الجماعة المصلّية . ونشأت ، من جراء ذلك ، نظرياتٌ عدّة ، لا مجال للغوص فيها الآن (النظرة الروبريكية ، التاريخية ، المنهجية ، الخ ...) ، فانعدمتْ فيها رؤيةُ الانسان في ضباب الاجراءات الثانوية والهامشية .

في هذا الخضم ، ظهرت حركاتٌ ليتورجية في الكنيسة اللاتينية ، داخل الأديار ، أو ضمن مؤسسات جامعية ، أو في مراكز أبحاث ، أسهمت جميعُها في خلق مناخ ليتورجي صافٍ ، عشيّةَ انعقاد المجمع المسكوني الذي أطلق الاصلاح على قواعد سنذكرها بعد قليل .

أما في **الشرق** ، فالليتورجيا لم تصل الى مرحلة الجمود القاتل والتحجّر ، بل ظلّت أوصالُ العمل الليتورجي تنبض بالحياة ، خصوصاً من خلال مشاركة الشعب فيه ، بطريقته وعفويته ، مما جعل ويجعل الاصلاحَ الطقسي المنشود أقربَ الى التحقيق في العمق ، على أن يُبنى هذا الاصلاح على ثقافة وتوعية ومبادئ علمية ورعوية صلبة .

٢ — المجمع الفاتيكاني الثاني : محطّة تاريخية

بعد محاولات تجديدية حَبِيَّة سبقت انعقادَ المجمع المسكوني ، تتعلّق بالعبادة الالهية

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وبتحديد الليتورجيا (البابا بيوس الثاني عشر : الوسيط بين الله والانسان — ١٩٤٧ — MEDIATOR DEI) ، وبعد وفرة من المؤلَّفات في هذا الموضوع ، طلعتْ علينا الكنيسة ، في المجمع المسكوني ، من خلال مناقشتها للأمور الجوهرية والأساسية ، بتصوّرٍ واضح جديد للاهوت الليتورجيا ، ولضرورة تطويرها وتجديدها .

نكتفي الآن بقراءة ما يلي :

* « تمكيناً للشعب المسيحي من أن يَنهلَ بآمن الطرق فيضَ النعم من مَعين الليتورجيا المقدسة ، ترغب الأمُ الكنيسة المقدسة رغبةً صادقة في العمل على تجديد الليتورجيا عينها تجديداً شاملاً . لأن الليتورجيا تتألّف من قسم ثابت بما أنه من وضع الهي ، ومن أقسام خاضعة للتبديل يجوز لا بل يجب أن تتغيّر مع الزمن ، اذا حدث أن داخَلها ما لا يتّفق وطبيعةَ الليتورجيا الاصيلة ، أو أصبح أقلَ ملاءمة لها .

ويُقصد من هذا التجديد تنظيمُ النصوص والرتب بحيث تُعرب ، بوضوح ، عن الاقداس التي تدلّ عليها ، وبحيث يتسنّى للشعب المسيحي أن يتفهّمها ، على قدر المستطاع ، ويشتركَ في الاحتفال بها ، اشتراكاً تامّاً ، فعلياً وجماعياً » (دستور في الليتورجيا المقدسة ، عدد ٢١) .

* « وبعد فان الليتورجيا التي يتمّ بها ، ولاسيّما في سرّ الافخارستيا الالهي ، « عمل فدائنا » ، تُسعف المؤمنين ، الى حد بعيد ، على ان يُعربوا بوضوح ، بطريقة حياتهم ، لغيرهم من الناس ، عن سرّ المسيح وعن الطبيعة الاصيلة التي تميّز الكنيسةَ الحقة . وممّا يميّز الكنيسةَ أنها بشريةٌ والهية ، منظورة وحافلة بالحقائق غير المنظورة ، دائبة على العمل ومنقطعة الى التأمل ، حاضرة في العالم وعابرة سبيل فيه ، بحيث ان ما فيها من بشري مرجوعٌ به الى ما هو الهي وخاضع له ، وما هو منظور مردود الى ما ليس بمنظور ، وما يَمُتُّ بصلة الى العمل عائد الى التأمل وما هو حاضر مشدود الى المدينة الآتية التي نسعى اليها ؛ لذلك لما كانت الليتورجيا تبني كل يوم مَن هم داخلاً فتجعل منهم هيكلاً مقدساً للرب ومسكناً لله بالروح حتى قامة ملء المسيح ، فانها ، في الوقت عينه ، تشحذُ منهم الهممَ شحذاً عجيباً يَحْفَزُهُم الى التبشير بالمسيح . وهكذا تَظهر الكنيسةُ في نظر الخارجين عنها وكأنها علامةٌ منصوبة أمام الشعوب

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يلتفّ تحت لوائها صفّاً واحداً ابناءُ الله المتبدّدون حتى لا يكون الا رعيةٌ واحدة وراعٍ واحد » (دستور في الليتورجيا المقدسة ، عدد ٢) .

٣ — الشرح

يُطالب « الدستور في الليتورجيا المقدسة » ويُشدّد بايجاد نظرية لليتورجيا تحوي الاهدافَ الخاصّة لعلم ليتورجي نقدي . فالكنيسة تسعى الى تحقيق ذاتها ، بطريقة أفضل ، عبر العبادة الالهية ، وهذه ، دون شكّ ، مهمة علم الليتورجيا الاساسية . فقرارات المجمع الاصلاحية لا تُريد خلقَ ليتورجيا جديدة — ستتحجّرُ هي أيضاً بدورها — مكانَ ليتورجيا قديمة ، لكنّها تبحث عن خلق « **ليتورجيا منفتحة** » ، دون أن يكون هذا التعبيرُ مرادفاً « **لليتورجيا فوضوية** » .

فالاصلاح لا يعني ابداً تبديلَ الماضي بالحاضر (على صعيد الهيكليات أو اللغة أو النصوص ، الخ ...) ، بل انه تطوير لكل هذه العناصر وغيرها ، مجتمعة ، لِتتناغمَ جميعُها في وَحْدَةٍ متكاملة يقبلها الشعب ويفهمها ، ويُفيدَ منها المؤمنُ المعاصر .

في هذا المجال ، نودّ المقارنة بين مبدأين :

* **الكنيسةُ** بحاجة دائمة الى التجدّد ؛
* **الليتورجيا** بحاجة دائمة الى التجدّد .

هذا التجدّد هو بمثابة ضرورة حقيقية في حياة الكنيسة ، ولا يعني فقط رفعَ موانع وتخلّياً عن ظروف مزعجة ، بل يعني تطوراً مستمرّاً للانفتاح على التعددية الليتورجية . وهذا التنوّعُ علامة الأصالة في الكنيسة . فاذا اعتبرنا التجديدَ الليتورجي محدوداً ، غايتُه خلقُ ليتورجيا نهائية لعصور مديدة ، أخطأنا ، ولا شك ، فهم الحقيقة . وبالاضافة الى ذلك ، فالليتورجيا الجديدة ، التي نحن في صددها ، ليست مهمة عابرة بل هي دعوةٌ الى التجديد دائمة .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٤ — الليتورجيا صيرورة في الزمن

لا تُعطى الليتورجيا دفعةً واحدة ، ولا هي تنحصر في شكل معين وكامل منذ البداية . بل يمارس الانسانُ الليتورجيا ، فلا بدّ لها من أن تخضعَ لتطوّر الانسان وتتقيّدَ به . وباعتبار ان الانسانَ يعيش ويعمل في **الزمان والمكان** ، فمن البديهي أن تتأثر الليتورجيا بالزمان والمكان وتتبدّل بتبدّلهما . وهذا ما يجعلنا ننظر الى الليتورجيا من زاويتها التاريخية :

وُضعت الليتورجيا من أجل الانسان . ورغم انها ، في الأساس ، جوابٌ على دعوة تأتي من المسيح : « اذا اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي ، أكون هناك بينهم » (متى ٢٠/١٨) ، فموضوعُها خدمة الانسان وقداسته من خلال مجموعة علامات حسّية .

فالعلومُ الانسانية تدلّ ما يكفي على تطور الانسان وضرورة تأقلمه ، وعلى تبدّل العلامات الحسّية ، معه ومن أجله ، بتبدّل حاجاته النفسية والاجتماعية .

وللتذكير نقول ان الليتورجيا هي **احتفالُ** الجماعةِ الكنسية في الزمان والمكان ، مبنياً على سرّ المسيح المائت والقائم من القبر . وكل احتفال من هذا النوع تتداخله ، حتماً ، مع الزمن ، عناصرُ الفوضى والتشويش والترداد والرتابة والغموض ، فيقتضي ، لديمومته ، أن ينفض عنه هذا الغبارَ العابر ، ويُعادَ نفخُه بروح جديدة تتميّز خصوصاً باعادة توزيع الأدوار فيه وتحديد أهدافه العميقة وأبعاده الخلاصية كي يظلّ احتفالاً روحيّاً خلاصياً ، ليتورجيّا على مستوى الكلمة .

كذلك الليتورجيا **حياةُ الكنيسة** ، وللحياة منطقها ومأويتها . فاذا تدنّت هذه الماويةُ لسبب من الأسباب ، أو جفّت (خلل في السبل والوسائل ، الخ ...) ، أشرفت الليتورجيا على الموت خنقاً ، ولم يَبْقَ بها فائدةٌ تُرتجى .

هذه الوقائع التاريخية المرافِقة لليتورجيا ، ألمح اليها أو الى بعضها مَن سبقوني في سلسلة هذه المحاضرات حول « الليتورجيا الرعائية » ، فنعاها البعض نهائياً ، وفتّش البعض الآخر عن سبل كفيلة بدفعها الى الأمام : في الجماعات الرهبانية ، في التنشئة الرهبانية ، في التعليم الديني ، في المستشفى ، في الرعية ، في العائلة ، في المدرسة ، في الجامعة ، في التجمعات العمّالية ، عند الشبيبة ، في القربانة الأولى ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

غير انه ينبغي التأكيد على أن درس تلك التغييرات الزمنية والمكانية ، المرتكزَ على مستندات وأصول ، ليس الهدفَ بحدّ ذاته ، والاّ وقعنا في نظرة تاريخية بحتة لليتورجيا . **فتلك التغييراتُ هي ، اذن ، أشكالٌ متبدّلة تَظهر ، من خلالها ، حقيقةٌ ثابتة غير قابلة التغيير** . ويستحيل ، بالتالي ، الفصلُ بين التمييز الشكلي والحقيقة الليتورجية عينها .

باختصار ، اذا اعتبرنا الليتورجيا من زاوية صيرورتها في الزمن ، وصلنا ، ولا شك ، الى معناها العميق الذي هو المعنى اللاهوتي الثابت .

٥ — الليتورجيا ثبات في الجوهر

نُسمّي عنصراً حيّاً في الليتورجيا ، ذلكَ العنصر الذي يُظهر حقيقةَ طبيعتِها الخاصّة ، حتى لَنستطيع ان نُسمّيها « بيولوجية » . في الحقيقة ، ان ما يتمّ في الليتورجيا هو عينه يَتِمُّ في كلِّ كائنٍ حيّ :

فالكائن الذي يتحرّك ، ويعرف التغيير ، يتضمّن ، في الوقت عينه ، شيئاً ثابتاً لا يتغيّر: هذا الشيء يجعله مُساوياً لذاته في كلّ حين (أمثلة : حنا ؛ الشجرة ؛ الخ ...) . والليتورجيا ، وهي حياة الكنيسة ، تتحرّك وتعرف التغيير في صيرورتها التاريخية ، ولكنّها تحافظ دوماً على كينونتها وعلى ذاتها .

وما نقوله لا ينطبق على ليتورجيا الأيام السالفة فحسب ، وهي تَظهر كأنها نَصَبٌ تاريخي ، بل ينطبق أيضاً على ليتورجيا الأيام الحاضرة . فالمجمع الفاتيكاني أراد أن يحرّر الليتورجيا من عقدتها التاريخية المتحجّرة . ولا بد من القول **ان التغييراتِ الجذريةَ التي تتعرّض لها الليتورجيا اليوم لا تمسّ جوهرَها بل أشكالَها الخارجيةَ والتعبيريةَ فقط** . هذا التغيير عمل بالغ الدقّة ، لكنّه ضروري ليُظهر لنا وجهَ الليتورجيا الصحيح .

بموجز الكلام ، **ان التغييرات الليتورجية العديدة تترك الليتورجيا ثابتةً في ذاتيتها** . زد على ذلك ان هذا التغيير في الهندام الخارجي ليس ناتجاً عن التصاق الليتورجيا بالتاريخ التصاقاً حميماً فحسب ، بل هو ، في الحقيقة ، **علامةُ حياة** .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القسم الثاني : اختبار الكسليك

كنا وما زلنا من الذين يُعانون ، في الصميم ، من مشاكل التجديد الليتورجي . وحين قرّرنا انشاءَ معهد الليتورجيا سنة ١٩٦٩ (له أساتذة اخصائيون ، وبرامج ، وشهادات مُعترف بها رسمياً من الحكومة اللبنانية ، ومكتبة ، ومنشورات ، الخ ...) ، كان هاجسُنا الأول خلقَ اطارٍ علمي صحيح ، تولد فيه وتتربّى ذهنياتٌ ليتورجية جديدة ، على أسس نقدية وشرقية ثابتة . فالاصلاح الليتورجي — في نظرنا — يبدأ بالذات ، في العقلية ، قبل أن يصل الى النصوص والكتب . والعكس مخيف : وهو ان نضع ليتورجيا جديدة (في كتب ورتب ونصوص) غيرَ مبنيةٍ على انسانٍ ليتورجي جديد .

رافقت تأسيسَ هذا المعهد محاولاتٌ اصلاحية في الفرض الماروني وصلوات القديسين والرتب وغيرها ، قام بها فريقٌ من الرهبان الاختصاصيين منذ سنة ١٩٦٩ حتى سنة ١٩٨٥ . وطيلةَ هذه الفترة ، كان همُّنا التركيزَ على ثلاث :

* **عودةٌ الى الأصول** (الى التقليد المخطوط والمطبوع ، والليتورجيا المقارنة ، والهيكليات القديمة الأصيلة ، الخ) ؛

فبينما كانت الصلاةُ الخورسية مقتصرة ، في الفترة الأخيرة ، على تلاوة ١٢ مزموراً فقط طيلة السنة الطقسية ، عمدنا الى « اعادة اعتبارٍ » لكلِ المزامير ، فوزعناها على الأزمنةِ الطقسيةِ المختلفة . ولمّا حُصِرَتْ صلواتُ الفرض الالهي الماروني في فترة واحدة — هي الزمن العادي أو الشحيمة — عُدنا نحن الى المُتعيّدات — أي الى الأزمنة الخاصة — ووضعناها في متناول المصلّين . فالعودة الى التراث غنى لا فقر ، والخِيارُ بين النصوص والهيكليات القديمة يكون دائماً لصالح الأجود والأعمق والأكثرِ أصالة وتعبيراً عن الشخصية الليتورجية المميّزة .

* **تأقلمٌ مع الحاضر** (ذهنية عصرنا ومتطلّبات انساننا اليوم) .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* اعتبارُ صلاة الفرض **احتفالاً طقسياً** ، لا قراءة روحيّة ، وكلّ ما يترتب على ذلك من « دوزنة » عناصر تساهم في تنفيذ هذا الاحتفال .

المهم في هذا الاختبار الجديد هو تجاوبُ العدد الكبير من الرهبانيات والأديار والاكليريكيات والرعايا والمدارس والجامعات . ونحن لا ندّعي الكمال في ما قمنا به — اذ الليتورجيا الحقيقية ، كما قلنا ، دائمة الانفتاح ودائمة النقد الذاتي — ولا نلزم أحداً — فرداً أو جماعة — بالأخذ به ، مع كوننا قادرين على تبرير كل ما قمنا به في معهد الليتورجيا ؛ وإنَّا لَواثقونَ ومتأكّدونَ من أن كل ما قمنا به في معهد الليتورجيا ، بالاشتراك مع معهد العلوم الموسيقية في الجامعة ، كان بطريقةٍ موضوعيةٍ ونقدية .

يبقى علينا ان نشير الى أن الذين يرغبون في المزيد من الاطلاع على منهجية عملنا في المعهد ، عليهم أن يبدأوا بدخول العالم الليتورجي عبر قراءات ومطالعات وتثقيف شخصي ، يساعدهم على فهم ما أمضينا ، واخوةً لنا ، حوالَي عشرين سنة ، في جمعه وتنسيقه والاصغاء اليه بكل احترام ومحبة وخفر ...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القسم الثالث : مشروع عمل متكامل

وفي نهاية سلسلة المحاضرات هذه عن « الليتورجيا الرعائية » ، وبعد أن أصغينا جميعنا ، بانتباه بالغ ، الى نخبة من المحاضرين — قدامى المعهد وغيرهم — أودّ أن أوجز ما أظنه مشروعاً متكاملاً تشكّل مختلف عناصره مدخلاً صالحاً الى كلّ نهضة طقسية ، واصلاح ليتورجي ، في مختلف كنائسنا الشرقية :

١) الشأن الليتورجي شأن علمي بَحْتٌ في الأساس ، لا يتعاطاه ، مبدئياً ، إلا من أُعطي من العلم نصيباً غير قليل . فالأجدر بمن كان غريباً عن هذا العلم وعن هذا الجو أن يُصغي ويتأمّل .

٢) الليتورجيا صلاةُ الكنيسة ، صلاة الجماعة والرعية ، لا تستقيم بدون البُعد الجماعي ، في التأليف والتنفيذ .

٣) مصيرُ الكنيسة في لبنان متعلّق ، في الدرجة الأولى ، بمصير ليتورجيتها . إما أن تعي الكنيسةُ ضرورةَ الاهتمام الكامل والسريع بالليتورجيا ، وإما صَحَتْ يوماً — لا سمح الله — ولم يَعُدْ في رصيدها الحقيقي سوى حجارةٍ باردة وهياكلَ فارغة وشعبٍ ملحد . والتجديدُ في الليتورجيا لا يخضع لمزاج أحد . بل هو عمل الروح القدس . ومن ينكر عمل الروح القدس ، خطيئتُه لا تغتفر .

٤) المحاولاتُ العديدة التي تمّت وتتمّ في لبنان هي ، في معظمها ، دليلُ عافية وملء لفراغ ، وليست ، كما يظنّ البعض ، دعوةً الى الفوضى . بيد أنها قد تزجّ الشعبَ في الفوضى ، اذا طال عليها الزمن ، ولم تمسكها سلطةٌ مسؤولة ، سلطةٌ علمية وكنسية متفهّمة ...

٥) الاصلاح الطقسي المرتجى مسؤولية الجميع . فاذا بقي واحد منّا بعيداً عن القيام بدوره ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ظلّ العمل الليتورجي ، أي البنيان الليتورجي ، ناقصاً ومبتوراً . فالوقت مداهم ، وما زلنا في أول الطريق . والاصلاح ورشة مستمرّة لا تتوقف أبداً ...

٦) رجائي الأخوي أن تُسهموا معنا في خلق ذهنية ليتورجية جديدة ، نقديةٍ ومنفتحة ، جدّية وعلمية ، رصينة وعميقة ، تتجنب الارتجال والسرعة والسطحية .

استفيدوا من معهد الليتورجيا ، وانهلوا من ينابيعه الصافية معرفةً ليتورجية صحيحة وعميقة .

الخلاصة

كلمتي الأخيرة باسمكم جميعاً هي كلمةُ الشكر الصادق لحضرة مدير معهد الليتورجيا ، حضرة الأب الحبيب عمانوئيل خوري ، الذي نظّم « لقاءات الاثنين » هذه ، فأفسح لنا في المجالِ لنقول ونكتب ونناقش أفكاراً واختباراتٍ ليتورجيةً متنوّعة . وهكذا بسط أمامنا مائدةً غنيّة لا تقلّ أهمّيةً وسخاءً عن مائدةِ آباءِ الكنيسةِ الشرقيينَ العظام .

فلهُ شكرُنا جميعاً .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفهرس

		صفحة
المقدمة	الأب عمانوئيل خوري	هـ
الموضوع الأول : الليتورجيا والجماعات الرهبانية	الأب عمانوئيل خوري	١
الموضوع الثاني : دور الليتورجيا في التنشئة الرهبانية	أغسطين مهنا	١٥
الموضوع الثالث : الليتورجيا والتعليم الديني		٢٧
الليتورجيا وكتاب التعليم الديني	الأب أمبروسيوس الحاج	٢٩
حصة الليتورجيا في التعليم الديني	السيدة تريز بستاني — مبارك	٣٢
الموضوع الرابع : الليتورجيا والرعية		٣٩
بين الماضي والحاضر والمستقبل	الخوري عصام ابراهيم	٤١
على دروب الرعية الليتورجية	الدكتور جان صقر	٤٩
الموضوع الخامس : الليتورجيا والبيت المسيحي		٥٥
الليتورجيا والعائلة المسيحية	الخوري إيلي بو غاريوس	٥٧
الليتورجيا والأسرة المسيحية	الدكتور سمير خوري	٦٣
الموضوع السادس : الليتورجيا والمستشفى		٨٥
العناية الرعائية في المستشفى	الأخت مورين غرادي	٨٧
الحياة الليتورجية في المستشفى	الأخت سلستين ابو جوده	٩٦
الموضوع السابع : الليتورجيا والمدرسة		١٠٧
واقع ومرتجى الليتورجيا في المدرسة	الأب سامي بو شلهوب	١٠٩
الليتورجيا والبرامج المدرسية	الأخت سلست بو منصور	١٢٢

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

صفحة

الموضوع الثامن : الليتورجيا والمجتمع **١٣٣**
الليتورجيا والعمل — الخوري فرنسيس البيسري ١٣٥
الليتورجيا والمُعاق — الخوري ايلي ضو ١٥٢

الموضوع التاسع : الليتورجيا والجامعة **١٥٩**
الليتورجيا والجامعة : حقائق نظرية — الأب سمعان عطاالله ١٦١
الليتورجيا والجامعة : معطيات واقعية — الأب لويس الخوند ١٧٥

الموضوع العاشر : الليتورجيا والشبيبة المسيحية **١٨٥**
شهادة حياة — الأخت باتريسيا عجان ١٨٧
أية ليتورجيا لحركات الشبيبة المسيحية ؟ — الأخ مروان تابت ١٩٣

الموضوع الحادي عشر : الاحتفال الليتورجي بالمناولة الأولى **٢٠١**
ليتورجيا المناولة الأولى — الأب حنّون اندراوس ٢٠٣
الأطر الليتورجيا للمناولة الأولى — السيدة إلسن حريقة — الزغبي ٢٠٧

الموضوع الثاني عشر والأخير : الاصلاح الليتورجي الأب يوحنا تابت **٢١٧**

الفهرس **٢٣١**

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

منشورات قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس
الكسليك (لبنان)

١ — الأب يوحنا تابت، تفسير لسفر التكوين منسوب الى القديس أفرام السرياني، الكسليك، ١٩٨٢.

٢ — الأب يوحنا تابت، تفسير لسفر الخروج منسوب الى القديس أفرام السرياني، الكسليك، ١٩٨٣.

٣ — تيودول ري مرميه، نؤمن، تعريب الخوري يوسف ضرغام، الكسليك، ١٩٨٣.

٤ — الأب يوحنا تابت، تفسير لسفر الأحبار منسوب الى القديس أفرام السرياني، الكسليك، ١٩٨٤.

٥ — مجموعة محاضِرين، الليتورجيا الرعائية، الكسليك، ١٩٨٥.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

انجزت مؤسسة « كومبوليث » (بيروت)
صف هذا الكتاب في
التاسع والعشرين من شهر حزيران
عيد القديسَين بطرس وبولس
سنة ألف وتسع مئة وخمس وثمانين

USEK M. 5 / 3 Lit.

المطبعة البولسية
جونيه - لبنان

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

PUBLICATIONS DE L'INSTITUT DE LITURGIE
A L'UNIVERSITE SAINT - ESPRIT

5

LA LITURGIE PASTORALE

(SÉRIE DE CONFÉRENCES)

P. Jean TABET

P. Emmanuel KHOURY
P. Augustin MOUHANNA
P. Simon ATALLAH
P. Ambroise HAGE
P. Louis KHAWAND
P. Hannoun ANDRAOS
P. François BAISSARI
P. Elie DAOU
P. Elie BOU-GHARIOS
P. Issam IBRAHIM

P. Sami BOU-CHALHOUB
Dr. Samir KHOURY
Dr. Jean SACRE
Sr. Maurine GRADI
Sr. Céleste BOU-MANSOUR
Sr. Célestine ABOU-JAOUDE
Sr. Patricia AJJAN
Fr. Marwan TABET
Mme. Thérèse BOUSTANY-MOUBARAK
Mme. Elson HARIKA-ZOGHBI

KASLIK / LIBAN 1985

السعر للمستهلك

coptic-books.blogspot.com